

المملكة العربية السعودية

جامعة أم القرى

مكة المكرمة

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

الدراسات العليا التاريخية والحضارية

الحياة العلمية في دولة صنغاي

خلال الفترة ٨٤٢-١٠٠٠هـ / ١٤٦٤-١٥٩١م

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير

في الحضارة والنظم الإسلامية



إعداد

الطالب/ محمد الفا جالو

إشراف

الأستاذ الدكتور/ إبراهيم نجيب عوض

١٤١٣هـ/١٩٩٣م



بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الانبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .. وبعد

فهذه كلمة موجزة عن البحث المقدم بعنوان « **الحياة العلمية في دولة صنغاي خلال الفترة ٨٤٢ - ١٠٠٠هـ/ ١٤٦٤- ١٥٩١م** » والذي تقدمت به لنيل درجة الماجستير في النظم الإسلامية . وقد اشتمل البحث على مقدمه وتمهيد وخمسة فصول وخاتمه . وقد تحدثت في المقدمه عن البحث وأشرت الى قيمته وأهميته والدوافع التي جعلتني أختار هذا الموضوع . أما التمهيد فقد تحدثت فيه بايجاز عن الدول التي سبقت صنغاي في احتضان الاسلام ونشره قبل فترة البحث . وتحدثت في الفصل الأول عن العوامل التي ساعدت على نشاط الحركه العلميه والثقافيه في فترة البحث . وقد احتوى العقيدة الاسلامية وأثرها ، ووسائل انتشارها ، والمكانة الاجتماعية للعلماء ، وتشجيع الحكام للعلماء والدعاة بإنشاء المكتبات العامة والخاصة ، وتوفير مصادر الانفاق للدعوة الإسلامية . كما احتوى الفصل الثاني على المراكز الثقافية في صنغاي وتشمل غاو ، وتمبكتو ، وجنى وبلاد الحوصا - كانو وكاتسينا . واشتمل الفصل الثالث على وسائل نشر العلم والثقافة في صنغاي ، وهي الكُتّاب ، والمسجد ، والمدرسة ، ودور العلماء ، وقصور الحكام ، والعلاقات الثقافيه ، ومناهج التعليم والاجازات العلمية ، كما تحدثت في الفصل الرابع عن حركة التصنيف والتأليف ، وتحتوى العلوم الشرعية ، والعلوم اللغوية ، والعلوم الاجتماعية ، والعلوم التجريبية .

ولم تكن الحياة العلمية التي حظيت بها صنغاي اقليمية وانما كانت اسلامية عامه حيث اشترك في اثرائها بعض مشاهير علماء المسلمين من العالم الاسلامي ، بالاضافة الى ظهور نخبة من العلماء من أبناء صنغاي اشتهروا بعلمهم ومؤلفاتهم وطلابهم في العالم الإسلامي . وفي الفصل الخامس اختتمت الرسالة بالحديث عن نهاية دولة صنغاي والعوامل التي قضت على النهضة العلمية فيها ، وانتهى دور هذه الدولة بنهاية القرن العاشر الهجري .

العميد	المشرف	الطالب
د . عابد بن محمد السفياني	د. ابراهيم نجيب عوض	محمد الفا جالو

مقـــدمـــة

قــامت بالمنطقة الواقعة فى الجنوب الغربى من الصحراء الكـبرى المعروفـة بالسـودان الغربى(١) دول وممالك ، وكان لهـذه الـدول دور مهـم فـى احتضان الاسلام ونشره بواسطة عدد كبير من رجال العلم والثقافة ، كما كان لحكام هذه الممالك الـذين اعتنقـوا الاسلام دور بارز فى اثراء الحياة الثقافية والسياسية والاقتصادية منذ القرون الأولى للهجرة .

كـانت مملكة صنغاى آخر دولة فى سلسلة هذه الدول التى ورثـت منهـا الحضـارة الاسلامية بجميع جوانبها ، فكانت رمزا حقيقيا لتقدمها ، وكان القرنان التاسع والعاشر الهجريان ، (الخامس عشر والسادس عشر الميلاديان) فترة ازدهار هذه الدولة دون منافس لها فى المنطقة .

---

(١) اقليـم واقـع فـى الجـنوب الغربى من القارة الافريقية يمتـد بين الصحراء الكبرى والمناطق الاستوائية ، والى المحيط الأطلسى .

انظر : حسين سعيد : الموسوعة الثقافية ، ص ٥٦٥ ، دار المعرفـة ، مطـابع دار الشـعب ، لمؤسسـة فـرانكلين للطباعة والنشر ، القاهرة ، نيويورك ١٩٧٢م .

Sekene Mody Cissoko. Histoire de L'afvique Occidentale, Moyenage et temps modernes VIIe. siecle. 1850. p. 106 . Presence Africaine ,Paris .

Josepg Ki-Zerbo, Histoire de L'afrique Noire, Hatier. p. 134 .

وكـذلك ايضـا كما هو موضح بالخارطة المرفقة فى نهاية البحث (ضمن اللوحات) ص ٣٤١-٣٥١

وقد عرفت مملكة صنغاى بحكامها البارزين وعلمائها المشهورين الذين تضافرت جهودهم باخذ الاسلام دينا وعقيدة وبتطبيق الشريعة الاسلامية فى حكم البلاد .

لقد اهتم اولئك الحكام بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر طوال مدة حكمهم . وقد أثار اهتمامى تقدم حضارة هذه المملكة، لذلك اخترت ان اكتب فى موضوع الحياة العلمية فى دولة صنغاى خلال الفترة (٨٤٢ ـ ١٠٠٠هـ / ١٤٦٤ ـ ١٥٩١م) .

وخاصة ان انتشار الاسلام قد ارتبط بالتعليم اكثر من اى شىء آخر ، كما ان جهود العلماء فى مجال الدعوة هو الذى جعل المنطقة اسلامية وجزءا لايتجزا من العالم الاسلامى .

وشجعنى على الكتابة فى موضوع الحياة العلمية فى مملكة صنغاى انى لم اجد من الباحثين احدا افرد لهذا الموضوع بحثا مستقلا ، حتى الذين كتبوا عن الحياة العلمية فى افريقية . امثال "دنيس بوس" فى كتابه "دراسة عن التعليم فى غرب افريقيا خلال الفترة ١٨١٧ ـ ١٩٢٠م" ، و د. يوسف حوالة أحمد فى رسالته عن الحياة العلمية فى افريقية ـ المغرب الادنى ـ خلال الفترة ٩٠ ـ ٤٥٠هـ ، وكذلك محمد حجى الذى كتب عن الحركة الفكرية بالمغرب فى عهد السعديين . كانت كتاباتهم خارجة عن نطاق الفترة التى اخترتها لبحثى .

وهنا تكمن اهمية دراسة الحياة العلمية فى دولة صنغاى بوصفها جزءا من تاريخ شامل لشعوب القارة ، اضافة الى ان دراسة الحياة الفكرية لهذه المملكة تُعدُّ اسهاماً فى إحياء التراث الاسلامى ، ونشره من ناحية ، وكشفاً عن دور العقيدة الاسلامية فى تراث وواقع وتاريخ تلك الشعوب من ناحية اخرى .

قسمت بحثى الى تقسيمات اساسية هى : مقدمة وتمهيد وخمسة فصول وخاتمة .

فى المقدمة تعرضت لتحديد نطاق البحث والاشارة الى قيمته واهميته والدوافع التى جعلتنى اختار هذا الموضوع .

اما التمهيد فقد تحدثت فيه بايجاز عن الدول التى سبقت صنغاى فى احتضان الاسلام ونشره قبل فترة البحث .

اما الفصل الأول ، فقد تحدثت فيه عن دور العقيدة الاسلامية فى اثراء الحياة العلمية فى صنغاى ، وبينت المكانة الاجتماعية للعلماء ، ودور الحكام فى تشجيع هذه الحركة ، وتوفر مصادر الانفاق التى تتمثل فى جهود الحكام والمسئولين فى الدولة ، والأوقاف ، مع ذكر اشهر المكتبات العامة وخزانات الكتب الخاصة ودورهما فى تنشيط الحياة الثقافية فى هذه الدولة .

وفى الفصل الثانى تعرضت لدور مدن صنغاى ومراكزها الثقافية فى نشر العلوم والمعارف فى المملكة وماحولها والوافدين اليها وتوسعت فى بعضها مثل غاو ، وتمبكتو ، وجنى ، وبلاد الحوصا ، وغيرها .

وفى الفصل الثالث ، تحدثت عن اهم وسائل نشر العلم والثقافة فى صنغاى التى رايتها تتمثل فى المكاتب ، المساجد ، المدارس ، دور العلماء ، قصور الحكام ، الرحلات العلمية ، الحج والتبادل الثقافى بين صنغاى والعالم الاسلامى .

وفى الفصل الرابع ، تحدثت عن التصنيف والتاليف للعلوم الشرعية ، واللغوية ،والتطبيقية ، والاجتماعية ، بقدر ما امدتنى المراجع والمصادر التى جمعتها أو اطلعت عليها فى المملكة وفى البلاد التى نزلت بها فى رحلتى

العلمية (١) .

وفى الفصل الخامس تحدثت عن نهاية دولة صنغاى واستيلاء المغرب عليها ، ونكبة علمائها والتى كانت بمثابة مأساة على المسلمين فى صنغاى ، بل فى افريقيا الغربية كلها .

وتحدثت فى الخاتمة عن اهم النتائج التى توصلت اليها من خلال هذا البحث والحقت بها بعض الوثائق والخرائط التى تبين بعض عناصر الموضوعات .

واخيرا قائمة المصادر والمراجع المخطوطة منها او المطبوعة ، والقديمة او المعاصرة ، الى جانب المراجع الاجنبية الفرنسية والانجليزية ، مما أثرى البحث واسهم فى بنائه بناء حسنا ادعو الله أن ينفعنى به وطلاب العلم والمعرفة انه سميع مجيب .

ولايفوتنى قبل أن انتهى من هذه المقدمة أن أتقدم بالشكر الوافر والاعتراف بالفضل لمعالى مدير جامعة ام القرى المبجل ، وللمسئولين بها ، وخاصة فضيلة الدكتور عميد كلية الشريعة ، والأستاذ الدكتور مريزن عسيرى الذى عاصر اختيار الموضوع واعطانى من وقته وعلمه الكثير ، ثم سافر فى رحلة علمية ، والأستاذ الدكتور ابراهيم نجيب عوض الذى استكمل مابداه الدكتور مريزن عسيرى ، حتى خرجت هذه الرسالة الى حيز الوجود ، فجزاهما الله عنى خير الجزاء .

والله سبحانه وتعالى ادعو أن يسدد خطاى على طريق الحق انه نعم المولى ونعم النصير .

---

(١) مثل فرنسا ، والمملكة المغربية ، وجمهورية السنغال ، ومالى ، وبنين ، ونيجيريا ، ومصر ، انطلاقا من المملكة العربية السعودية ، وبتوجيه من قسم الحضارة والنظم الاسلامية بكلية الشريعة ، جامعة ام القرى بمكة المكرمة .

تمهيد

لايعرف على وجه الدقة الوقت الذى استوطن فيه الانسان المنطقة الواقعة جنوب الصحراء الكبرى ، ولكن بعض المؤرخين يرجعون ظهور القبائل التى تستوطن هذه المنطقة الى وقت مبكر من الزمن(١)، يرجع الى ماقبل الميلاد بكثير ، وتنتشر معظم هذه القبائل فى انحاء جنوب وغرب القارة ، وكان يعيش بعضها على الصيد وبعضها على الزراعة وقسم آخر على الرعى(٢) .

ومما ساعدهم على ممارسة هذه الأعمال المتنوعة توفر العوامل المساعدة لهذه الأعمال فى الأرض التى يعيشون عليها وعلى الرغم من أن التجارة لم تكن من اهم اعمالهم فى هذه المرحلة الا انهم مارسوها الى جانب نشاطاتهم الأخرى .

ولما كانت قبائل شمال القارة تهتم بالتجارة وتشتغل بها بدا الاتصال بينهما منذ وقت مبكر(٣)عندما كان اهل

---

(١) مناطق اعالى نهر السنغال واعالى النيجر كانت ماهولة بالقبائل المالنكى ، والسوننكى ، والبامبرا منذ السنة الأولى الميلادية أو قبلها . كولين ماكيفيدى : اطلس التاريخ الافريقى ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، عام ١٩٨٧م ، ترجمة : مختار السويفى ، ص ٥٦.

(٢) العمرى : أحمد بن يحيى بن فضل الله : مسالك الابصار فى ممالك الامصار ، من الباب الثامن الى الباب الرابع عشر ص ٦٢-٦٣ ، تحقيق وتعليق الدكتور مصطفى ابو ضيف احمد ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م ، فيج . جى . دى : تاريخ غرب افريقيا ، دار المعارف ، الطبعة الأولى ١٩٨٢م ، ص ٤٧ ، ترجمة وتقديم وتعليق الدكتور السيد يوسف نمر.

(٣) المرجع السابق نفس الصفحة .

الشمال اشد حاجة لما عند اهل الجنوب ، وهو الذهب(١) واقتضت الحاجة ان يكون دور قبائل الشمال فى العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية أكبر واوسع نطاقا بكثير من قبائل سكان السودان الغربى .

فمنذ آلاف السنين بدات الرحلات والهجرات تتدفق من الشمال وتذوب فى الصحراء وتصل الى الجنوب الغربى ، ولم تنقطع حتى وقت قريب ، ففى عصر ماقبل الاسلام تركزت هذه العلاقات على العوامل الاقتصادية ، منذ ان اشتهرت المنطقة بمعادنها النفيسة ، الذهب والحديد(٢) .

ولأهمية هذه المعادن كثر طالبوها وشدوا الرحال الى الجنوب الغربى ، وتوافدت اليها اكبر واشهر القوافل التجارية التى عرفها التاريخ فى العصور الوسطى(٣) .

ومن ملامح الحياة الاجتماعية لهذه القبائل ، الاستقرار الأسرى والقبلى مما نتج عنه قيام الدول والممالك التى عرفت فى هذه المنطقة منذ زمن بعيد . فمنذ ان دخل الاسلام الى

---

(١) هو عنصر فلزى أصفر اللون وزنه الذرى ٢ر١٩٧ ، وعدده الذرى ٧٩ ، وكثافته ١٩،٤ .
حسين سعيد ، المرجع السابق ، ص ٤٧١ ، المعجم الوسيط مطابع دار المعارف الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ، ص ٣١٧ .

(٢) هو عنصر فلزى يجذبه المغناطيس ، يصدأ ومن صوره الحديد الزهر ، والمطاوع ، والصلب .
ابراهيم انيس وآخرون : مصدر سابق ، ص ١٦١ .

(٣) منهم العرب والبربر الذين كانوا يزورون السودان الغربى من شمال افريقيا والجزيرة العربية وغيرها .
كولين ماكفيدى : المصدر السابق ، ص ٧٥ .

القارة الافريقية ـ عن طريق مصر ـ استطاع ان يصل الى مناطق السودان الغربى قبل نهاية القرن الأول الهجرى(١)، مما يدل على الترابط المتواصل بينهما .

فوصول الاسلام الى المنطقة بهذه السرعة يدل على اهميتها من ناحية ، وكثرة التردد عليها من ناحية اخرى .

ولم تنقطع قوافل التجارة والدعاة والرحالة لزيارتها وزادها اهمية فى العصر الاسلامى الروابط الأخوية الاسلامية التى تسود بين المسلمين .

وسنذكر تطورها من خلال المدن التى قامت بها ، قبل فترة البحث والتى لها تاثير مباشر فى احتضان الاسلام ونشره فيما حولها من المناطق .

ومن اهم المدن التى عرفت بنشاطها فى نشر الاسلام فى

---

(١) البكرى : المغرب فى ذكر بلاد افريقيا والمغرب ، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك ، ص ١٧٩ ،يطلب من مكتبة المثنى ببغداد ، المطبعة الحكومية الجزائرية ١٨٥٧م ، القلقشندى : صبحى الأعشى فى صناعة الانشا ، ٢٨٤/٥ نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية ، المؤسسة المصرية العامة للتاليف والترجمة والطباعة والنشر ، ابراهيم على طرخان : امبراطورية غانة الاسلامية ، الجمهورية العربية المتحدة ، وزارة الثقافة ، الناشر الهيئة المصرية العامة للتاليف والنشر ، عام ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م ، ص ٤٢ ، احمد محمد كانمى : ملامح من الجهاد الاسلامى فى غرب افريقيا ، مطبعة الزهراء للاعلام العربى من ضمن ورقة ثقافية رقم سبعة ، الطبعة الأولى عام ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ، ص ١٣ .

تلك الفترة السابقة لفترة البحث ، مدينة اودغشت(١) .

وهي مدينة كبيرة كانت آهلة بالسكان من البربر واهل السودان الغربي ، كما كانت تعتبر من اهم المراكز الثقافية التي كان لها دور كبير في نشر الاسلام والثقافة الاسلامية في منطقة السودان الغربي(٢)في القرون الهجرية الاولى .

قال البكري(٣)عنها : "ان بها جامعا ومساجد كثيرة آهلة في جميعها بمعلمي القرآن الكريم"(٤)وحفظته .

وكان لاهل اودغشت جهود كبيرة في نشر الاسلام جنبا الى جنب مع تنشيط حركة التجارة بين بلاد السودان الغربي وشمال افريقيا (٥) .

---

(١) تقع هذه المدينة في نهاية الطريق التجاري الذي يخترق الصحراء الكبرى الى السودان الغربي . كولين ماكيفيدي اطلس التاريخ الافريقي ، ص ٨٥، ٨٩ ، ترجمة مختار السويفي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٧م ، الحموي : معجم البلدان ، المجلد الاول ا-ب ص ٢٧٧ ، دار صادر بيروت ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م .

(٢) عصمت عبد اللطيف دندش : دور المرابطين في نشر الاسلام في غرب افريقيا ٤٣٠-٥١٥هـ/١٠٣٨-١١٢١م ، ص ١٥٧ ، دار الغرب الاسلامي ، الطبعة الاولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ، بيروت ، لبنان .

(٣) هو ابو عبد الله بن عبد العزيز البكري ت ١٠٩٤م .

(٤) البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، المصدر السابق ، ص ١٥٨ .

(٥) ابراهيم علي طرخان : دولة غانة الاسلامية ، المرجع السابق ، ص ٤٢ .



<u>مملكة غانة الاسلامية</u> :

ومن الممالك التي ساعدت على تطور هذه المنطقة قبل فترة البحث مملكة غانة الاسلامية (١).

وهي مملكة قديمة ، تقع في الجنوب الغربي من الصحراء الكبرى ، وتعتبر من اقدم الممالك المعروفة فيما وراء الصحراء الكبرى ، ويرجع تاريخ قيام مملكة غانه الى القرن الأول الميلادي او قبله بقليل .

ثم صارت ذات بأس وسطوة خلال القرن الرابع الميلادي ، على يد حكامها الى وقت زوالها في القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي .

وقد توسعت هذه الدولة حتى شملت عدة مراكز ثقافية وتجارية في شمال الصحراء وجنوبها ، من أهمها أودغشت(٢) وولاته وغيرها .

وكان لأهل غانة وحكامها علاقة قديمة بالاسلام ، ومما يدل على قدم الاسلام فيها ماذكره البكري من أن هناك قوماً يسمون بالهنيهين وهم من ذرية الجيش الذى كان بنو امية قد انفذوه الى غانه في صدر الاسلام (٣). وعبر القلقشندي في صبح الأعشى عن اسلام اهل غانة بقوله : "وكان أهلها قد دخلوا في الاسلام

---

(١) انظر ص ٣٤٨.

(٢) سبق ذكرها في ص ١٠ واما ولاته ذكرت في ص ٨٥ ، ٢٧

(٣) البكري ، المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب ، المصدر السابق ، ص ١٧٩ ، ابراهيم على طرخان : دولة غانة الاسلامية ، المرجع السابق ، ص ٤٢ ، احمد محمد كاني : ملامح من الجهاد الاسلامي في غرب افريقيا ، المرجع السابق ، ص ١٣ .

فـى اول الـفـتح الاسلامى لبلاد الـمغرب"(١)قبل نـهاية الـقرن الاول الـهجرى .

وقد اثبتت كتب الـتاريخ ان عاصمة غـانة كانت تنقسم الـى حـيين : حـى وثنـى يسكنه الـملك وحاشيته ، وحى اسلامى يسكنه الـمسـلمون ، فـالـحى الاسلامى كان عبارة عن مدينة كبيرة فيها اثنى عشر مسجدا احدها يجمعون فيه (٢)، وبقية الـمساجد يصلون فيهـا الـصلوات الـخمس ولـها الائمة والـمؤذنون والـراتبون وفيها فقهاء وحملة الـعلم (٣).

ووجـود الـمسـاجد والـفقهـاء والائمة فـى مدينة غـانة قبل فترة الـبحث خير دلـيل علـى كثرة الـمسلمين فيها بحيث يكون من الـمسـتبعد ان تكـون هذه الـمدينة قد ظهرت مرة واحدة او خلال وقـت قصـير وبهـا اثنا عشر مسجدا ، وانها صارت موطنا لـعدد كبـير مـن فقهـاء الـمسلمين وعلمائهم (٤) . ثم تدهورت مملكة غـانة واصابها الـضعف ودخلت تحت حكم مملكة مل .

---

(١) الـقلـقشندى : صبح الأعشى ، ٥/٢٨٤ ، الـمصدر الـسابق .

(٢) يصلـون فيه صلاة الـجمعة والـعيدين .

(٣) الـبكـرى : الـمغـرب فـى ذكـر بـلاد افريقيـا والـمغرب ، الـمصدر الـسابق ، ص ١٧٤،١٧٥ .

(٤) الـمرجع الـسابق ، نفس الـصفحة ، الـقلـقشندى : صبح الأعشى فـى صناعـة الانشـا ٥/٢٨٤ ، الـمؤسسـة الـمصريـة الـعامة للتـالـيف والـترجمة ، بدون تاريخ ، ابراهيم علـى طرخان دولـة غـانة ، الـمرجع الـسابق ، ص ٣١،٤٤ .

<u>دولة مل</u> (١) :

ومن الدول التى قامت ببلاد السودان الغربى دولة مل ، أسسها قبائل ماندنغو (٢) والبمبارا (٣) وكانت هذه الدولة خاضعة لمملكة غانة ، واستقلت عنها فى بداية القرن السابع الهجرى الثالث عشر الميلادى ، حوالى عام ١٢٣٠م ، ثم بدأت تتوسع على حساب جيرانها ، ولم تلبث أن أخضعت مملكة غانة نفسها (٤) والمدن الأخرى مثل ولاته (٥) وتادمكة (٦) ، وغاو (٧) ، وبذلك أصبحت دولة "مل" أكبر دولة أسسها أهل السودان الغربى

---

(١) نشأت هذه الدولة من ولاية كنجابا ، عاصمتها نيانى . وبدا يتضح تاريخ هذه الدولة منذ القرن السابع الميلادى ، الا انها بلغت ذروة مجدها خلال القرن الرابع عشر الميلادى . العمرى : مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار ، المرجع السابق ص ٥٩ ، ابراهيم على طرخان : دولة مل الاسلامية ، دراسات فى التاريخ القومى الافريقى ص ٣٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣م .

(٢) ، (٣) وهما من القبائل الافريقية ولهما لغتهما ولايزال نشاطهما ملموسا فى نشر الاسلام فى المنطقة .

(٤) العمرى : المرجع السابق ، ص ٦٠ ، عصمت عبد اللطيف دندش : دور المرابطين فى نشر الاسلام فى غرب افريقيا ، المرجع السابق ، ص ١٣٧ .

(٥) سيأتى ذكرها فى الفصل الثانى من هذا البحث ، ص ٨٥ .

(٦) كانت مقر المرابطين ، والمدينة الثانية بعد مراكش فى نهاية القرن الحادى عشر الميلادى . كولين ماكفيدى : المصدر السابق ، ص ٨٧ .

(٧) كانت هذه المدينة مركزا تجاريا وثقافيا فى دولة مل واصبحت فيما بعد عاصمة لدولة صنغاى .

حتى تلك الفترة فى المنطقة (١) .

وصل المسلمون اليها منذ وقت مبكر ، وأسلم أهلها وعلى راسهم الحكام . قال البكرى ت ٤٨٧هـ ، المؤرخ لها ان لدولة "مل" ملكا يعرف بالمسلمانى ، وكان عنده ضيف من المسلمين يقرىء القرآن الكريم ويعلم السنة (٢)، وعلى كل حال فان الاسلام لم يكن غريبا فى"مل" ، اذ اشتهر حكامها بكثرة الذهاب لأداء فريضة الحج ، كما كان يوجد بها علماء يقومون بالدعوة الاسلامية فى انحاء الدولة وماحولها .

ويرجع الفضل الى حكام دولة "مل" وشعوبها فى نشر الاسلام الى بلاد الحوصا (٣)، فالدور الذى قام به أهل دولة "مل" فى الدعوة والجهاد لنشر الاسلام يُعَدُّ من اهم مراحل انتشار الاسلام فى جنوب وغرب الصحراء الكبرى(٤)قبل فترة البحث .

لقد زار ابن بطوطة ت ١٣٦٩م، دولة مل والتقى ببعض كبار شخصيات الدولة منهم قاضى مدينة نيانى عاصمة الدولة ، وهو

---

(١) عبد الرحمن السعدى : تاريخ السودان ، طبعة السيد هوداس وشاركه تلميذه بنوه ، فى باريس عام ١٩٨١م ، ص ٩ ، كولين ماكفيدى :المصدر السابق ، ص ٩١ .

(٢) البكرى : المغرب فى ذكر بلاد افريقيا والمغرب ، المصدر السابق ، ص ١٨٧ ، ابراهيم على طرخان : دولة مل الاسلامية ، مطبعة الهيئة العامة للكتاب عام ١٩٧٣م ص ٥٠ .

(٣) سياتى ذكرها فى الفصل الثانى من هذا البحث ، ص ١٢٣ .

(٤) العمرى : المرجع السابق ، ص ٥٩ ، ابراهيم على طرخان دولة مل ، المرجع السابق ، ص ٥٥ .

من اهل السودان (١)، وترجمان الملك (٢)،وبعض الأمراء (٣)، وادهشه ماشاهده من استتباب الأمن (٤)، وتمسك الحكام (٥)بالاسلام . وقال ان اهلها مسلمون محافظون على الصلوات والتعليم وحفظ القرآن الكريم وبها كثير من الحجاج (٦).

---

(١) قال عنه ابن بطوطة بانه حاج له مكارم اخلاق ، رحلته تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الاقطار ، دار صادر ، ودار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م ص ١٠٢ .

(٢) قال ابن بطوطة انه من افاضل السودان وكبارهم يترجم من لغته الى اللغة العربية وبالعكس ايضا . المرجع السابق بنفس الصفحة .

(٣) منهم فربا سليمان ، قال ابن بطوطة وهو امير فاضل حاج ومشهور بالشجاعة والشدة ولم ير فى السودان اكرم منه ولاافضل ، وكان عنده بعض العلماء يمارسون التدريس . تحفة النظار ، المصدر السابق ، ص ١٠٢ .

(٤) قال لاحاجة فى رفقة الى السفر من بين مدن مل لأمن تلك البلاد والطرق . ابن بطوطة : تحفة النظار ، المصدر السابق ، ص ٦٨٨،٦٨٩ .

(٥) من عادة حكام مل اخراج زكاة أموالهم فى سبع وعشرين من شهر رمضان ، وشهد ابن بطوطة بعض القضاة وخطباء المساجد والفقهاء يتولون توزيع هذه الأموال على الفقراء . ابن بطوطة : تحفة النظار ، المصدر السابق ص ٦٩٢ .

(٦) ابن بطوطة : تحفة النظار ، المصدر السابق ص ٦٨٨ .

ومن لم يخرج مبكرا الى المسجد يوم الجمعة لايجد مكانا فيه (١)، وجميع هذه المظاهر تدل على أن الاسلام لم يكن غريبا على اهل دولة مل فى القرن الثامن الهجرى ، الرابع عشر الميلادى .

ويتبين مما سبق ذكره ان الصلة التجارية والثقافية كانت قديمة بين شمال القارة وغربها ، وقد كثرت هجرة المسلمين من العرب والبربر بعد ظهور الاسلام الى بلاد السودان الغربى ، منذ فتح مصر وشمال افريقية ، وكثر التجار المسلمون ببلاد السودأن الغربى ، لأسباب دينية ، وتجارية واستقرت اعداد كبيرة منهم فى البلاد (٢).

وقبل نهاية القرن الثامن الهجرى ، الرابع عشر الميلادى ، كان الاسلام قد ساد فى معظم القبائل التى كانت تعيش فى المنطقة الممتدة جنوب الصحراء الكبرى ابتداء من قبيلة الفولاتة (٣) التى كانت تستوطن حوض نهر السنغال من ناحية الغرب الى العرب الذين يستوطنون من ناحية الشرق (٤)،

---

(١) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٢) ابن بطوطة : المرجع السابق ، ص ٦٦٤ ، ابن خلدون : تاريخه ، المرجع السابق ٢٦٦/٦ ، ابراهيم على طرخان : دولة غانة الاسلامية ، مطبعة الهيئة المصرية العامة للتاليف والنشر ، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م ، ص ٤١ .

(٣) وتقطن قبائل الفولاتة فى اعالى النيجر وحتى نهر السنغال وفوت جالون ويكثرون فى نيجيريا الشمالية ويمثلون الطبقة الحاكمة ذات النفوذ والجاه ، ويبلغ عددهم ملايين نسمة وكلهم مسلمون تقريبا . فيج : المرجع السابق ، ص ٣٠ .

(٤) كولين ماكفيدى : المصدر السابق ، ص ١٠٥،٩٧ .

حتى بحيرة تشاد ، حيث اصبحت هذه المناطق كلها تابعة للعالم الاسلامى ، وتقوم بزيارتها باستمرار وبانتظام القوافل التجارية التى كانت تخترق الصحراء ، ولهذه الأسباب كانت هذه المناطق هى التى توفرت عنها معلومات جغرافية كثيرة فى تلك الفترة عن غيرها حتى منتصف القرن الثامن الهجرى ، الرابع عشر الميلادى ، حيث تدهورت مملكة "مل" ايضا واصابها الضعف حتى دخلت تحت حكم صنغاى(١).

---

(١) ومما ذكره المؤرخون من أسباب تدهور مملكة مل مايلى :

* يمكن القول بان ضعف خلفاء منساموس والانقسام العائلى ، وكثرة الفتن الداخلية ادت الى ضعف الولاء نحو الأسرة الحاكمة وبالتالى اختلال الامن .

* ومن الأخطار المباشرة التى عجلت بنهاية دور مملكة مل فى المنطقة منذ القرن الخامس عشر الميلادى تتلخص فيما فعله الطوارق وموش والفولانيون والتكاررة ثم صنغاى صاحبة الدور الكبير فى القضاء على دولة مل .

* ويضاف الى ماسبق وجود الخطر المباشر الذى اصبح يطوى صفحة التاريخ الاسلامى بغرب افريقيا خاصة وفى افريقيا السوداء برمتها وهو الاستعمار الأوربى الذى بدا بحركة الكشوف البرتغالية .

الناصرى : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ٣/٤٧-٤٩ ، الدار البيضاء ١٩٥٥ ، ابراهيم على طرخان : دولة مل الاسلامية ، ص ١٠٥-١٢٠ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣م .

دولة صنغاى :

ومن الدول التى قامت ببلاد السودان الغربى دولة منغاى(١) ، فبينما كانت شمس دولة مل توشك على المغيب منذ بداية القرن التاسع الهجرى ، الخامس عشر الميلادى ظهرت دولة صنغاى كقوة جديدة تتحكم فى مناطق نهر النيجر

---

(١) تسكن قبائل صنغاى حوض نهر النيجر وتنتشر حتى حدود الغابات الاستوائية ، ثم اتجهت نحو الشمال واسست هذه القبائل دولة عرفت باطوار القوة والضعف يرجع تاريخها الى حوالى القرن الأول الهجرى ، السابع الميلادى ، ثم عملت بعد ذلك على توحيد جزء كبير من بلاد السودان الغربى ، واقامت حضارة مزدهرة منذ القرن التاسع الهجرى ، الخامس عشر الميلادى .

كلمة صنغاى نسبة الى قبيلة تسكن حوض نهر النيجر ، اما اليوم فيوزعون بين جمهورية مالى ، والنيجر ، وفى المناطق المحيطة بغاو ، وتوجد اقليات منهم فى اغاديس وتمبكتو ، وجنى ، وشمال بنين .

الحسن الوزان : وصف افريقيا ، ج٢ ، ص ١٦٢ ، من منشورات الجمعية المغربية للتاليف والنشر والترجمة ، ترجمه عن الفرنسية محمد حجى ، ومحمد الاخضر ، الطبعة الثانية ، دار الغرب الاسلامى ، بيروت ، عام ١٩٨٣م ، يونسكو : تاريخ افريقيا العام ، ج٤ ، تحت اشراف D.T.Niane باريس ١٩٨٥م ، مترجمة عن الفرنسية ، ص ١٩٩ مجلة الفيصل ، العدد ٨٩ ، ص ٧٩ ذو القعدة ١٤٠٤هـ ، السنة الثامنة ـ آب/اغسطس ١٩٨٤م .

الأوسط(١)، ويمكن القول بان دولة "صنغاى" تتالف فى الأصل من مزيج يشمل عدة قبائل اهمها : الزنوج ، والفلاتة ، والطوارق والصنهاجة (٢) ، وقد بنت هذه القبائل بعد اتحادها دولة مترامية الأطراف على أسس قوية ، ولاعجب فى ذلك بعد أن استطاعت هذه الدولة ان تتخطى كل الدول والمدن التى قامت فى المنطقة سواء المعاصرة لها او السابقة عليها (٣).

---

(١) كولين ماكفيدى : اطلس التاريخ الافريقى ، المصدر السابق ، ص ١١٣ .

(٢) انظر ص ٨٥ ـ ٨٧ ، ١٢٤ - ١٢٥ .

(٣) وهى مملكة غانة ، واودغشت ، ودولة مل ومملكة تكرور ، وماسينا ، وبلاد الحوصا ، وولاته ، هذه الدول والمدن ومراكز الثقافة والتجارة التى قامت فى المنطقة قبل فترة البحث .

واما الدول الحديثة التى اصبحت تتخطى موقع دولة صنغاى هى : مالى ، والسنغال ، وجنوب غرب موريتانيا ، وجنوب النيجر ، وفولتا العليا ، وشمال نيجيريا ، وجنوب غرب الجزائر ، وشمال بنين ، بما فى ذلك بعض الدول المطلة على شاطىء غرب الأطلسى .

حسين مؤنس : اطلس تاريخ الاسلام ، ص ١ ، الطبعة الأولى ابراهيم على طرخان : امبراطورية غانة الاسلامية ، ص ٨٩ الهيئة المصرية العامة للتاليف والنشر ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م عصمت عبد اللطيف دندش : دور المرابطين فى نشر الاسلام فى غرب افريقيا ٤٣٠-٥١٥هـ/١٠٣٨-١١٢١م ، ص ١٢٤ ، دار الغرب الاسلامى ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ، مجلة كلية الشريعة بالاحساء ، عدد ٢١٠ ، ص ٦٢٨ ، أطلس تايمز : تاريخ العالم الكبير ، ص ٨-٨٩ ، والصغير ص ١٣٧ .

ومــن خــلال الـفـتـرات(١) الـتـى مرت بـهـا هذه الـدولـة يـتـبـين لـنــا ان اهــل"صنغاى" لـم يـكـونـوا حديثى الـعـهد بـالاسلام وثـقـافـتـه وانـمـا يرجع عـهدهم بـه الـى وقت مبكر ، وكـانـت مدينة غـاو ، من الـمــدن الـتـى ظهر بـهـا الـنـشـاط الـعـلـمـى ، والـثـقـافـى الاسلامى حين كـانـت تحـت دولة "مل" بدلـيـل ماعثر عليه الـبـاحـثـون فـى"غـاو"(٢) ،

---

(١) وفــى الـفـتـرة مابين عــام ١٠٧٦-١٠٨٣م استولـى الـمـرابـطـون عــلـى غـانـة ، وصنغاى ، عندمـا استقلت مل عن غـانـة حوالـى عــام ١٢٣٠م ، فــرضت نـفـوذهــا عــلـى الـدول والـمـدن الاخرى منهــا صنغــاى ، وفــى مطلــع الـقــرن الـتـاســع الـهـجـرى ، الـخــامس عشــر الـمـيــلادى ، فـقــدت مــل سيطرتها على دولة صنغــاى ، ومنذ عـام ١٤٥٧م ظهرت دولة صنغاى كقوة جديدة تتحـكم فــى منــاطق الـنـيـجــر الأوسط عـلـى يد سن على الـذى ارتقى عرشها عـام ١٤٦٤م .
وصــادف تلك الـفـتـرة ظهور الـبـرتـغـالـيـين فـى الـسـاحل ، وفـى عــام ١٥٩٠م نظـم الـمـنـصـور الـسـعـدى حملة حربية لـلاستيلاء عـلـى صنغــاى فــى جـنـوب الـصـحـراء وضمهــا كــاقـلـيم تـابـع لـلامـبـراطوريــة الـسـعـديـة فــى الـمـغـرب اثـنـاء حكم الـمـنـصـور الـسـعـدى ، الـذهـبـى .
انـظـر : الـنـاصرى ٤٧/٣-٤٩ نقلا عن ابن خلدون فـى تـاريخه والـشـريشـى فــى شرح مقـامـات الـحـريرى ، كـولـين مـاكـفـيدى : اطلس الـتـاريخ الافـريـقـى ، الـمـصـدر الـسـابـق ، ص ٨٧، ٩١، ١٠٥، ١١٣ .

(٢) قــام الأوربـيــون بـحـفـريـات عـلـمـيـة فـى مديـنـة سـانـى عـلـى بعد اربـعـة اميـال من مدينة غـاو الـحـديـثـة ، عـنـدمـا تم الـعـثـور عــلـى بـعـض شـواهد الـقـبــور فــى سنة ١٩٣٩م ، منهم رئيس =

من الكتابات المحفورة فى شواهد قبور بعض الملوك(١)، يرجع تاريخها الى نهاية القرن الخامس الهجرى ، الحادى عشر الميلادى(٢).

وقد اشتهر فى هذه الدولة عدد كبير من الحكام كان لهم مكانتهم فى تسيير امور الدولة على نحو افضل ، واستطاعوا بفضل ماتميزوا به من حنكة سياسية وتنظيم محكم لايحمل

= البعثة السيد رايموند مونى ، وقد كتب كثيرا عن هذه الدولة وغيرها .. للمزيد من المعلومات يرجى الرجوع الى كتاب افريقيا تحت اضواء جديدة ، لبازل دافدسون ، ص ١٥٥،١٥٦،١٦٠،١٧٩،١٩٢ ، ترجمة جمال محمد احمد ، من مطبوعات دار الثقافة ، بيروت ، و E.W. Bovill : الممالك الاسلامية فى غرب افريقيا واثرها فى تجارة الذهب عبر الصحراء ، ص ١٣٢ ، ترجمه بالعربية د. زاهر رياض ، مطبعة مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة سنة ١٩٦٨م .

(١) ومن هذه الشواهد : نص مكتوب باللغة العربية الفصيحة مما يدل على أن الاسلام لم يكن حديث العهد فيها ، وكما يطلعنا مدى حرص اهل صنغاى على الاعتناء بالعلم والادب والتدوين ، ونصه :
"هنا قبر الملك الذى ايد دين الله واعزه ، ابو عبد الله محمد رحمه الله توفى عام ٤٩٤ للهجرة ، سنة ١١٠٠م" . وفيها شواهد أخرى .

(٢) انظر ص ٣٤٢ .

طابعا فرديا معينا بل تتامل فيه القيم الاسلامية والقيادية التغلب على كثير من الأزمات المتعلقة بالخلافات الأسرية والقبلية (١).

---

(١) الحسن الوزان : وصف افريقيا ٢/١٦٠-١٦١ ، ترجمة محمد حجى والأخضر ، طبعة دار الغرب الاسلامى ، طبعة ثانية عام ١٩٨٣م ، السعدى : تاريخ السودان ص ٦٤-٦٥ المصدر السابق ، يونسكو : تاريخ افريقيا العام ، ج٤ ، المرجع السابق ص ٢١٢ .

تحليل المصادر والمراجع

مرت دولة منغاى بفترة مهمة فى تاريخها المجيد كمثيلاتها من الدول التى سبقتها بنفس المكان فى ازمنة مختلفة ، وعلى الرغم من ذلك فقد تميزت منغاى بتعدد نشاطها فى مجالات مختلفة تفوق بكثير الدول السابقة عليها فى السودان الغربى ، وبالتالى لايزال بقاياها فى تناول الأيدى وهذا الذى لم تحظ به دولة سبقتها فى المنطقة .

ومن اهم هذه النشاطات التى ظهرت فيها بصمات القائمين عليها جهود حكامها وعلمائها فى الحياة العلمية والفكرية بجوانبه المتعددة .

ولعل مما يمكن قوله ان منغاى قدمت اوضح نماذج لحكام وعلماء بارزين واشتهروا بما قدموه من جهد مخلص ، كالجهاد فى سبيل الله ورفع راية الاسلام واقامة العدل ونشر العلم والتعليم والتاكيد على حقيقته واهميته وهذا ماتم فعلا .

ومن هنا كان لابد من الاشارة الى ماعاناه الباحث من عمل متواصل ومشقة فى جمع المعلومات من مصادرها المعاصرة والمختلفة .

واما الحكم والتقرير على مدى اهمية المصادر فى بناء البحث فانه يعود الى مدى الاستفادة منه فى تكوين هيكل البحث كما وكيفا ، ومن هنا اصبح بعض المصادر اساسية لاغنى عنها لبناء البحث لما احتوته من معلومات اساسية ونادرة فى جوانب متعددة من البحث وبعضها بجوانب معينة ومحددة ، ولقلة هذه المصادر وندرتها تم الاستفادة بمراجع احتوت على معلومات قيمة وابحاث فريدة ومتخصصة الى جانب المصادر ، وحتى هذه ايضا قليلة وخاصة المكتوبة باللغة العربية وهكذا

امكن الاستفادة منها فى نشاط العلماء . ومن هذه المصادر التاريخية مايلى :

* كتاب تاريخ الفتاش فى اخبار البلدان والجيوش واكابر الناس وذكر وقائع التكرور ، وعظائم الامور ، وتفريق انساب العبيد من الاحرار (١) لمؤلفه القاضى محخمود كعت بن الحج المتوكل كعت ت ١٠٠٢هـ الكرمنى ، دار التمبكتى مسكنا الوعكرى اصلا ، وهو علامة ومدرس وقاض ومؤرخ مولده ووفاته بتمبكتو ، فحج وزار مع السلطان اسكى محمد بن ابى بكر ورجعا معا وتجول فى انحاء دولة صنغاى وله مؤلفات من اهمها تاريخ الفتاش ... ويقع هذا الكتاب فى مجلد واحد وقد استعرض فيه مؤلفه الاحداث والوقائع التاريخية لحكام وعلماء واعيان التكرور لدولة صنغاى ، وبعض احداث مملكة مل اى من منتصف القرن الثامن الى نهاية القرن العاشر الهجرى .

وترجع اهمية هذا الكتاب باعتباره ملخصا لمعظم كتب التاريخ ومؤلفى السودان الغربى الذين سبقوه من آبائه واجداده (٢)، وجميع هذه الكتب ليست لها وجود الآن .

وافاد البحث بمعلومات جيدة عن حياة الحكام وجهودهم فى تشجيع الحركة العلمية ، والقضاة ودورهم فى احياء وتنظيم المساجد والمدارس وتثبيت العدل بين الظالم

---

(١) وهذا الكتاب مطبوع على يد السيد هوداس وتلميذه ينوه طبعة باريس ١٩٦٤م

(٢) ورث التاليف عن اجداده وآبائه ومن ثم نقله الى ابنائه واشتهرت اسرته بخدمة التاريخ الاسلامى فى السودان الغربى .

والمظلوم ، والعلماء واعتنائهم فى مواصلة التعليم فى جميع جوانب البحث بشكل رئيسى .

* كما افاد البحث ايضا كتاب اسئلة الاسكيا واجوبة المغيلى(١)، لمؤلفه الامام محمد بن عبد الكريم المغيلى ت ٩٠٩هـ ينتسب الى قبيلة مغيلة التى تقطن نواحى تلمسان ، وقد كان من المثقفين واولى الفكر فى عصره وهو علامة مدرس ومؤلف ترك اكثر من خمسة عشر مؤلفا وقصائد وروايات ارتحل الى بلاد السودان الغربى وتجول فيها من بلاد الحوصا الى صنغاى ومكث فيها مدة وصاحب الحكام وتولى المناصب كالامامة والقضاء والتدريس وترك للحكام رسائل فى امور السلطنة ومنها هذا الكتاب الذى نحن بصدده .

ولهذا المؤلف اهمية خاصة باعتباره من اقدم واهم الوثائق للدولة الصنغية التى تلقى الضوء على مستوى الفكر والانتاج العلمى لهذه الدولة فى اول امرها ، ومن ناحية اخرى تعطينا فكرة واضحة عن العلاقات التى كانت تتم بين العلماء والحكام ودور كل منهما فى مجال الدعوة ، وعلى هذا يكون قد اعطى البحث فكرة واضحة عن سير الأمور فى الدولة وخاصة عن السائل بصفته مؤسس حكم اسرة الأساكى والمجيب بصفته نموذجا فريدا من نوعه وقل أمثاله فى المغرب والسودان فى عهده .

---

(١) تم التقديم والتحقيق لهذا الكتاب على يد د. عبد القادر زبادية ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ١٩٧٤م .

* ومن المصادر المهمة كتاب تاريخ(١)لعبد الرحمن بن عبد الله السعدى ، ولد عام اربعة والف من الهجرة فى مدينة تمبكتو وهو عالم ومؤرخ تولى القضاء فى تمبكتو والامامة فى مسجد سنكورى وتجول فى انحاء بلاد صنغاى حيث عاش بداية الحكم المغربى فى السودان الغربى .

وكتابه من احسن الكتب التى تلقى الضوء على عهدى الأساكي والاشراف معا والمقارنة بينهما ، وقسم كتابه الى ثمان وثلاثين بابا ، عشرون منها عن دولتى مل وصنغاى ، وثلاثة منها خاصة لذكر الوفيات والتواريخ لبعض الأجناد والفقهاء والحكام ، وباقى الأبواب خاص لحكم الباشوات فى السودان الغربى وحكم الأشراف المغاربة وماسنه .

هذا الكتاب هو الوحيد الذى سد فراغا كبيرا حيث انفرد بتدوين معلومات مهمة عن نهاية صنغاى وبداية حكم المغاربة فى السودان الغربى .

افاد البحث فى جوانب متعددة منها تاريخ القبائل والأحداث وتكوين المدن والوفيات ، بالاضافة الى المدارس والمساجد وغيرها واعتمد البحث عليه بشكل رئيسى باعتباره امتداد لتاريخ الفتاش المتقدم ذكره زمنا ومكانا .

* وبجانب هذه المؤلفات المهمة المذكورة فى تاريخ السودان الغربى استفاد البحث من كتاب انفاق الميسور فى تاريخ بلاد التكرور(٢) لمؤلفه الامام محمد بلو بن عثمان

---

(١) طبع هذا الكتاب على يد السيد هوداس وبنيه ، باريس ١٩٨١م .

(٢) مطبوع من مطابع الأزهر ، القاهرة ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م .

ابن فودى ١١٩٥ - ١٢٥٣هـ نشا فى بيت علم ورئاسة وجهاد وفتوحات وتعلم على يد ابيه وعمه وجمع منهما العلوم والفنون فجد واجتهد فى طلبه ، وتربى فى بيت الولاية ، ثم صحب اباه وكفاه المهمات وجاهد الأعداء وقاد الجيوش وفتح فتوحات عديدة ، وبالرغم من انشغاله بالحروب والسياسة والادارة كان عالما واماما ومدرسا وقاضيا وقائدا محنكا ومصنفا مجيدا ترك كتبا عديدة فى مختلف الفنون ويبلغ عددها عشرات ويكفيه ثناء شيخه عليه ووالده بانى دولته الاخيرة ومترامى الأطراف . حيث قال : "اشتغلوا بقراءة تاليف ولدى محمد بلو لانه مشتغل غالبا بحفظ علم سياسة الأمة والمقاصد والازمان والامكنة والأحوال"(١).

ويقع هذا الكتاب فى مجلد واحد ويحتوى على عشرة فصول وعقد لكل فصل ولاية من ولايات بلاد الحوصا وترجع اهميته الى انه اهم كتاب تاريخى جمع اخبار بلاد الحوصا والسودان الغربى بعد كتاب وصف افريقيا المتقدم ذكره ، وحوى سير العلماء والسلاطين وماجرى فيها من وقائع وذكر الحدود الجغرافية .

وقد استفاد البحث منه فى جوانب متعددة اهمها تراجم علماء واعطاء تفاصيل عن نشاطاتهم العلمية مع توضيح حركة الحياة اليومية لسكان هذه المدن فى بلاد الحوصا ، بالاضافة الى المساجد والمدارس وعلاقة الحكام مع العلماء واعتمد البحث عليه اكثر فى الفصل الثانى والثالث .

---

(١) محمد بلو : انفاق الميسور ، ص ١٢٣ .

* وهناك عدد قليل من المصادر التى اعتمد عليها البحث فى مجال الجغرافيا والرحلات ، ومن هذه المصادر كتاب رحلة ابن بطوطة (١)، وهو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد ابن ابراهيم اللواتى ثم الطنجى المعروف بابن بطوطة (٧٠٤ - ٧٧٩هـ) وغنى عن التعريف مجهوداته التى مازالت تتحدث عنه فى كل مكان ، ومن ضمن ماقام به من رحلات علمية وصل الى بلاد السودان الغربى ومكث بها مدة وزودنا بمعلومات قيمة استفاد منها البحث فى مجال التدريس والكتاب والمدرس الأخرى ونشاتها قبل فترة البحث .

* كما استفاد البحث من كتاب مسالك الأبصار فى ممالك الامصار من الباب الثامن الى الباب الرابع عشر (٢) لأحمد بن يحيى بن فضل الله العمرى (٧٠٠ - ٧٤٦هـ) ولد العمرى بدمشق ولكنه شب وتعلم بمصر حيث ارتبطت اسرته برئاسة ديوان الانشاء بمصر والشام فى عهد المماليك .

وتلقى العلم على ابيه وعلى جماعة من علماء دمشق والقاهرة والاسكندرية والحجاز فى مختلف فروع العلم وله مايقرب من اثنى عشر مؤلفا منها هذا الكتاب التى وصلت مجلداته الى مافوق العشرين مجلدا .

افاد البحث من كتابه عن مل وحكامها وزيارتهم الى مصر والحجاز وشرائهم الكتب وجلب العلماء الى بلادهم وارسال الطلاب الى البلدان المجاورة لتلقى العلم وامتدت اعمالهم هذه الى عهد منغاى وتطورت فى عهدهم . وساهم هذا المصدر ببناء البحث فى جوانب متعددة كالتمهيد والفصل الأول والثالث .

---

(١) مطبوع .

(٢) قامت مكتبة دار الأمانى بطبع هذا الجزء ، الرباط .

ومن المصادر المهمة التى اعتمد عليها البحث فى مجال الجغرافيا كتاب وصف افريقيا (١) للحسن بن محمد الوزان الفاسى المعروف بليون افريقيا ، ولد بمدينة غرناطة حوالى عام ٨٨٨هـ ، درس على اعلام القرويين بالعلوم والفنون واصبح كاتبا وشاعرا يكتب الرسائل وينظم القصائد مقربا الى الرؤساء مما دفعه الى القيام برحلات عديدة داخل المغرب وخارجه ، وتسجيل مشاهداته فى مذكرات شبه يوميات اصبحت اساس كتابه الجغرافى الذى نحن بصدده .

أما الرحلات التى فصل القول فيها فى وصف افريقيا وكانت مادة هذا الكتاب فهى تسعة منها رحلته المتكررة الى بلاد السودان الغربى فى اثناء حكم الأساكى فى صنغاى ، فزيارته المتكررة الى صنغاى اعطته فرصة التجول فى انحاء البلاد واستفاد معلومات قيمة وأيضا استطاع أن يزور أكثر من خمسة عشر ولاية وتعتبر كتاباته اقدم المعلومات المتوفرة عن هذه المناطق حتى الآن .

اعتمد عليه البحث بجوانب متعددة بشكل رئيسى فى الفصل الأول والثانى والرابع بتعريف القبائل ومواقع المدن والمسافات بينها وحركة التجارة ونشاط الحكام مع العلماء والقضاة والمدرسين واتاحة الفرص للتجار واستتباب الامن مما ادى الى تدفق العلماء اليها من خارج صنغاى .

* ومن المصادر المهمة التى خدمت البحث فى تراجم علماء المالكية كتاب نيل الابتهاج بتطريز الديباج (٢)

---

(١) مطبوع بدار الغرب الاسلامى ، بيروت .

(٢) مطبوع بدار الكتب العلمية ، بيروت .

لأحمد بن احمد بن احمد بن عمر بن محمد آقيت عرف ببابا التمبكتي الماسني (ت ١٠٣٦هـ) ، ولد في تمبكتو من اسرة اشتهرت بالعلم والرياسة جد واجتهد حتى فاق معاصريه في الفتوى والتدريس والتأليف وكان ممن نكب واخذ الى مراكش مع اهل بيته وفرضت عليه الاقامة بمراكش واشتغل بالتدريس عدة سنوات ثم سرح وعاد الى مسقط راسه وتوفي هناك .

ويقع كتابه في مجلد واحد وهو من اهم المصادر في تراجم علماء المالكية ، وقد ترجم عددا من علماء السودان الغربي .

استفاد منه البحث في جوانب متعددة من المعلومات التي قدمها المؤلف في ثنايا تراجمه التي افردها للعلماء الذين شاركوا في احياء الحركة العلمية في هذه البلاد في فترة البحث ، وعن المواد التي كانت تدرس ، والكتب واوقات التدريس وآدابه والاجازات العلمية التي كانت تعطى للطلبة المتفوقين ، وبما فيه ضبط تواريخ الوفيات ، وذلك في الفصل الثالث والرابع بشكل رئيسي باعتبارها معلومات اساسية للبحث ومن مؤلف معاصر للاحداث .

* ومن كتب احمد بابا ايضا : كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج(٢)وهو ايضا في تراجم علماء المالكية ويعتبر تكملة للاول ، ويقع في مجلد واحد .

افاد البحث كثيرا في تراجم العلماء والرحلات والنشاطات العلمية والاجازات بشكل رئيسي واساسي في الفصل الثالث والرابع .

---

(١) مخطوط توجد في مكتبة الحرم المكي رقم ٤٩ وكذلك في مكتبة احمد بابا بتمبكتو .

* وبجانب هذان الكتابان كتاب فتح الشكور فى معرفة اعيان علماء التكرور (١) لابى عبد الله محمد بن ابى بكر الصديق البرتلى الولاتى (١١٤٠ - ١٢١٩هـ) ولد فى ولاته ونشا فيها واخذ العلم عن اهله وعلماء بلده حتى صار العلامة الحافظ المدرس والمصنف وله عدة تواليف تتجاوز العشر فى مختلف الفنون بالاضافة الى نظم وفتاوى .

فقد افرد كتابه هذا لتراجم علماء التكرور خاصة تصل عددهم مائتين وخمسة عشر عالما ويقع هذا الكتاب فى مجلد واحد ، ويعتبر من المراجع المهمة فى تراجم علماء المالكية فى بلاد السودان الغربى بعد كتابا التراجم لاحمد بابا السابق ذكره .

وقد سد مؤلفه فراغا كبيرا كان العلماء قد عانوا من اجله فلاشك ان هذا الكتاب خرج حديثا من مخبئه منذ ان الف ولم يطلع عليه عدد كبير من المؤلفين عن بلاد السودان الغربى .

قال صاحب فهرس الفهارس : "ولاتستغرب عدم ذكر علماء بلاد السودان الغربى فى بطون التواريخ المَوجودة لانا لم نقف ولم يقع بيدنا الى الآن فهرس ولاتاريخ لأهل ذلك المقع بعد زمن الشيخ احمد بابا ولم نجتمع باحد من بحاشى تلك الجهات لنستفيد منهم .. فلذلك نقول عدم العثور لايدل على عدم الوجود" (٢). وهذا يبين لك اهمية هذا الكتاب .

---

(١) مطبوع بدار الغرب الاسلامى .

(٢) فهرس الفهارس ٢/٣٦٣ .

افاد البحث في جوانب متعددة فيما يتعلق بنشاطات العلماء في التدريس والتاليف والرحلات والعلاقات الثقافية والكتب التي كانت تستعمل في التدريس وزيادة على ذلك تحديد الوفيات بشكل رئيسي في الفصل الثالث والرابع ، حيث اشتمل الكتاب على عدد مهم من علماء السودان الغربي .

* ومن الكتب التي افاد البحث كثيرا كتاب شجرة النور الزكية في طبقات المالكية (١) لمحمد بن محمد مخلوف (١٢٨٠ - ١٣٦٠هـ) مولده في منستير ، اخذ العلم عن علمائها ثم ارتحل الى تونس والتحق بجامع الزيتونة واخذ عن علمائها حتى حصل على رتبة التطويع كما يقول ، وانتظم في سلك المدرسين ثم رجع الى مسقط رأسه ليتولى القضاء والتدريس والفتوى والامامة والخطابة بجامعها الكبير ، والى جانب ذلك كان مؤلفا وترك مؤلفات عديدة ومنها كتابه هذا عقد عليه تراجم علماء المالكية وترجم على مايزيد عن الف وسبعمائة وخمسين عالما .

ويقع هذا الكتاب في مجلد واحد كبير ، وقد خدم البحث بما قدمه من تراجم ومدارس ومؤلفات ووفيات وعلى كل اعتمد البحث عليه لاسيما في الفصل الثالث والرابع حيث انه ترجم لعلماء كثيرين معاصرين لفترة البحث .

* وبجانب هذه المصادر المذكورة ساهمت بعض المراجع الحديثة في بناء هيكل البحث كمراجع ثانوية وليست اساسية وهي بحثان اكاديميان كتبا في الجامعات المغربية ، وكذلك كتابان من كتب الاوربيين الذين قاموا بالبحث والكشف عن غرب افريقيا قبل الاستعمار وبعده .

---

(١) مطبوع بدار الفكر .

استفاد البحث لهذه المراجع لسببين :

اولا : ثلاثة منهم كتبوا عن دولة صنغاى تاريخيا والرابع تناول التاريخ الافريقى العام مرورا وركز على غرب القارة بصفة خاصة .

وترجمه الى العربية علماء افاضل وكان اول كتاب يصدر باللغة العربية متناولا التاريخ الافريقى فى شكل اطلس مدعم بالخرائط .

وثانيا : ان هؤلاء الثلاثة الذين كتبوا عن صنغاى استخدموا معظم المصادر التى استفاد منها البحث وليس كلها وكذلك مراجع مهمة لم يصل اليها الباحث .

* ومن هذه المراجع كتاب بداية الحكم المغربى فى السودان الغربى(١) لمحمد الغربى المغربى الذى كتب فى التاريخ والحضارة فى عهد حكم الأشراف المغاربة فى السودان الغربى ، غير انه لم يترجم نفسه فى ثنايا كتابه حتى يزودنا بمعلومات عنه أو يعطينا اشارة الى الظرف الذى تم به اعداد كتابه هذا .

ويقع كتاب فى مجلد واحد وحوى تسعة فصول وملاحق ونظرا لاهمية الدراسات المنهجية التى قدمها من المصادر استفاد منه البحث فى هذا الجانب بدرجة ثانوية مع رد النصوص الى مصادرها الأصلية .

ومن ضمن ماقدمه من بحث افرد لترجمة عدد من علماء السودان الغربى يبلغ عددهم عشرين عالما اشرت اليهم فى الفصل الرابع بعد الرجوع والاشارة الى مصدرها ، وكذلك فى

---

(١) مطبوع بمؤسسة الخليج للطباعة والنشر ، الكويت .

الفصل الخامس استفاد منه البحث فى تفصيل بعض الأحداث كالغزو المغربى ونكبة العلماء فى تمبكتو بعد الرجوع الى مصدر هذه المعلومات مباشرة .

* . ومن هذه المراجع أيضا كتاب مملكة صنغاى فى عهد الاسيقيين (١) لمؤلفه عبد القادر زبادية الجزائرى الذى تخرج عام ١٩٦١م ثم التحق بالجامعة الجزائرية ، وكتب عن التاريخ الاسلامى فى غرب افريقيا .

ويقع كتابه فى مجلد واحد وحوى ثلاثة ابواب وسبعة عشر فصلا ، ساهم هذا الكتاب بقسط كبير فى بناء هيكل البحث ونور له الطريق للتعامل مع النصوص فى المصادر المختلفة منذ البداية فضلا عما اقتبس منه معلومات مهمة ثانوية بعد ارجاء كل معلومة الى مصدرها الأصلى ، وعلى كل لاغنى لأى باحث فى تاريخ صنغاى فى عهد الأساكى عن كتبه ونشراته ورسائله حيث تخصص فى دراسة هذه الدولة بجميع جوانبها دون غيرها كما يبدو .

* ومن المراجع التى افادت البحث كتاب عجائب تمبكتو (٢) لمؤلفه فلكس ديبوا الفرنسى الذى كان ثانى فرنسى يزور هذه المدينة فى القرن التاسع عشر الميلادى بصفته صحافيا مراسلا لاحدى الصحف الفرنسية ، وحاول جاهدا الكشف عن اسرار هذه المدينة وعجائبها باعتبارها من اكبر مراكز الثقافة الاسلامية فى السودان الغربى شهرة منذ نشاتها . وكشف ستارها الذى كان يرعب المكتشفين والمحاربين .

---

(١) مطبوع بالشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر .

(٢) مطبوع فى باريس .

ويقع الكتاب في مجلد واحد متواضع ولما كان هدف المؤلف هو كشف اسرار هذه المدينة كان لابد ان يركز على جانب الحياة العلمية معتمدا على مصادرنا المعروفة واستفاد منه البحث في نشاط بعض الحكام والعلماء ودور مساجدها بمعلومات ثانوية بعد الرجوع الى مصادره .

* واستفاد البحث ايضا من كتب الأوربيين كتاب اطلس التاريخ الافريقي(١) للمؤلف ماكفيدي ولانعرف الكثير عن المؤلف الا انه تخصص في الجغرافية التاريخية وكان من رواد التاريخ ايضا وله مؤلفات في هذا الميدان من اهمها اطلس التاريخ القديم ، واطلس تاريخ العصور الوسطى ، واطلس التاريخ الحديث واشترك مع آخرين في تاريخ السكان في العالم واطلس تاريخ العالم .

واما المترجم فلانعرف عن حياته الكثير غير اننا لمسنا اثره ومن خلاله يمكن القول بانه خدم المكتبات العربية كثيرا حيث صدر له في الفن والادب والتاريخ عشرين مؤلفا ومترجما وكذلك في الاقتصاد والعلوم البحرية ثمانية عشر مؤلفا ومترجما .

ويقع الكتاب في مجلد واحد ويتضمن تسعا وخمسين خريطة مشروحة لافريقيا تغطي فترة زمنية تمتد من ١٧٥ مليون سنة حتى نهاية القرن العشرين بعد الميلاد . وساهم هذا الكتاب بتوضيح وشرح بعض الموضوعات بشكل ثانوي في التمهيد والفصل الثاني بخصوص نشاة بعض القبائل وتحركاتها التجارية وطرقاتها في المنطقة وبما فيه من الأحداث التاريخية الكبرى .

---

(١) مطبوع بالهيئة المصرية العامة للكتاب .

الفصل الأول

العوامل التي ساعدت على نشاط
الحركة العلمية والثقافية في فترة البحث
٨٤٢ – ١٠٠٠هـ/١٤٦٤ – ١٥٩١م

(١) العقيدة الاسلامية ووسائل انتشارها في منفاى .

(٢) المكانة الاجتماعية للعلماء .

(٣) تشجيع الحكام للعلماء والدعاة والقضاة .

(٤) المكتبات وخزانات الكتب .

(٥) توفير مصادر الانفاق للدعوة الاسلامية .

المبحث الأول

العقيدة الاسلامية واثرها في النشاط العلمي والثقافي في فترة البحث

لقد مارس اهل صنغاى قديما انواعا متعددة من العبادات ، اذ عبدوا كل ماوجدوه حولهم من الاشياء ، فكانوا يعبدون الجن ويعملون على كسب رضاهم ، وكان معبدهم الشامل يضم عددا كبيرا من الآلهة التى صنعوها بايديهم ، منها "هيراكى ديكو"(١) اله النهر ، وقد ارتبطوا كثيرا بهذه الأنهار وزاولوا اعمالا متعددة فيها ، وخاصة نهر النيجر(٢) الذى يشق البلاد كلها ، و"دونجو" اله الصواعق .

وزيادة على ذلك قدموا للشمس قدرا كبيرا من الاحترام ، اذ كان بعضهم يعبدها ويسجد لها بمجرد مايراها تبرز فى الافق ، وبعضهم يعبد النار كاهل مدينة ولاتة (٣).

---

(١) هذا الصنم كان فى ضفاف الأنهار .

(٢) هذا النهر اكبر الانهار واشهرها فى صنغاى .

(٣) تقع مدينة ولاته شمال غرب مدينة تمبكتو ، وكانت هذه المدينة ملجا للفارين من سن على ملك صنغاى .
الحسن الوزان : وصف افريقيا ، ج١ ، ص ٢٩ ، ج٢ ، ص١٦٠ ترجمه محمد حجى والأخضر ، طبعة دار الغرب الاسلامى ، طبعة ثانية عام ١٩٨٣م ، تاريخ افريقيا العام من القرن الثانى عشر الى القرن السادس عشر الميلادى ص٢١٩ لمجموعة من الاساتذة ، طبعة يونسكو ، مترجم بالعربية بدون تاريخ .

وعندما استيقظ أهل تلك البلاد من غفلتهم وجدوا انفسهم محاطين بهذه الأشياء من كل جهة فاخذوا يتعايشون معها ، وكان لابد ان يصرفوا طاقاتهم فيها باعتبارها نوعا من العبادة ، وخاصة السحر الذى كان يلعب دورا هاما فى حياتهم

كان السحرة يجدون احتراما متزايدا بين الجماهير بصفتهم خداما للقوة الشريرة التى تخيف المجتمع وتتسلط على افراده المسماة "التيركى"(١).

وهكذا كانت الأمور الغيبية ذات تاثير قوى فى قلوب أهل السودان الغربى ، ثم جاء الاسلام فوجد هذه المعتقدات التى سيطرت على الكثيرين منهم شيئا فشيئا .

ووجد اناسا قد الفت عقولهم أنواعا من المعتقدات الضالة ، واستطاع علماء المسلمين ان يبينوا لمن حولهم من اهل البلاد خطا معتقداتهم ويعينوهم على نبذ الخرافات التى كانت سائدة بينهم وشجعوهم على عدم الخوف من السحر والسحرة والأرواح الشريرة التى كانوا يزعمون انها تحيط بهم اينما ذهبوا ، كما بينوا لهم ان المسلم لايخاف الا الله الذى خلقه وبيده مصيره ، ومادام ينفذ أوامر ربه فهو فى مامن من هذه الأرواح الشريرة (٢).

---

(١) وهو نوع من السحرة لأن السحرة عندهم اما مطببون واما المشعوذين .

(٢) الحسن الوزان : وصف افريقيا ٦٧/١ المصدر السابق ، عبد القادر محمد سيلا : المسلمون فى السنغال معالم الحضارة وآفاق المستقبل ص ٣٧-٤٢ ، كتاب الأمة رقم ١٢ سلسلة فصلية تصدر عن رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية فى دولة قطر الطبعة الأولى شوال ١٤٠٦هـ ، تاريخ افريقيا العام ٢١٩/٤ ، المرجع السابق .

ومن هنا كان اقبال الناس على هذا الدين وكانت سرعة تمكنه في نفوس جميع الطبقات في جميع الأماكن ، وخاصة في عهد الاسيكيين (١) .

وقد بنى اسكيا محمد الأول (٢) ، جميع اعماله على نشر الدين الاسلامي ، وكان "يستعين بارشادات كبار العلماء مثل الامام محمد بن عبد الكريم المغيلي (٣)، والامام عبد الرحمن السيوطي (٤) في مصر "، وكان لهذين العالمين دورهما في توجيه السلطان، ومعهما كوكبة من العلماء المحليين في دولة صنغاي واستطاعوا محاربة الأوثان ومطاردة حماتها ، و"فرضوا نظام

---

(١) فاذا كان قد وجه الى سن على انتقادات هو والعلماء في عهده على حد تعبير اسكيا محمد الأول والمؤرخ السعدي وغيرهما ، فهذا لاينفي ابدا وجود علماء أجلاء مجدين في اعمالهم ومخلصين لله في تثبيت العقيدة الاسلامية ونشرها حيث كان سن على نفسه يعين في المدن أئمة وقضاة وهؤلاء كان لهم دورهم في اداء واجباتهم .

(٢) هو المؤسس لحكم أسرة الأساكي الذين حكموا صنغاي بعد أسرة سن مباشرة وقد بدا حكم أسرة الاسيكيين ، من مؤسسه محمد الأول سنة ١٤٩٢م ، محمود كعت : تاريخ الفتاش في اخبار البلدان والجيوش واكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الأمور وتفريق انساب العبيد من الاحرار عام ١٣٣٥هـ ، الحسن الوزان : وصف افريقيا ص ١٧١ ، المصدر السابق .

S.M.C. : Histoire de L'afrique Occidental. p. 102

Jone Roche : Le Songai. p. 10. C.N.R.S. Paris .

(٣)،(٤) انظر الصفحات التالية : ٢٩ ،

القضاء الاسلامي"(١)في المدن والريف ، وقرروا العمل "بمذهب الامام مالك"(٢) في جميع انحاء الدولة .

وهكذا تمكنت العقيدة الاسلامية في المدن اكثر من غيرها وكان لكل من مدينة غاو(٣)، وتمبكتو(٤)، وجني(٥)، وكانو(٦)، وكاتسينا(٧)، وولاته(٨)وغيرها مساجدها وائمتها وقضاتها ومدافنها وكثير من المدارس التي كان يتولاها بعض اهل التقوى والعلم وبعض الصالحين الذين مازالت سمعتهم تحظى بالتبجيل في منطقة منعطف نهر النيجر(٩).

فاصبحت رمزا حقيقيا لمظاهر العقيدة الاسلامية بفضل الله ثم بفضل السياسة الرحيمة التي انتهجها بوجه خاص ملوك غاو .

واخص بالذكر منهم أسرة الاسيكيين ، اذ كان عصرهم نصرا زاهرا في تثبيت هذه العقيدة ، فلقد حذت هذه الأسرة حذو مؤسسها اسكيا محمد الأول ، "فكرموا علماء الاسلام" الذين جاءوا اليهم من كل مكان من انحاء العالم الاسلامي "اعظم التكريم"(١٠).

وخير دليل على ذلك كثرة الرسائل التي كانت تتم بين ملوك هذه البلاد وبين هؤلاء العلماء ولم يتركوهم هملا ، بل "اغدقوا عليهم الهدايا وكفلوا لهم مكانة اجتماعية لامثيل

---

(١)،(٢) انظر الصفحات التالية ٦٨-٧١ ، وكذلك تاريخ افريقيا العام ، ج٤ ص ٢١٩ .

(٣)،(٤) سياتي ذكرهم في الفصل الثاني بالتفصيل .

(٥)،(٦)،(٧)،(٨) سياتي ذكر هذه المدن بالتفصيل في الفصل القادم .

(٩) السعدي : تاريخ السودان ص ١٦،٢٧،٥٦ ، المصدر السابق .

(١٠) محمود كعت : تاريخ الفتاش ، ص ١٢ ، المصدر السابق ، الحسن الوزان : وصف افريقيا ١٦٧/٢ .

لها في البلاد "(١).

وان لم يكن هؤلاء الملوك في درجة واحدة من القوة ، فاسكيا داود (٢) خير دليل على قوة حبه للعلماء ومداومته لخدمتهم ، حتى اصبح واحدا منهم ، وكان عهده من احسن مايكون في ازدهار الحركة العلمية في صنغاي .

وقد تحقق هذا الازدهار بفضل ماتميز به السودان الغربي من رخاء عام اجتذب منذ القرن التاسع الهجري ، الخامس عشر الميلادي عددا من العلماء (٣) الوافدين (٤)، واستطاعت السلطات ان تقدم لهم العناية الكفيلة باداء مهمتهم ، فان دل ذلك على شيء فانما يدل على تمكن العقيدة الاسلامية فيهم.

وقد تضافرت جهود العلماء - دعاة ومعلمين ، وائمة وقضاة في سبيل اداء مهامهم .

وفي مناطق الحضر تكونت صفوة من المسلمين المثقفين ، استطاعت بجهد خلاق كبير أن تسهم في شرح الاسلام وتفسيره (٥)، للعامة والخاصة ، عندما كانت مهمة التعليم من احسن الوسائل التي تتم عن طريقها ترجمة هذه العقيدة الاسلامية أولا ثم العمل بمقتضاها ثانيا ، كان المعلمون في جميع جهات الدولة الاسيكية على اختلاف طبقاتهم يحظون باحترام كبير من

---

(١) السعدي : تاريخ السودان ص ٧١-٧٣ ، المصدر السابق .

(٢) وهو من ابرز ابناء اسكيا محمد الأول ، واشهر حكام صنغاي بعد أبيه .

(٣) محمود كعت : تاريخ الفتاش ص ١٢ ، المصدر السابق .

(٤) سياتي ذكر بعض هؤلاء العلماء ودورهم في اثراء الحياة العلمية في صنغاي في الفصول القادمة .

(٥) السعدي : تاريخ السودان ، ص ١٦، ٢٧، ٥٦ المصدر السابق تاريخ افريقيا العام ، ج٤ ، ص ١٩٩ .

قِبَل السلطة او الاهالى(١)، ويشهد بذلك كثرة امكنة التدريس سواء فى المساجد او منازل العلماء او حتى فى المرافق العامة كالأسواق وغيرها ، او تحت الأشجار احيانا ، او اى مكان يراه القاضى او المعلم مناسبا لهذه المهمة ، لأن من بين مهام القاضى رعاية شئون التعليم ومعرفة احوال المدرسين والتلاميذ .

وهذا اكبر دليل على اقبال الناس على التعليم بشكل يلفت الانتباه ، واصبح للمعلمين دور مهم فى حياة الناس ، ولهم "مشاركة اجتماعية واسعة النطاق فى ايام الاسيكيين" (٢) .

حيث جرت العادة ان يدعوا الى الولائم العامة ، واصبحوا حجر الزاوية فى جميع تصرفات الناس دينيا واجتماعيا ، مما يدل على شدة حب الناس لعقيدتهم ، وكان للطلبة ايضا مكانتهم بعد المعلمين ، فقد شاركوا معلميهم فى تلك الحفلات والولائم ، وقد ظهرت عادات كثيرة فى حياة الناس وتصرفاتهم اليومية التى تتكرر دائما اهمها :

* المناسبات الدينية : مثل صيام شهر رمضان ، والاحتفال بليلة القدر والعيدين وغير ذلك(٣) .

* الافراح فى المنازل : جرت العادة على استدعاء طلبة القرآن الكريم ومعلميهم لانشاد بعض القصائد المناسبة ، ثم

---

(١) محمود كعت : تاريخ الفتاش ص ١٢ ، المصدر السابق ، الحسن الوزان : وصف افريقيا ١٦٧/٢ المصدر السابق ، عبد القادر زبادية : مملكة سنغاى فى عهد الاسيقيين ، ص ١٤١ ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر .

(٢) الفع محمود كعت:تاريخ الفتاش ص١٣٠، ١٣١ المصدر السابق

(٣) Jone Roche Op. cit. p. 59 .

توزع عليهم الهدايا (١).

* احترام العلماء : وقد اتسم أهل البلاد بقدر كبير من الصدق والاخلاص فى التحمس لهذا الدين علما وعملا واخلاقا يدل على شدة حبهم لعلمائهم وفقهائهم فى حياتهم وبعد مماتهم بالاكثار من الدعاء لهم ، ودعوة الناس كى يسيروا على نهجهم .

وقد ذكر لنا ذلك كل من محمود كعت(٢) ، وعبد الرحمن السعدى(٣)، فى كتاباتهم ، ولايقتصر ذلك على سواد الناس وانما شمل العلماء أو الفقهاء الذين فى قيد الحياة ، امثال احمد بابا التمبكتى(٤)، ومحمود كعت وغيرهما .

---

(١) محمود كعت : تاريخ الفتاش ص ١٢٤ ، المصدر السابق .

(٢) مؤرخ ومعاصر لدولة صنغاى فى فترة البحث ، بفترة طويلة ، ومن كتبه : تاريخ الفتاش فى اخبار البلدان والجيوش واكابر الناس وذكر وقائع التكرور ، وعظائم الأمور وتفريق انساب العبيد من الأحرار ، ص٩٢ .

(٣) مؤرخ مشهور اتى فى نهاية دولة صنغاى ، ومن كتبه تاريخ السودان .

Jone Roche Op. cit. p. 5 .

(٤) عالم ومؤرخ عاصر الأحداث فى نهاية دولة صنغاى ، أخذ الى مراكش ، وله مؤلفات تصل الأربعين فما فوق .

وسائل انتشار العقيدة الاسلامية
في صنغاي في فترة البحث

استطاع الاسلام ان يصل الى بلاد السودان الغربى فى وقت مبكر (١)، وقد كانت طريقة وصوله وسرعة انتشاره مذهلة جدا ، وعندما نحصر الذين ساعدوا على نشره فى تلك المنطقة نجدهم اصنافا ثلاثة : التجار المتجولون (٢)، والمجاهدون الفاتحون (٣)، ومن ثم الدعاة المتصوفون (٤).

---

(١) المسعودى ت ٩٤٦هـ : مروج الذهب ومعادن الجوهر ٣٣٩/١ دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ، الطبعة الاولى ١٩٨٢م/ ١٤٠٢هـ .

(٢) ياتى ذكر دور التجار فى نشر الاسلام فى صنغاى وازدهار مراكز التجارة والثقافة فى الفصل الثانى .

(٣) فقد تولى حكام غانة ومل وصنغاى بانفسهم نشر الاسلام فى بلادهم ، وجاهدوا فى سبيل ذلك منذ ان وصل اليهم الاسلام

(٤) وصلت فكرة التصوف الى بلاد السودان الغربى على يد الدعاة الذين جاءوا من شمال افريقيا منذ القرن الثامن الهجرى ، الرابع عشر الميلادى ، ونقله الى جنوب الصحراء الكبرى الداعية الامام محمد بن عبد الكريم المغيلى ، واخذت الصوفية القادرية - تنتقل بين المراكز الثقافية والتجارية من توات الى ولاته ومن ثم الى تمبكتو .

ومما يلاحظ هنا ان القادرية كانت هى السائدة وحدها فى بلاد السودان الغربى حتى سنة ١٨٥٠م .

انظر : محمود كعت : ص ١٨، ١٢٤ المصدر السابق ، حسن احمد محمود : الاسلام والثقافة العربية فى افريقيا ، =

ويمكن القول بان العقيدة الاسلامية التى وصلت الى تلك الناحية كانت محمولة على اكتاف التجار المسلمين والدعاة المعلمين اكثر من اى شىء آخر .

وقد لعبت التجارة وطرقها المتعددة دورا كبيرا فى نشر الاسلام فى بلاد السودان الغربى ، بشكل ملفت للنظر ، وقد وُجِدَ هؤلاء التجار فى المدن والقرى المنقية بعدد هائل ، وكانت قوافلهم تتوالى فى الطرق المتعددة (١) التى تصل الى بلاد السودان الغربى ، وكان معظم هؤلاء التجار دعاة ومعلمين يمارسون عملهم فى كل مكان اقاموا فيه أو ارتحلوا اليه ، حيث كانوا يبداون بدعوة أهل البلاد الى الدخول فى الاسلام وقد وجدوا ترحابا واقبالا شديدين لدى أهل تلك البلاد بسهولة ويسر ، فدخل عدد كبير من السكان فى غرب افريقيا الى الاسلام

مطبعة دار الفكر العربى ، القاهرة سنة ١٩٨٦م ، ص ٢٤٧ شوقى عطا الله الجمل : الحضارة =

= الاسلامية العربية فى غرب افريقيا ودور المغرب فيها ، مجلة المناهل ، عدد (٧) سنة (٤) ، نوفمبر ١٩٧٦م ، ص ١٤٦ ، نعيم قداح : افريقيا الغربية فى ظل الاسلام ، ص ١٣٨ ، كوناكرى ١٩٦٠م ، جلال عباس : المد الاسلامى فى غرب افريقيا ، ص ٧٥ ، مطبعة دار المختار الاسلامى بالقاهرة .

(١) الحسن الوزان : وصف افريقيا ٢/١٦١،١٦٤ ومابعدها ، المصدر السابق ، الشيخ امين عوض الله : العلاقات بين المغرب الاقصى والسودان الغربى فى عهد السلطنتين الاسلاميتين مل وصنغاى ، ص ٢٣٩-٢٤١ ، دار المجمع العلمى بجدة ، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ/١٩٧٩م .

وقد ظهر اثر هؤلاء منذ قيام دولة غانة الاسلامية ، وتطور في عهد دولة مل ، ومن ثم في دولة صنغاى .

ولحكام هذه الدول دور بارز في نشر الاسلام والجهاد في سبيل الله بجميع الوسائل المتاحة لهم .

واما الدعاة فقد ساندهم التجار والحكام ومارسوا اعمالهم كمعلمين ووعاظ واستطاعوا تثبيت العقيدة الاسلامية في وقت وجيز بفضل ماوجدوه من الدعم المادى والمعنوى من قبل السلطات المحلية ، وسهولة اقبال الناس وشدة رغبتهم في التعلم .

وازدادت هجرةُ العلماء من المدن المجاورة ، وكثر ورودهم في صنغاى ، ونتج عن ذلك وُجُودُ عَدَدٍ كبير من المساجد والمدارس ، وزاد الاقبال على التعليم الاسلامى ، فارتفع عدد الطلاب كثيرا .

وقال الحسن الوزان (١) عندما زار صنغاى ونزل بمدينتى تمبكتو ، وجنى : "ولهم مساجد كثيرة وائمة واساتذة يدرسون في المساجد" (٢) ، "يدفع الملك اليهم جميعا مرتبا حسنا ويعظم الادباء كثيرا" (٣) .

وتمكنت العقيدة الاسلامية من الحكام وعامة الناس على حد سواء واصبحت الشريعة الاسلامية هى المرجع الأساسى في امور الدولة ، وذلك منذ عهد اسكيا محمد الأول (٤) ، حيث استطاع ان

---

(١) انظر ص ١٨ .

(٢) وصف افريقيا ، ج٢ ، ص ١٦٤ ، المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق ص ١٦٧ ، عبد القادر زبادية : المرجع السابق ، ص ١٠٠ .

(٤) سبق ذكره ص ٢٩ .

ينصب القضاة المسلمين في جميع المدن والقرى في بلاده ، وبالغ في أكرام العلماء المحليين والوافدين على حد سواء(١) .

واصبحت المراكز التجارية في دولته مراكز ثقافية بنفس الوقت .

كما اصبحت المُدُنُ الكبرى تتنافس في استقبال عدد الدعاة والعلماء واقامة المساجد والمدارس ، ولم تلبث ان اصبحت مدينة تمبكتو ، المرجع الأول في الدولة ، وفَوِّضَ معظمُ امور الناس الى القاضي ، وأُنشِأتْ محكمةُ الجنايات الكبرى في العاصمة غاو ، وظهر لأول مرة تطبيق حد الزنا(٢).

واما عامة الناس فقد حملوا على السبل اليسيرة لأخذ العلم الكافي الصحيح من العلماء المالكيين ، حيث ان المعلومات التي حملوا عليها ، وعرفوها في صنغاي مستمدة من مذهب الامام مالك(٣)، وكان ذلك مدى مباشرا لما كان عليه علماء المغاربة حتى ذلك الحين(٤).

ولعل ذلك أول مرة في بلاد السودأن الغربي ، تنتشر المعارف الصحيحة عن الكون في صنغاي بواسطة الاسلام ، ويكون على مستوى الخاصة والعامة ، ويصبح حجر الزاوية في العقيدة

---

(١) محمود كعت : ص ٥٩ المصدر السابق ، عبد القادر زبادية ص ١٤١ .

(٢) السعدى : تاريخ السودان ، ص ٧٤-٧٥ المصدر السابق .

(٣) سياتي تعريفه في الفصل الرابع .

(٤) احمد بابا : نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، ص ٣٤٤ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

والمعاملات ، ويفهم معظم افراد الدولة ماله وماعليه تجاه الدين الاسلامى ، وعقيدته .

ومن اهم ظواهر العقيدة الاسلامية ودليل تمكنها لدى الناس ، ماقام به الحكام والعلماء من محاربة الاعمال السحر القديمة؛لأنها اعتبرت اوهاما لاتليق بدولة اسلامية متفتحة على العالم (١).

وانتهى دور الكهان والسحرة الى غير رجعة حيث لم يعد له اى اثر ، وحبست الأصنام فى جب الخيال .

وقد اهتم العلماء بالعلوم الدينية واللغوية والآداب عن غيرها من العلوم حيث اصبحت العلوم الدينية واللغوية هى السائدة ، وكل ماعداهما يعد نادرا (٢)، وامسك العلماء زمام التعليم والثقافة ، وسارت السلطة والحكام فى اتجاه الاصلاح الدينى والمعارف .

وهكذا تمكنت العقيدة الاسلامية فى نفوس وقلوب ابناء هذه البلاد (٣)، وساهمت مساهمة فعالة فى انتشار العلم والمعرفة ، والثقافة الواعية فى هذه الدولة الاسلامية التى خدمت الاسلام واهله ووضعت كل امكاناتها فى سبيل نشره ، وتعليمه وتفهيمه .

---

(١) محمد بن عبد الكريم : اسئلة الأسقيا واجوبة المغيلى ص ٣٤-٣٥ ، تحقيق وتقديم عبد القادر زباديه ، عبد القادر زبادية : المرجع السابق ، ص ١٣٥ .

(٢) يمكن ملاحظة ذلك فى الفصل الرابع فى هذا البحث .

(٣) محمود كعت : تاريخ الفتاش ص ١٧٩-١٨٠ المصدر السابق ، عبد القادر زبادية : المرجع السابق ، ص ١٣٦ .

المبحث الثاني

المكانة الاجتماعية للعلماء

دور العلماء في نشر الاسلام وتعليمه وتفهيمه في بلاد السودان الغربي معروف منذ بداية دخوله في القارة الافريقية ومكانتهم الاجتماعية عند اهل البلاد لايختلف فيها اثنان ، وقد بدا ذلك منذ دولة "غانة" ، ودولة "مل" ، ومن ثم استمر دورهم في عهد دولة صنغاى ، واحسن ماقيل في هذا الأمر هو قول السلطان سن على(١) : "لولا العلماء لاتحلو الدنيا ولاتطيب" (٢).

ومع انه اتهم باضطهادهم كان يحترمهم ، ولم يكن للسلطة العسكرية اى تاثير امام نفوذ العلماء في صنغاى قبل مجيء سن على الى الحكم سنة ١٤٦٤م .

وقد استطاع العلماء ان يضعوا القواعد التي يهتدى بها حكام هذه البلاد في جميع مايتعلق بشئون الحكم ومعاملة الناس ، وفق الشريعة الاسلامية ، فالامام المغيلي كتب لسلطان كانو ، وكاتسينا كتابا فيما يجوز للحاكم في ردع الناس عن الحرام (٣) ، وكتابا آخر لاسيكا محمد الأول سلطان

---

(١) وهو اشهر حكام صنغاى واقواهم ويعتبر المؤسس والموسع الحقيقي لمملكة صنغاى وقد حكم فيما بين ٨٦٩-٨٩٧هـ . محمود كعت : ص ٤٢ المصدر السابق .

(٢) تاريخ السودان : المصدر السابق ، ص ٦٧ .

(٣) الشيخ عثمان بن فودى : تنبيه الاخوان على احوال ارض السودان ، ص ١٨ ، مخطوط يوجد نسخة في مركز احمد بابا في تمبكتو رقم ١٠١٠ ، آدم عبد الله الالورى : الاسلام في نيجيريا ، وعثمان بن فودى . انظر الملحق .
T.S.Trimingham : Op. cit. p. 59-63 .

منغـاى(١)، وامـا الامام عبد الرحمن السيوطى فقد وجه رسالة الـى حكـام بـلاد التكرور (٢) عـامة ، وصاحب اكدز (٣)، واخويه وصـاحب كاتسـينا (٤) بصفـة خاصـة بالاضافة الى جهود العلماء المحليين المتواصل .

ولاشـك أن شـعب المنغـاى كـان على مستوى رفيع من الوعى الـدينى اسـتطاع ان يدرك اهمية العلم فالتف حول العلماء ، وقـال شاهد عيان زار المنطقة فى تلك الفترة ان "تمبكتو فى وقـت زيارته لها كانت مليئة بالعلماء والفقهاء والائمة وان

---

(١) اسـئلة الاسـكيا واجوبة المغيلى ، مخطوط مصور من الاصل فـى مركـز احمد بـابـا ، رقم ٦/٣٩٩٩ ، وكذلك نسخة اخرى بعنوان : محمد بن عبد الكريم المغيلى ، تقديم وتحقيق الاسـتاذ عبـد القـادر زبـادية ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ١٩٧٤م .

(٢) تطلق كلمة التكرور على المكان والسكان على حد سواء ، وتقع حاليا فى السنغال وغامبيا وماحولهما .
المنجـد فـى اللغـة والاعـلام ، ص ١٩٠ ، دار المشـرق ، بيروت ، الطبعة السادسة والعشرون.

(٣) مدينـة مشـهورة مـن مدن السودان على تخوم ليبيا وتقع بيـن كـانو ، وبرنـو ، كـان يـؤدى صاحبها الخراج الى صاحب تمبكتو .
وصف افريقيا ، ج٢ ،ص ١٧١ ، المصدر السابق .

(٤) من ممالك الحوصا ، وتجاور مملكة كانو ، استولى عليها اسكيا محمد الأول وضمها الى صنغاى ، المصدر السابق .

هؤلاء يتمتعون بروات سخية ، ويعاملون باحترام وتعظيم"(١) فاق كل التصورات .

ولم يكن هؤلاء العلماء كلهم على مرتبة واحدة فى اعتقاد الناس وانما كانوا على درجات متفاوتة على حسب العادات والتقاليد الاجتماعية المتوارثة . فقد تبوأ الاشراف من العلماء المراكز العليا باعتبارهم من أحفاد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد امتد انتشارهم فى بلاد السودان الغربى ، فى عهد آل اسكيا (٢)، وعندما "وصل اليهم الشريف أحمد الصقلى"(٣)اقام اهل تمبكتو حفلا كبيرا لاستقباله "فاكرموه وحملوه على أعناقهم الى محل اقامته ، وانزلوه هناك ثم قدموه الى المصلى فصلى بهم العيد"(٤)، وقد صار له فى هذه البلاد كل مايتمناه المرء من احترام

---

(١) وصف افريقيا ، ج٢ ، المصدر السابق ص ١٦٧ ، ابراهيم على طرخان : دولة مل ، ص ١٥٢ .

(٢) آل اسكيا هم الذين حكموا صنغاى بعد أسرة سن ، واستمر حكمهم الى نهاية دولة صنغاى .

(٣) هو احمد بن عبد الرحمن بن ادريس بن أبى يعزى بن حسن ابن ابراهيم بن عبد الله بن عيسى بن ابراهيم بن عبد الرحمن ، عرف بزين العابدين بن الحسن بن على بن ابى طالب . تاريخ الفتاش ، ص ١٨ .

Mervyn, Hiskett : The Development of Islam in west Africa. p. 54 .

Longman studies in Africa Historiy. London and New York .

(٤) تاريخ الفتاش ، المصدر السابق ص ١٨ .

وتعظيم ، واغدقت عليه شتى انواع الهدايا ، وهكذا اصبح هو وذريته من اهم الشخصيات التى كانت لها مكانتها فى البلاد .

ويأتى بعد الاشراف اهل بيوت العلم من سكان البلاد لمكانتهم الاجتماعية منذ فترة بعيدة لكونهم اهل العلم ويتوارثونه فيما بينهم واشتهروا به .

ومن اهم هذه الاسر آل اقيت : كانوا ممن لهم الوجاهة والرياسة الشهيرة ببلاد صنغاى دينا ودنيا ، بحيث تعدد فيهم الائمة والعلماء والقضاة وتوارثوا رياسة العلماء مدة طويلة (١) .

فهؤلاء لايُشَقُّ لهم غُبَارٌ ، اذ أُلقِيَتْ محبّتُهم فى قلوب العامة فى صنغاى كلها وخير دليل على قوة مركزهم الاجتماعى انهم عندما تنبهوا الى غزو المغربى لصنغاى واعتدائه على اهلها عارضوه لمخالفة ذلك للشريعة بحق معاملة المسلم للمسلم ، ولاقوا فى سبيل ذلك عنتا كبيرا من المنصور (٢)، فقبض على جماعة كبيرة منهم ، وانتهبت ذخائرهم وكتبهم ، وقتل بعضهم ونفى البعض الآخر الى مراكش(٣)، وكان ذلك بسبب

---

(١) تقرب من مائتى سنة . السعدى : تاريخ السودان ص ٣٠ المصدر السابق ، عبد القادر زبادية ، المرجع السابق ص ١٣٨ .

(٢) هو احمد المنصور الملقب بالذهبى سلطان المغرب فى عهد دولة السعديين .

(٣) تاريخ الفتاش ، المصدر السابق ، ص ١٧٤ ، تاريخ السودان ، المصدر السابق ، ص ١٦٨ ، الناصرى : أحمد ابن خالد السلاوى : الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى ، ج٥ ، ص ١٢٩ ، الدار البيضاء ١٩٥٥ ، اليفرانى : محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله النجار المراكشى : نزهة =

وقوفهم فى وجه هذا الاعتداء على حرمات المسلمين .

ومن علماء هذه الفترة : آل اند غمحمد وهم بيت علم وصلاح وقد توارث هؤلاء مراكز مهمة فى البلاد كالقضاء والامامة

= الحادى باخبار ملوك القرن الحادى ، ص ٩٧ ، بتصحيح السيد هوداس ، الطبعة الثانية ، مكتبة الطالب بالرباط ، ابو بكر على : نيجيريا قبل الاستعمار حتى ايام الاستقلال ، ص ٩ ، محمد عبد الفتاح ابراهيم : افريقيا من السنغال الى نهر جوبا ، ص ١٢٠ ، مصر ١٩٦١م ، محمد الغربى : بداية الحكم المغربى فى السودان الغربى ، ص ٣٢٠ ، دار الرشيد للنشر ، وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد ١٩٨٢م ، الأمين محمد عوض الله العلاقات بين المغرب الاقصى والسودان الغربى فى عهد السلطنتين الاسلاميتين مل وصنغاى ، ص ١٠٨ ، الناشر : دار المجمع العلمى بجدة ، الطبعة الأولى ١٩٧٩/١٣٩٨هـ مجلة كلية الشريعة بالاحساء ، عدد ٢١٠ ص ٢٤١ ، المرجع السابق .

Felix Dubois, Toumbouctou la Mysterieuse . p.337-339 , R.Mauny : Notes D'archeologie au sujet de gao, p. 340, V.Monteil : L'islam Noir, p. 78 , Berand V. L'ampire de gao un etat soudanais du 15s au 16s , p. 59 , Cheick A.D.L'afique Noir pre coloniale, p. 144 , Michel, A. Tombouctou et les Arma, p. 64-68, Chancellor W. The Destruction of Black civilization from 4500 to 2000 A.D. p.221

والتدريس(١)، وهؤلاء قليل من كثير وامثالهم لايعد ولايحصى .

وقد استطاع العلماء ان يهيئوا لانفسهم مكانة خاصة نتيجة لما يقومون به من اعمال باخلاص وامانة فكانت حقوقهم التي اكتسبوها من طبيعة الأعمال التي يزاولونها هي وحدها التي بواتهم مكانة بين الناس جميعا (٢).

وبالتالي جعلتهم محل رعاية خاصة من طرف الحكام والوجهاء والعامة على السواء (٣).

فقيمة العمل انه يعكس صداه دائما على عامله ثم يكون مدى تقبل الناس به وتعلقهم بصاحبه ، ولذا فان قيمة العلماء الاعتبارية سواء من طرف السلطة او المجتمع تبقى ثابتة او تضعف بمقدار مايحفظون عليه من السلوك المستقيم .

ولم يرث العلماء في صنغاى هذه المكانة الا بما بذلوه من جهد كبير ، ومن اشهر العلماء الذين ادوا دورا كبيرا في هذه البلاد في تلك الفترة ، واكتسبوا مكانة اجتماعية عظيمة :

---

(١) البرتلي : فتح الشكور في معرفة اعيان علماء التكرور ص ١٠٩ ، تحقيق محمد ابراهيم الكتاني ، ومحمد حجي ، من منشورات الجمعية المغربية للتاليف والترجمة والنشر ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت عام ١٤٠١هـ/١٩٨١م

(٢) يرى بعض المؤرخين ان العلماء بما فيهم القضاة كانوا من الطبقة الوسطى بين افراد المجتمع في صنغاى ، ولاينطبق ذلك على كبار العلماء وقضاة المدن الكبرى .

(٣) تاريخ السودان ، المصدر السابق ، ص ٩١،٧٦ .

كاتب موسى(١) : مكث فى الامامة والتدريس أربعين سنة لم يستنب ولو فى صلاة واحدة (٢)، وقد كفاه عمله هذا فخرا ، فلابد ان يكون أثره فى حياة الناس اكثر من اجتهاده ، حيث عاش فى دولتى مل وصنغاى معا (٣).

ومنهم القاضى محمود بن عمر بن محمد آقيت ت ٩٥٥هـ ، عالم التكرور وكان من خيار الصالحين العارفين ، اشتهر علمه وصلاحه فى البلاد ، وطار صيته شرقا وغربا لايخاف فى الله لومة لائم يهابه السلاطين فمن دونهم ، ويزورونه فى بيته ويقدمون اليه الهدايا والتحف تترى ، وكان جوادا كريما يفرق مايهدى اليه بين الناس .

لايعرف له نظير فى وقته مع ملازمة التدريس ، فانتفع به بشر كثير ، واحيا العلم بتلك البلاد ، واشتهر هناك وكثر طلبته ، وحج والتقى باشهر السادات ثم رجع وقد بلغ من الاحترام وتعظيم القدر مبلغا لم ينله غيره من معاصريه فى صنغاى ، وبيته بيت علم وصلاح ، وقد كان فى ذريته علماء

---

(١) القاضى عبد الرحمن بن ابى بكر بن الحاج .

(٢) سئل عن سبب ذلك فقال : احسبها من ثلاثة اشياء :

(أ) مابت فى الهوى ولو ليلة واحدة فى الفصول الأربعة كلها .

(ب) ومابت ليلة واحدة الا ودهنت جسمي وبعد الفجر استحممت بالماء السخون .

(ج) وماخرجت لصلاة الصبح قط الا بعد الفطور .

(٣) تاريخ السودان ، المصدر السابق ، ص ٥٧ .

وقفاة واثمة ، وغيرهم كثير (١) لايحتمل هذا البحث ذكرهم جميعا .

وبالجملة اصبح للمعلمين فى جميع جهات المملكة الاسيكية على اختلاف درجاتهم احترام كبير سواء من طرف الاهالى او السلطة (٢) .

واستحقوا هذا الاحترام بالعمل الذى كانوا يقومون به من اعمال جليلة كالتدريس ، والوعظ او النصيحة على الاقل ،

---

(١) منهم على سبيل المثال : محمد بن محمود بن ابى بكر الونكرى التمبكتى ١٠٠٢هـ ، ومحمد بن محمد بن على موسى عريان الراس ، واحمد بن احمد بن عمر بن محمد ت ٩٩١هـ ، وغير هؤلاء كثيرين .
احمد بابا التمبكتى : نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، ص ٩٣، ٣٤١، ٣٤٣ ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس فى الديباج ، ص ٤٦، ٣٨١ مخطوط بمكتبة الحرم المكى رقم ٤٩ ، محمد بن محمد مخلوف : شجرة النور الزكية فى طبقات المالكية ، ص ١٥٤، ٢٨٧ ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، البرتلى : فتح الشكور فى معرفة اعيان علماء التكرور ص ٢٩، ٦٢، ١١١، ١٥٤ ، المرجع السابق ، السعدى : تاريخ السودان ، ص ٥٢ ، المصدر السابق ، محمد الغربى : بداية الحكم المغربى فى بلاد السودان الغربى ، ص ٥١٨ المرجع السابق .

(٢) محمود كعت : تاريخ الفتاش ص ١٠٨ ، المصدر السابق ، الحسن الوزان : وصف افريقيا ١٦٧/٢ المصدر السابق ، عبد القادر زبادية : مملكة صنغاى ، ص ١٤١ ، المرجع السابق .

وفوق ذلك كله نوع المعاملة التى يتعاملون بها مع الناس على اختلاف مستوياتهم فى ممارسة حياتهم اليومية ، فانهم امام العلماء سواسية دائما .

ولم يكن الطلاب بدورهم يفارقون اساتذتهم فى حلهم وترحالهم وفى معظم الاحوال ، وبالرغم من ذلك كان العلماء لايضجرون ، بل كان اجتهادهم فى سبيل تلقين العلم لطلابهم يفوق رغبة الطلاب بكثير ، حيث ثبت ان معظمهم لايسمحون لانفسهم باى نوع من التقصير فقد وهبوا حياتهم كلها للعلم ولطلابه وكانوا يدرسون آناء الليل واطراف النهار فى شتى الاماكن ، وقال احمد بابا التمبكتى عندماكان يتحدث عن نشاط احد اساتذته الذى كان له الاثر الاقوى فى حياته قال عنه ، "وكان له صبر عظيم على التعليم آناء الليل واطراف النهار حريص على ايصال الفائدة للبليد بلاملل ولاكسل فنفع الله به كثيرا "(١).

---

(١) احمد بابا : نيل الابتهاج ، المصدر السابق ص ٣٤٣ ، محمد بن محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص ٢٨٧ ، عبد القادر زبادية ، المرجع السابق ، ص ١٥٠ .

المبحث الثالث

تشجيع الحكام للعلماء والدعاة

من العوامل التي ساعدت على استمرار الحياة العلمية في فترة البحث واتساع نطاقها تشجيع حكام صنغاي للحركة العلمية حيث بلغ الازدهار الحضاري اقصاه في بلاد السودان الغربي في عهد دولة صنغاي(١) .

وقد تحقق هذا الازدهار بفضل ماتميزت به صنغاى من رخاء عام(٢)، وبفضل السياسة الحكيمة التي انتهجها بوجه خاص ملوك غاو .

فكانت مهنة التعليم من أحسن الأعمال في أوساط المجتمع وكان للمعلم الحظ الأوفر من قبل السلطة الصنغية حيث كان المعلمون على اختلاف طبقاتهم يحظون باحترام كبير من قبل الأهالي أو السلطان(٣).

---

(١) السعدى : تاريخ السودان ص ٢١ ، المصدر السابق ، يوسف فضل حسن : العلاقة بين الثقافة العربية والثقافة الافريقية ، ص ٣٩،٤١،٧٣،٧٤ ، جامعة الدول العربية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، والعلاقات العربية الافريقية ، دراسة تحليلية في ابعادها المختلفة ، تونس ١٩٨٥م .

(٢) وشهدت المنطقة الواقعة من جنوب الصحراء الكبرى وغربها بالهدوء والرفاهية في عهد صنغاى .
محمود كعت : تاريخ الفتاش ص ١٧٩ المصدر السابق ، يونسكو : تاريخ افريقيا العام ، ج٤ ، ص ١٩٩ ، المرجع السابق .

(٣) محمود كعت : تاريخ الفتاش ص ١٠٨ المصدر السابق ، الحسن الوزان : وصف افريقيا ١٦٧/٢ ، المصدر السابق ، عبد القادر زبادية : المرجع السابق ، ص ١٤١ .

وفضلا عن ذلك كان ملوك صنغاى يعملون على دعوة العلماء من مناطق العالم الاسلامى المختلفة لتدريس العلوم (١) لطلاب العلم فى مدن صنغاى . وكانوا على اتصال بمختلف العلماء الكبار فى العالم الاسلامى وكثيرا ماكانوا يستفتونهم ، وبهذه الصورة جرى تبادل الرسائل بين كل من الامام المغيلى والامام السيوطى ، وعدد آخر من علماء فاس ومراكش(٢)، وفى عهدهم ازدهرت مدن بمراكزها الثقافية فى دولة صنغاى مثل مدينة تمبكتو ، ومدينة جنى ، ومدينة غاو ، ومدينة كانو ، ومدينة كاتسينا (٣) ، وغيرها .

واصبحت مدينة تمبكتو من اهم هذه المراكز،ففيها اجتمع العلماء المغاربة والاندلسيون والمصريون والحجازيون ووفد عليها الناس من كافة ارجاء غرب افريقيا لتلقى العلم فى مدارسها الشهيرة وخاصة معهد سنكورى(٤).

قال الحسن الوزانى(٥) : "ان مدينة تمبكتو وقت زيارته لها كانت مليئة بالعلماء والفقهاء والائمة وان هؤلاء كانوا

---

(١) تاتى التفاصيل لهذه العلوم فى الفصل الثالث والرابع.

(٢) محمد بن عبد الكريم المغيلى : اسئلة الاسقيا واجوبة المغيلى ص ٩٠٦ المصدر السابق ، عبد القادر زبادية : المرجع السابق ، ص ١٤٧،٨٤ .

(٣) سياتى ذكر هذه المدن بالتفصيل فى الفصل الثانى .

(٤) السعدى : تاريخ السودان ، ص ١٥٦ المصدر السابق ، يوسف فضل حسن : جامعة الدول العربية ، العلاقات العربية الافريقية ، ص ٧٤ ، مرجع سابق .

(٥) ولد الحسن الوزان عام ٨٨٨هـ/١٤٨٣م بمدينة غرناطة قبيل سقوطها فى يد الاسبانيين ، وزار صنغاى عدة مرات فى القرن السادس عشر الميلادى وهو رحالة ومؤرخ .

يتمتعون برواتب سخية ويعاملون باحترام وتعظيم "(١) من العامة والحكام على سواء فى صنغاى مما ليس له وجه أو مجال للانكار فى اى حال من الأحوال .

وقد كان للحج دور مهم مع أهل السودان الغربى فى رفع مستواهم الثقافى فى أنواع العلوم المختلفة ، فقد حرص ملوك السودان الغربى ومنهم ملوك صنغاى على الخروج فى مواكب جامعة لأداء فريضة الحج ، وكانت تلك الرحلات عاملا مهما لتلاق ثقافى عظيم بين المسلمين عامة ومسلمى غرب افريقيا بصفة خاصة (٢).

كذلك كان للبعثات العلمية التى كان يقوم السلاطين بتشجيع طلابها على تلقى العلم فى الحرمين الشريفين ومدارس القاهرة والجامع الأزهر حيث اقيمت لهم دار للضيافة فى الأزهر منذ القرن الثالث عشر الميلادى ، السابع الهجرى ، واوقفت عليهم الأوقاف الكثيرة التى كان ينفق عليهم من ريعها (٣)، ويبدو ان حكام صنغاى لم يكونوا على درجة واحدة من القوة والحنكة السياسية طوال مدة حكمهم ، فمنهم الذين امتدت فترة حكمهم مدة طويلة استطاعوا خلالها السيطرة على أوضاع البلاد ، فكانوا اكثر حظوة من غيرهم فى خدمة العلم

---

(١) الحسن الوزان : وصف افريقيا ، ج١ ، ص ٧ ، ج٢ ، ص ١٦٧ ابراهيم على طرخان : دولة مل ، ص ١٥٢ .

(٢) العمرى : مسالك فى ممالك الأمصار ، ص ٥٩ المصدر السابق ، ابن خلدون : تاريخه ٢٦٨/٦-٢٧٠ المصدر السابق Felix Dubois, op. cit, p. 315 .

(٣) محمود كعت : تاريخ الفتاش ص ١٦ المصدر السابق ، يوسف فضل حسن : العرب وافريقيا ص ٤١ المرجع السابق .

وازدهرت الحياة العلمية في عهدهم الا ان كلهم ساروا على نهج واحد في ذلك .

لقد كان الحكام في صنغاى لايشجعون العلم في بلدهم فحسب بل كان فيهم علماء ومفكرون يتحدثون اللغة العربية ولهم اهتمام كبير بتبادل الثقافة مع جيرانهم ، ومن ابرز هؤلاء الحكام :

* اسكيا الحاج محمد الكبير ١٤٩٢م ، يعتبر من اهم الحكام الذين عرفوا بتشجيع الحركة العلمية في مملكة صنغاى وله من المناقب وحسن السياسة والرفق بالرعية والتلطف بالمساكين مالايحصى ولايوجد له مثيل ، وكان من عقلاء الناس ودهاتهم (١)، ويكشف عن حقيقته وحسن نواياه ، وقوة عزيمته على اقامة الدين في دولته قوله المشهور عن نفسه : "وانا اطلب من الله تعالى ان يعيننى على حمل هذا الثقل الذى ابت السموات والأرض عن حمله "(٢).

ومن صفاته انه كان يستعين بارشادات كبار العلماء مثل الامام محمد بن عبد الكريم المغيلي والامام عبد الرحمن السيوطي(٣)، وكوكبة من كبار العلماء في مملكته (٤)، ويكفيه ثناء اجماع علماء تمبكتو ، وجنى وغيرهما على ان يتولى حكم

---

(١) محمود كعت : تاريخ الفتاش ، المصدر السابق ، ص ٥٨ .
تاريخ افريقيا العام ، ج٤ ، المرجع السابق ، ص ٢٠٦ ،
Berand Villars. op. cit, p. 59 .

(٢) اسئلة الأمير واجوبة الامام ، ص ٣ .

(٣) قد سبقت الاشارة اليهما ص٢٥، ٢٩

(٤) محمود كعت : تاريخ الفتاش ص ١٢، ١٦ المصدر السابق ،
تاريخ افريقيا العام ، ج٤ ، المرجع السابق ، ص ٢١٩ ،
Felix Dubois, op. cit, p. 328 .

منفاى لعدالته (١)، وحبه للدين والعلم .

وقد احب العلماء والصالحين والطلبة واكثر من التصدق عليهم ، وكان يؤدى الفرض والنوافل وتواضع للعلماء وبذل النفيس من الاموال لهم (٢)، مع القيام بمصالح المسلمين واعانتهم على عبادة الله سبحانه وتعالى ، كان يعرف قدر العلماء فى المجتمع فاحاطهم بجميع انواع التقدير والاحترام .

وظهرت علامات حبه لهم فى عدة نواح من اهمها معاملتهم معاملة حسنة وتقديمهم فى كل شىء واستشارتهم فى جميع الأمور واخذ آرائهم وفتاويهم فى جميع تصرفاته (٣).

وقد اشتهر ذلك فى مواقفه مع هؤلاء العلماء مرارا وتكرارا ، فلما استقامت له الأمور واستقرت المملكة جعل يسال العلماء العاملين عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويمشى على اقوالهم رحمه الله حتى اتفق معاصروه من العلماء على انه خليفة المسلمين ، وممن صرح له بذلك الامام المغيلى والامام السيوطى والشريف الحسنى(٤)رحمهم الله اجمعين .

---

(١) آدم عبد الله الالورى : الاسلام فى نيجيريا والشيخ عثمان بن فودى الفولانى ، ص ٢٦ ، الطبعة الثالثة ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

(٢) محمود كعت: المصدر السابق ، ص ٥٩ .

(٣) محمود كعت : المصدر السابق ، ص ٦١ .

(٤) نفس المصدر ، ص ١٢ ، وقد سبقت الاشارة الى هؤلاء العلماء الكبار ص ٢٥،٣٩،٥١ .

ومـن اعمالـه انه جعل "للقضاة مكانا خاصا فى مجلسه ، وكـان لايقـوم لأحد الا للعالم والحاج ولاياكل معه الا العلماء والاشراف واولادهم "(١).

وكـان لهـذا السلطان علاقات ثقافية فى خارج بلاده لاتقل عمـا قـام بـه من اصلاح فى الشئون الداخلية من جانب الحركة العلميـة والثقافيـة ، فقـد اشتهر حبـه للعلـم والعلمـاء واسـتقدم الكثـير من العلماء العرب وغيرهم ورحب بهم واتاح لهـم فـرص الاقامـة واقـام كثيرون منهم فى غاو ، وتمبكتو ، وجـنى ، فكان وجود هؤلاء المثقفين العرب نواة لنهضة ثقافية شملت البلاد .

ومـن هذا المنطلق تدفق افواج من الناس الى بلاد صنغاى ولـم يقتصـر عـلى صنف دون آخر من النـاس وانما شملت الجميع منهـم الوجهـاء ، ومنهـم الاشـراف والعلماء والتجار والطلاب واصحاب المهارات بجميع الفنون فازدهرت بهم واتسعت ميادين العلم والثقافة فى عهده (٢).

* ومن الحكام المشهورين بتشجيع العلم والعلماء فى فترة البحث اسكيا داود بن اسكيا الحاج محمد الاول ت ١٥٨٣م (٣) ، فقد حكم داود مدة طويلة من عام ١٥٤٩ ـ ١٥٨٣م (٤)، فقد ثبته

---

(١) محمود كعت : المصدر السابق ، ص ١١ .

(٢) محمود كعت : تاريخ الفتاش ص ٩٣ المصدر السابق .

Berand Villars, op.cit, p. 67-69 .

(٣) B.V. op. cit, p. 84 .

(٤) B.V. op. cit, p. 84 .

الله في قلوب الناس ومدحه الجميع واثنوا عليه ، قال صاحب تاريخ الفتاش(١) : "... وكان اسكى داود سلطانا مهيبا فصيحا خليقا للرياسة كريما جوادا وسع الله عليه فى دنياه"(٢). وقال ايضا فى موضع آخر : "ومناقب اسكى داودواحسانه مع طلبة العلم وحميد سيرته مع الرعية اكبر من أن يذكر بعضه فكيف بكله"(٣).

وقال المؤلف الافريقى سيكينى مود سيسوكو(٤)، "وكان داود اميرا ذكيا شديد الدهاء متفتحا على كل الامور ، صديقا للادباء ، وكان قد مارس مهام سياسية كبيرة وعرف كل المشكلات اثناء تولى اخوته فى الحكم الأمر الذى اكسبه خبرة عظيمة بالأمور وبالناس"(٥).

وقد عبر عن نفسه وعن موقفه نحو العلماء صراحة حيث قال : "ولولا العلماء لكنا من الهالكين"(٦)، ولاغرابة فى كل ماقيل عن اسكى داود لانه تربى على يد العلماء واخذ العلم من افواههم واصبح من كبار العلماء فى بلاده حيث ثبت انه

---

(١) محمود كعت عاصر اسكيا محمد الأول مدة طويلة فى فترة حكمه ، وحج معه .

(٢) محمود كعت : المصدر السابق ، ص ٩٤ .

(٣) المصدر السابق ص ١١٣ .

(٤) من مواليد جمهورية النيجر الحالى ، وهو عالم ومؤلف ، له عدة مؤلفات فى تاريخ غرب افريقيا وغيره فى القرن ١٩م .

(٥) تاريخ افريقيا العام ، ج٤ ، ص ٢٠٧ .

(٦) محمود كعت : المصدر السابق ، ص ١١١ .

كان حافظا للقرآن الكريم وكذلك ابنه اسكى محمد بن داود ومن حفاظ صنغاى وقرائها ايضا العاقب بن محمود بن عمر (١).

وقد اثر ذلك فى حياته كلها ولم يستطع ابدا مفارقة مجالس العلم ، ومجالسة العلماء ، وكل مامن شانه خدمة الدين ، وقد حدثت مواقفُ متعددةٌ بينه وبين القضاة وكبار العلماء فى بلده تشهد بفضله فى ذلك(٢).

وقد اتخذ مجلسا للشورى يتكون من معظم كبار العلماء فى بلاده من مختلف الاقاليم بما فيهم معظم القضاة وخاصة فى غاو ، وتمبكتو ، وجنى ، وكان يسالهم عما يفعل وهكذا فى تصرفاته ، واكثر جوابه معهم هو "سمعنا واطعنا"(٣).

ومن صفاته الحسنة انه كان سباقا الى الخير دائما ، ويكثر من زيارته للعلماء فى منازلهم ومجالسهم العلمية (٤)، والحديث عن اسكى داود لايمل ، وقد كان له مجلس علم فى منزله كان هو من بين الطلبة الذين يتلقون العلم فى ذلك المجلس وهناك قرا عدة كتب من اهمها الرسالة لأبى زيد القيروانى فاتمها (٥)، بعد القرآن الكريم قراءة وحفظا وتفسيرا .

ومما عرف عن اسكى داود انه أول من اتخذ خزائن الكتب(٦)فى معظم المدن فى بلاده ، وكان له مكتبة ضخمة

---

(١) محمود كعت : تاريخ الفتاش ص ٩٤، ١٢٣ المصدر السابق ، المجلة التاريخية المصرية عدد ١٤ سنة ١٩٦٥م ، ص ٦٩ .

(٢) محمود كعت : المصدر السابق ، ص ١٠٩، ١١٢، ١١٣، ١١٥، ١١٧.

(٣) محمود كعت : المصدر السابق ، ص ١١٦ .

(٤) المصدر السابق ، ص ١٠٩، ١٠٨، ١١١، ١١٣، ١١٥ ، السعدى : تاريخ السودان ، ص ٤٢ .

(٥) محمود كعت : المصدر السابق ، ص ٩٤ .

(٦) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

رفيعة الشان(١)، وله مجلس من النساخ ينسخون له من المخطوطات والكتب الجديدة التى ترد الى السودان الغربى(٢).

وكان داود شجاعا ومتحمسا لشراء الكتب ولم يدخر جهدا فى سبيل ذلك حتى قيل انه كان جماعا للكتب ، وقد بلغ حبه للكتب ان اشترى قاموسا بمبلغ ثمانين مثقالا من الذهب(٣)، واهداه للعالم والمؤرخ الفع محمود كعت(٤)، وكذلك جرت عادة الأساكى على شراء الكتب وتوزيعها على المتعلمين(٥)، وكان اسكى داود يتولى توزيع الكتب التى تنسخ عنده على العلماء والمتعلمين(٦).

* ومن هؤلاء الحكام الذين عرفوا بتشجيع الحياة العلمية فى صنغاى اسكى اسحاق الأول ت ١٥٤٩م ، كان رحمه الله مرضيا صالحا مباركا كثير الصدقات ملازما لصلاة الجماعة سباقا فى المجالس العلمية وحلقات الدرس ، ومحبا للعلماء وحريصا على

---

(١) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، المجلة التاريخية المصرية ، عدد ٢٠ سنة ١٩٦٥م ، ص ٩٩

Cheik Anta Diop, op. cit, p. 135 .

(٢) محمود كعت : تاريخ الفتاش ص ٩٤ المصدر السابق .

Felix Dubois, op. cit, p. 304,315, Paul Marty : Etudes, Sur L'islam et les tribus du sudan, Laregion de Tombouctor, Dienne, La Macina et de pandances . p. 87. Paris 1920 .

(٣) وكان الذهب من النقد الرائج فى صنغاى ، تلك الفترة .

(٤) صاحب كتاب تاريخ الفتاش فى أخبار البلدان والجيوش واكابر الناس وذكر وقائع التكرور ، ت ١٠٠٢هـ .

(٥) محمود كعت : تاريخ الفتاش ص ٩٤ المصدر السابق ، المجلة التاريخية المصرية عدد ٢٠ سنة ١٩٦٥م ، ص ٩٩ .

(٦) محمود كعت : تاريخ الفتاش ص ١٠٨ المصدر السابق ، المجلة التاريخية المصرية عدد ١٤ سنة ١٩٦٥م ، ص ٦٩ .

اصلاح البلاد ومصالح العباد (١)، كثير المناقشة للعلماء والقضاة فى المسائل (٢)، وقد عمر المساجد والمدارس بالعلم والعبادة ، وغير هؤلاء من الحكام كثير .

ومن عادات الولاة الذين كانوا ينافسون حكام صنغاى ايضا ماجرى عليه ولاة كياك (٣) من الاغداق على طلاب مدارس تعليم القرآن الكريم خلال شهر رمضان من كل عام من الصدقات والهدايا ، وعندما تجىء ليلةُ القدر يامرون بطبخ الطعام ، ثم يجعلون المطبوخ فى المائدة ويحملونه فوق رؤوسهم ، وينادى طلبة القرآن الكريم وصبيان المكاتب وياكلونها والمائدة على راسه يحملها وهو قاعد وهم قائمون ياكلون تعظيما لهم ، وهذا مما يؤكد احترام السلاطين للعلماء وطلاب العلم وامثاله كثير جدا .

ومن مظاهر حسن الادارة وشدة اهتمام الحكام بشئون المدرسين والطلاب انهم خصصوا اكثر من وزارة لتولى شئونهم ، منها منصب كُرْمِنَ فَارِ (٤)، ومنصب آخر وهو الفارى مونديو (٥)،

---

(١) محمود كعت : المصدر السابق ، ص ٨٧ .

(٢) السعدى ، المصدر السابق ، ص ٩٦ ، عبد القادر زبادية المرجع السابق ، ص ٤٣ ، مجلة كلية الشريعة بالاحساء عدد ٢٠ ، ص ١٩٢ .

(٣) محمود كعت : المصدر السابق ، ص ١٧٩ ، الأمين عوض الله المرجع السابق ، ص ٢١٥ .

(٤) وهو الوزير المكلف بقضايا الأجانب الذين يعيشون فى البلاد ، ومن بينهم بعض المدرسين .

(٥) وهو مفتش الزراعة والأوقاف ، محمود كعت : تاريخ الفتاش ص ٤٠،٤٥،١٣،١٣ ، المصدر السابق ، تاريخ افريقيا العام ، ج٤ ، ص ٢٠٨،٢١١ ، عبد القادر زبادية ص ٥٥ .

وقد يتعاون هؤلاء فى مجال اختصاصهم مع القاضى .

القضاء (١) : كان القضاء حقا من حقوق السلطان وكان لاسكيا وهو أمير المسلمين وابو الشعب يفوض فى هذا الحق ممثلين له ويعطيهم تمام الاستقلال عن السلطة المركزية او عن موظفيها (٢).

ويبدو انه كان فى دولة صنغاى نوعان من القضاء ، احدهما القضاء الاسلامى والثانى القضاء العرفى ، فالأول كان يخضع لاحكامه المسلمون ، وهو مستمد من المذهب المالكى الذى يدرس فى الجامعات السودانية الغربية ، وكان السلطان يعينه مدى الحياة (٣).

واما الثانى : فكان يختص بالجزء الاكبر من المملكة (٤) وقد اصبح للعدالة قُدسيَّتُها واحترامُها ، ومكانةُ

---

(١) من أهم مناصب الدولة بعد السلطان . محمود كعتى : المصدر السابق ، ص ١٦، ١٧، ٨٩، ٩٠، ١٢١ ، تاريخ افريقيا العام ، ج٤ ، ص ٢١٢ .

(٢) المصدر السابق ،ص ٢١٣ .

(٣) وفى تمبكتو احتكر هذا المنصب طوال القرن العاشر الهجرى كله افراد اسرة القاضى محمود بن عمر آقيت ٨٦٨-٩٥٥هـ وكانت من الاسر الكبيرة التى قدمت أيضا الائمة لمسجد سنكورى ، واصبحت وراثة منصب القضاء تقليدا ثابتا فى كثير من المدن .

(٤) فكان الناس يسوون خلافاتهم فيما بينهم داخل نطاق الأسرة او على يد رئيس المجموعة العرقية .

القاضى كانت فوق كل مكانة ، وقضاة المدن الكبرى كثيرا ماكانوا يعينون من بين كبار علماء الدولة من اصحاب بيوت العلم .

واما القرى فكان يرسم فيها لمركز القضاء فقيه يدعى الفع اى الفقيه (١)، وكان قاضى مدينة تمبكتو المرجع الأول فى دولة منغاى وكان تاثيره فى البلاط وفى اوساط العلماء والعامة وفى الجالية البيضاء كبيرا وخطيرا (٢).

ولما كان منصب القضاء اهم اجهزة الدولة على الاطلاق بعد الملك كان لابد للقاضى من انصار واعوان ، وكان له مساعدون ومعاونون عذول منهم : الحاجب ، والكتبة ، والموثقون ، ولكل منهم اختصاصات مهمة تتغير من مهمة الى اخرى (٣).

وكان التعليم تحت اشراف القاضى وهو اهم واكبر وظائفه حيث يوكَلُ إليه النظر على سير التعليم فى بلاده ، ومن اختصاصاته تعيينُ المدرسين واحصاءُ طلاب العلم ، ومساعدةُ المحتاجين منهم ، وكذلك بناء المساجد للصلاة والدراسة وكان القاضى يتلقى المساعدات من الملك والمحسنين (٤).

---

(١) محمود كعت : تاريخ الفتاش ص ٥٩ ، محمد الغربى : المرجع السابق ، ص ٦٥ .

(٢) محمود كعت : تاريخ الفتاش ص ١٧٩ ، المصدر السابق ، محمد العزى ص ١٨٥ ، المرجع السابق .

(٣) محمود كعت : ص ١١٠ المصدر السابق ، تاريخ افريقيا العام ، ج٤ ، المرجع السابق ، ص ٢١٣ .

(٤) محمود كعت : تاريخ الفتاش ص ١٢١ المصدر السابق ، عبد القادر زبادية : المرجع السابق ، ص ٧٦ .

وكانت الأوقاف من اهم المصادر التى تسد اغلب احتياجاته وكان يتولى الاشراف على توزيعها وتسييرها وله معاونون على الاشراف عليها (١).

وقد كان فى مدينة تمبكتو عدد كبير من الفقهاء والائمة بالاضافة الى القاضى وكلهم يتقاضون من الملك مرتبا حسنا (٢) وقد تولى فى صنغاى كثير من القضاة ، اشتهروا بالعدل والعلم وتشجيع العلماء (٣).

---

(١) محمود كعت : تاريخ الفتاش ص ٩-١٨ المصدر السابق .

(٢) الحسن الوزان : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ١٦٧ .

(٣) من مشاهير القضاة فى صنغاى :

- القاضى محمود بن عمر بن محمد اقيت ، فى مدينة تمبكتو الفتاش ، ص ١٧ .
- القاضى العاقب بن محمود بن عمر اقيت ، فى مدينة تمبكتو ، السعدى ، ص ٣٣ .
- القاضى أبو حفص عمر بن الحاج احمد بن عمر اقيت ، فى مدينة تمبكتو ، السعدى ، ص ٣١ .
- القاضى محمود يدبغ ، فى مدينة يدبغ ، محمود كعت ، ص ١٦ .
- القاضى الفع محمود كعت ، فى مدينة غاو ، محمود كعت ، ص ١٦ .
- القاضى عثمان درم ، فى مدينة تندرم ، محمود كعت ، ص ٩٠ .
- القاضى محمود بغبغ ، فى مدينة جنى ، محمود كعت ، ص٨٩
- القاضى الامام محمد بن عبد الكريم المغيلى ، فى بلاد الحوصا ، احمد بابا : نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، ص ٣٣١ المصدر السابق ، احمد محمد كانمى ، ص ٣١ .

ولم يكن منصب القضاء شيئا مرغوبا فيه وكثيرا ماكان السلطان يلجأ الى القوة لتعيين القاضي . وقد جرت مواقف كثيرة بين الحكام والعلماء بخصوص اقامة العدل في مجالي الحكم والقضاء (١).

---

(١) لم يخل حاكم من حكام صنغاي في فترة البحث الا وقد اصطدم مع احد القضاة في عهده ، ومن اهمها المواقف التالية :

* اسكي محمد الأول مع القاضي محمود بن عمر .
* اسكي محمد الأول مع القاضي عبد الرحمن والقاضي محمود بن عمر .
* اسكي اسحاق الأول مع المؤذن والامام في المسجد الكبير بغاو .
* اسكي سحاق الأول مع القاضي محمود بغيغ .
* اسكي اسحاق الأول مع القاضي عثمان درم .
* اسكي داود بن محمد مع القاضي محمود كعت .
* اسكي داود بن محمد مع القاضي العاقب بن محمود بن عمر .
* اسكي داود بن محمد مع محمد واحمد ابني القاضي محمود بغيغ .
* محمود بن زرقون ومحمد بغيغ .
* قائد الركب مع القاضي عمر بن محمود .
* اسكي محمد الأول مع المغيلي والقاضي محمود بن عمر .
* المنصور السعدي مع احمد بابا .

محمود كعت : ص ٦٠،٦٨،٧٠،٧٦،٨٧،٨٨-٩٠،١٠٨-١٠٩،١١١،١١٣، ١١٥،١٢٢،١٥٤،١٧٥ ، المصدر السابق .

احمد بابا : نيل الابتهاج ، ص ٣٣٠ المصدر السابق .

الناصري : ٣/٤٨-٨٩ المصدر السابق .

المبحث الرابع

المكتبات وخزانات الكتب في

دولة صنغاى في فترة البحث

من العوامل التى ساعدت على نشاط الحركة العلمية فى صنغاى وجود المكتبات العامة ، فقد اقبل اهل صنغاى على جلب الكتب وقراءتها واقتنائها ، مما شجع التجار على جلبها من اى مكان ، قال الحسن الوزان(١)عن بلاد السودان الغربى : "ان تجارة الكتب فى هذه البلاد كانت تدر ارباحا طائلة ، بحيث فاقت الأرباح الناتجة عن العمل فى اى تجارة اخرى"(٢). فمعظم الكتب والمخطوطات التى كانت ترد الى اسواق مدن السودان الغربى تاتى من بلاد البربر(٣)، ويدل ذلك على أنه كان فى البلاد اقبالٌ عظيمٌ على حب الاطلاع والثقافة واقتناء الكتب وعلى كثرة العلماء والمعلمين وطلاب العلم(٤).

وشجع حكام صنغاى على تحميل العلوم العربية

---

(١) انظر ص ٥٩ .

(٢) الحسن الوزان : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ١٦٧ ،
ابراهيم على طرخان : دولة مل ، المرجع السابق ، ص ١٥٢ .

(٣) الحسن الوزان : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ١٦٧ ،
Paul Marty, op. cit. p. 87 .
Felix Dubois, op. cit. p. 318 .

(٤) الحسن الوزان : وصف افريقيا ١٦٧/٢ ، المصدر السابق ،
ابراهيم على طرخان : دولة مل ، المرجع السابق ، ص ١٥٢ .

والاسلامية ، كما شجعوا على اتخاذ المكتبات(١)، ومن البديهى ان تكون المكتبات الغنية غير متوفرة الا فى المدن الكبيرة والمعاهد الماهولة بالمعلمين والتى تؤمها اعداد كبيرة من المدرسين ، مثل تمبكتو ، وجنى ، وغاو ، وكانو ، وولاته ، وغيرها .

ولعل من الجدير بالذكر هنا ماذكره بعض الكتاب عن الجهود التى كان يقدمها ملوك التكرور فى هذا المجال .

وبالامكان القول بان السلطان منساموسى(٢) مِنْ أَشْهَرِ مَنْ طَرَقَ هذا البابَ من ملوك التكرور قبل فترة البحث ، حيث انتهز فرصة وجوده فى مصر اثناء عودته من الحج واشترى جملة من الكتب الدينية ليوفر لأهل مملكته طرفا من مناهل الثقافة العربية ، وكان جل هذه الكتب من فقه المالكية . "وجلب الى بلاده الفقهاء من مذهب الامام مالك رضى الله عنه"(٣).

---

(١) انظر تاريخ الفتاش ، ص ٩٤،١٠٨ ، جامعة الدول العربية المرجع السابق ، ص ٧٤ .

(٢) منسا موسى حكم مل ١٣١٢-١٣٣٧م ، وقام بالحج عام ١٣٢٤-١٣٢٥م .

(٣) المقريزى : الذهب المسبوك فى ذكر من حج من الخلفاء والملوك ص ١١٣ ، تحقيق جمال الدين الشيال ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، الطبعة الثانية عام ١٩٥٥م القاهرة ، العمرى : مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار ص ٦٠ ، محمود كعت : تاريخ الفتاش ، ص ٧٣ ، عبد الرحمن زكى : تاريخ الدول الاسلامية السودانية بافريقيا الغربية ، ص ١٠٨ ، المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٦١م ، حسن احمد =

وكذلك عندما وصل الى مكة المكرمة تزود منها بكثير من الكتب ايضا .

ويعتبر السلطان موسى ممن سبق غيره من حكام السودان الغربى فى اقامة المكتبات(١) العامة ، ومن ثم تبعه الحكام الذين اتوا بعده وخاصة حكام آل اسكيا فى صنغاى .

ويبدو ان اسكيا داود كان اول من اتخذ خزائن الكتب العامة فى عهده ، وكان له مكتبة ضخمة (٢)، رفيعة الشان ، وكان من عاداته شراء نسخ من المخطوطات والكتب الجديدة التى تصل الى بلاد السودان الغربى(٣).

= محمود : المرجع السابق ، ص ٢٢٤ ، الامين عوض الله : المرجع السابق ، ص ٢٠٢ ، نعيم قداح : افريقيا الغربية فى ظل الاسلام ، ص ١٣٩ ، كوناكرى عام ١٩٦٠م .

(١) المقريزى : ص ١١٣ المصدر السابق ، حسن احمد محمود : المرجع السابق ، ص ٢٣٩ .

(٢) محمود كعت : المصدر السابق ، ص ٩٤ ، حسن احمد محمود المرجع السابق ، ص ٢٣١ ، المجلة التاريخية المصرية عدد ١٤ سنة ١٩٦٥م ، ص ٦٩ ، عبد الرحمن زكى : تاريخ انتشار الاسلام فى غرب افريقيا ص ١٤٨ ، القاهرة عام ١٩٧٧م .

Josepl Cuog : L'islamisation de L'afrique de Louest. p. 210 .

Cheick Anta Diop, op. cit. p. 135 .

(٣) محمود كعت : المصدر السابق ، ص ١٠٨ ، المجلة التاريخية المصرية عدد ٢٠ ، ص ٩٩ ، عدد ١٤ ، ص ٦٩ ، حسن احمد محمود : المرجع السابق ، ص ٢٣٩ ، نعيم قداح تاريخ ، المرجع السابق ، ص ١٤٨ .

وكان له مجموعة كبيرة من الكتب ، والنساخ ومن مهمتهم القيام بنسخ هذه الكتب والمخطوطات ، ثم توزع على المعلمين وكبار العلماء والطلاب والمكتبات العامة ويقوم هو نفسه بتوزيعها (١) كما سبقت الاشارة الى ذلك ، ص ٦٣ .

كذلك من الأساكي الذين اهتموا بانشاء المكتبات العامة والخاصة اسكى محمد بان ، فهو من الذين اهتموا بانشاء المكتبات فى صنغاى ، وكانت له مكتبة خاصة ايضا ، ومن ضمن محتويات مكتبته الخاصة ، رسالة ابى زيد القيروانى ، فى الفقه المالكى ، والجامع الصحيح للامام مسلم ، والشفا للقاضى عياض ، والمحكم لابن سيدة الأندلسى .

ونسخت هذه الكتب فى اواخر القرن العاشر الهجرى ، السادس عشر الميلادى (٢) .

وكان له مجلس من النساخ ويرأس هذا المجلس العالم احمد بن دنبسل الفلاتى ت ٩٩٥هـ (٣) .

وبجانب هذه المكتبات العامة ، وجدت خزانات الكتب الخاصة فى بيوت العلماء والاثرياء وكانت هذه الخزانات اكثر انتشارا ، فقد شملت المدن الكبيرة والصغيرة على السواء ، فى انحاء البلاد ، ولعلها اصبحت تتمشى مع انتشار حركة بناء المساجد او المدارس فى القرى جنبا الى جنب لكل مدينة على حسب اهميتها ، وكثرة وجود الناس فيها .

---

(١) محمود كعت : ص ٩٤ المصدر السابق .

(٢) اطلع على بعض هذه الكتب الأستاذ محمد ابراهيم الكتانى وكتب تقريرا عنها ، مجلة دعوة الحق ، عدد ١ ، ص ٨٦ ، سنة ١١ ، نوفمبر ١٩٦٧م .

(٣) انظر السعدى : ص ٢١٥ المصدر السابق .

Felix Dubois, op. cit. p. 304 .

ويفسر لنا قول احمد بابا التمبكتى مدى اهتمام الناس فى اقتناء الكتب الدينية وسائر العلوم والفنون الأخرى قال "انا اقل عشيرتى كتبا وقد نمب لى ست عشرة مائة مجلد"(١).

ومن بين العلماء الذين اشتهروا بجمع الكتب ، احمد بن عمر بن محمد آقيت اكبر الاخوة الثلاثة الذين اشتهروا بالعلم والدين فى عهدهم ، اعتنى بالعلم طول عمره ، وكان له خزانة كتب ، كتب بعضها بخطه مع فوائد كثيرة ، وترك نحو سبعمائة مجلد من الكتب فى مختلف الفنون(٢).

وورث معظمها عن جده لأمه اندغمحمد وعن خاله المختار النحوى(٣).

ومن الهواة لجمع الكتب احمد بن احمد بن عمر آقيت ، كان جماعا للكتب وافر الخزانة فى شتى فنون العلم(٤)، واتى بقدر كبير منها من مصر عام ١٥٤٩م ، وقد ترك هوالآخر مكتبة ضخمة ، وقد اشتغل بالتدريس والتاليف(٥).

ولعل من أهم مايمكن ذكره أن هناك بعض خزانات العلماء الخاصة كانت تتنافس مع المكتبات العامة الشاملة التى يقوم بتمويلها الحكام ، ومنها خزانة العالم الفقيه

---

(١) الناصرى : المرجع السابق ، ج٥ ، ص ١٣٠ ، الامين عوض الله : المرجع السابق ، ص ١٩٨ .

(٢) السعدى : المصدر السابق ، ص ٤٢ ،
Joseph Cuog, op. cit. p. 208 .

(٣) البرتلى : المرجع السابق ، ص ٢٧ .

(٤) السعدى : المصدر السابق ، ص ٤٢ .

(٥) احمد بابا : نيل الابتهاج ص ٩٤ ، المصدر السابق ، محمد الغربى : المرجع السابق ، ص ٥١٨ .

محمد بن محمود بن ابى بكر الونكرى ، وكان له خزانة عظيمة تحتوى على كل غريب ونفيس من الكتب ، وكانت الأولى من نوعها فى تمبكتو كما يبدو ، قال احمد بابا : "انه بذل نفائس الكتب الغريبة العزيزة لأهل العلم"(١).

وخير دليل على اهمية هذه الخزانة ان الطالب او الباحث اذا لم يجد ضالته فيها قل ان يجدها فى غيرها(٢).

ومما تميزت به هذه الخزانة أنّهَا لايوجد بها اى قيد او شرط لاعارة بعض ماتحتويه من كتب ، ياتى الطالب الى باب دار محمد بن محمود بن ابى بكر الونكرى فيرسل ورقة فيها اسم اى كتاب يطلبه فيخرجه من الخزانة ويعطيه اياه من غير معرفته من هو الطالب ايثارا لوجهه تعالى(٣).

وقد اشتهر هذا العالم بمحبته للكتب وسعيه فى تحصيلها شراء ونسخا(٤)، قال احمد بابا فى كتابه نيل الابتهاج فى تطريز الديباج : "جئت يوما اطلب منه كتب نحو ففتش فى داره فاعطانى كل ماظفر به منها"(٥).

وهذا من أروع الأمثلة على ماكان عليه خيرة العلماء لخدمة العلم وطلابه فى شتى المجالات فى بلاد السودان الغربى.

---

(١) احمد بابا : نيل الابتهاج ، المصدر السابق ، ص ٣٤١ .

(٢) المصدر السابق ، نفس الصفحة ،

Felix Dubois, op. cit. p. 318 .

(٣) احمد بابا : نيل الابتهاج ، المصدر السابق ، ص ٣٤١ .

Felix Dubois, op. cit. p. 318 .

(٤) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٥) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

المبحث الخامس

توفر مصادر الانفاق للدعوة الاسلامية

من العوامل التى ساعدت على نشاط الحياة العلمية فى فترة البحث فى دولة صنغاى توفر مصادر الانفاق على طلاب العلم والعلماء والثقافة الاسلامية ، بحيث يمكن القول بان المؤرخين والرحالة المسلمين قد اكدوا على وجود عدد كبير من العلماء والفقهاء والقضاة فى دولة صنغاى ، ابتداء من نهاية القرن الثامن الى العاشر الهجرى ، القرن الرابع عشر الى نهاية القرن السادس عشر الميلادى ، ومع كثرتهم لم تكن الدولة تستهين بامرهم فى جميع النواحى .

فقد تحقق الازدهار الاقتصادى والثقافى فيها ، بفضل حسن سياسة الحكام (١)، ومعرفتهم الحلال والحرام ، وتجنبهم الظلم وتطبيقهم لشريعة الله (٢)كما سبقت الاشارة الى ذلك فى فقرة تشجيع الحكام،ص ٥٨ - ٧١ .

وقد زار الحسن الوزان(٣) مدينة تمبكتو ، وغاو ، وجنى فى القرن العاشر الهجرى ، السادس عشر الميلادى ، وذكر فى كتابه وصف افريقيا قال : "انها كانت مليئة بالعلماء والفقهاء والائمة وان هؤلاء يتمتعون برواتب سخية ، يدفع

---

(١) آل اسكيا بوجه خاص ، تاريخ افريقيا العام ، ج٤ ، المرجع السابق ، ص ١٩٩ .

(٢) الموكل الى القضاة لفصل القضايا على وفق شريعة الاسلام بين الناس .

(٣) انظر ص٥٩ .

الملك اليهم جميعا مرتبا حسنا "(١)، وقد ذكرنا شيئا من ذلك سابقا،ص ٦٠ .

وعلى ذلك كانت السلطات تُقَدِّمُ رعايةً متكاملةً للمعلمين في جميع جهات المملكة الاسيكية في تلك الفترة .

فقد خصصت الدولة قسطاً كبيراً من المال من ميزانيتها ، وكذلك من أملاك السلطان الخاصة ، فيما لايقل عن ربع أملاكه الكلية ، كان ينفق منها على المشاريع الخيرية لبناء المساجد وملحقاتها والمدارس وسكن المدرسين والطلاب وكبار العلماء ، والتصدق على الفقراء ، وكان ذلك يتم على عدة مراحل ويشمل عدة أصناف من المستحقين (٢).

وكان للاساكي عادة متبعة في الأعياد هي أن يُعْقَدَ بعد العيد مباشرة مجلسٌ عند السلطان ويحضره أكثر الناس على مختلف مستوياتهم ، ويجتمع على بابه عدد ضخم من المحتاجين

---

(١) الحسن الوزان : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ١٦٧ ، جمال عبد الهادى محمد مسعود ، ووفاء محمد رفعت جمعة : اخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ ، افريقيا التى يراد لها أن تموت جوعا ، ص ٢٧ ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م .

(٢) محمود كعت : ص ٩٤-٩٥،١٠٦،١٠٨،١٨٠، المصدر السابق ، عبد القادر زبادية : المرجع السابق ، ص ١٦،١٤١ .

Cheick Anta Diop. op. cit. p. 131-134 .

فيعطيهم انواعا من الالبسة والأطعمة (١)، ويتم توزيع كميات كبيرة منها مما لايكاد يعد ولايحصى .

ومنها : ماكان مخصصا لشئون الحج حيث كان الحجاج يمرون بالقصر اثناء ذهابهم وايابهم فيعطى لهم نصيب من الزاد ، والهدايا .

وكان ذلك ايضا من عادة الأساكى فى كل عام .

ومنها : ماكان يتكرر من عطايا السلطان فى كل اسبوع من املاكه الخاصة ، وهذا البند كان من ضمن الصدقات كما يبدو ذلك ، حيث كان طلبة القرآن الكريم يتلقون من عطاياه كل يوم جمعة بصورة مستمرة اسبوعيا .

ومن هذه النفقات ماكان مخصصا فعليا فى كل عام وخاصة ماكان يتم صرفه فى شئون التعليم والمساجد ، اما طلاب العلم فى مساجد "تمبكتو" ، و"جنى" ، و"غاو" ، وغيرها من المدن الكبرى فكانوا يتلقون من عطاياه التى كانت ترسل الى القاضى لكونه هو المكلف بالنظر فى شئونهم ، ليقوم بتوزيعها عليهم (٢).

وقد اكثر ملوك "سنغاى" فى الانفاق على المشاريع الخيرية والمشغلين بالعلم .

ومن اشهر هؤلاء الحكام :

---

(١) الحسن الوزان : ص ١٦٣ المصدر السابق ، عبد القادر زبادية : المرجع السابق ص ٦١ ،

Jean Roch : op. cit. p. 59 ,

Raymond Mauny : Tableau Geographigue de L'ouest Africain au Moyen Age. p. 536 .

(٢) محمود كعت : ص ١٠٨-١١٤ المصدر السابق ، (٢) عبد القادر زبادية : المرجع السابق ، ص ٦١ .

* اسكيا محمد الكبير ، وله من المناقب وحسن السياسة والرفق بالرعية والتلطف للمساكين والسعى الى اصلاح احوالهم فمنذ ان تولى السلطة احب العلماء والصالحين والطلبة واكثر الصدقات وبذل النفيس من الأموال لهم (١).

ويكفيه ماصرفه فى حجه بالحرمين الشريفين ، ومافرضه من عطايا ومعاشات لعلماء الدين (٢)، كما سبقت الاشارة الى ذلك ، ص ٣٩.

* ومنهم اسكى داود وقد أُطلِقَ عليه راعى الأدباء والعلماء ، فكَرَّمَهُم وافاض عليهم الهدايا واسهم فى توسعة المساجد وترميمها والانفاق على الفقراء (٣).

ولم يترك فى بلده قاضيا او خطيبا او اماما او مؤذنا او مدرسا الا وقد فرض له العطاء (٤).

وكان يرسل الى القاضى العاقب فى تمبكتو كل عام اربعة آلاف مينية ليقسمها على علماء تمبكتو (٥)، وطلاب العلم والمساكين .

وقد سار جميع ملوك منغاى وولاة (٦) المدن فيها

---

(١) محمود كعت : المصدر السابق ، ص ٥٩ .

(٢) وفى حجه عام ١٤٩٦م حمل ماقيمته ٠٠٠ ٣٠٠ واشترى دارا فى مكة واوقفه للحجاج والطلبة السودانيين ، تاريخ افريقيا العام ، ج٤ ، ص ٢٠٦،٢٠٧ ،
Berand Villars, op. cit. p. 66 .

(٣) تاريخ افريقيا العام ، ج٤ ، المرجع السابق ، ص ٢٠٧ .

(٤) محمود كعت : المصدر السابق ، ص ١٠٦ .

(٥) المصدر السابق ، ص ١١٥ .

(٦) انظر سيرة اسحاق بن داود ، ص ٣٠٩ .

واثرياؤهـا عـلى هـذه السياسـة العظيمـة ، من حيث العناية بـالعلم والعلمـاء وطلاب العلم والفقراء وابناء السبيل من طلاب العلـم وغـيرهم ، حـتى اصبحـت دولـة منغـاى مقصـد العلمـاء (١)وطـلاب العلـم بالاضافـة الـى كـثرة الأوقاف التى اوقفهـا هـؤلاء الملوك(٢)، والولاة والموسرون مما جعل ريعها يغطى كل الاحتياجات التى كانت تطلبها بيوت العلم والمساجد والمكتبات وغيرها مما تحتاجه النهضة العلمية العظيمة التى عمت البلاد فى عصر هذه المملكة الزاهر .

---

(١) قد سبقت الاشارة الى اشهرهم مثل الامام المغيلى والامام السيوطى وابن غازى وغيرهم .

(٢) وامثـال والـى كيـاك مـاجرى عليـه من الانفاق على طلاب العلم ومدارس القرآن الكريم خلال شهر رمضان .
محمود كعت : المصدر السابق ، ص ٩٥ .

الفصل الثاني

المراكز الثقافية في صنغاي في فترة البحث

(١) مدينة تمبكتو

(٢) مدينة جنى

(٣) مدينة غاو

(٤) بلاد الحوصا : كاتسينا ، وكانو

المراكز الثقافية في منغاى في فترة البحث

(١) مدينة تمبكتو :

اشتملت دولة منغاى على عدة مراكز ثقافية فى مدنها المختلفة ، من اهم هذه المراكز مدينة تمبكتو . ويرجع نشاة هذه المدينة الى اواخر القرن الخامس الهجرى ، الحادى عشر الميلادى(١)، على ايدى الطوارق الذين اتخذوا موقعها مكانا لهم ينزلون به فى فصل الصيف ثم يرحلون عنها فى فصل الخريف(٢).

وهكذا اصبح موقع هذه المدينة قبل قيامها محطة للقوافل ، يحتفظون فيها ببعض متاعهم والزائد عن حاجتهم من الحبوب والامتعة ينتفعون به عند عودتهم اليها فى الصيف القادم(٣)، ولما كثر مرور القوافل نزل بالمكان بعض التجار واستوطنوا به ، ونمت وازدهرت .

---

(١) السعدى : المصدر السابق ، ص ٢٠ ،
D.T. Niane, Le Soudan, occidental au temps de grande empires xi-vi. p. 66,
P.Westermann, L'Islam ou Soudan occidental et central p. 15 , M.Hiskett, op. cit. p. 40 .

(٢) السعدى : المصدر السابق ، ص ٢١ .

(٣) فسكنتها امة مدعوة بتمبكتو ومعناه فى لغتهم العجوز ، وقد سميت المدينة باسمها ، وللدكتور عبد القادر زبادية راى فى هذا الموضوع .
السعدى : المصدر السابق ص ٢١ ، عبد القادر زبادية : المرجع السابق ، ص ١٠٠ .

فكانت محطة لراحة التجار واقامتهم لمدة يسيرة احيانا، لوجود آبار المياه بها ، ولم يطل ذلك كثيرا حتى اخذت بالنمو والازدياد لكثرة القوافل التى ترد اليها من كل فج ، وتحول المكان الى سوق للتبادل التجارى بين تجار الشمال وتجار الجنوب(١)على حساب المدن التى كانت تجاورها من كل ناحية .

ولاهمية هذا المكان ايضا كان هدفا لقبائل الرعاة ومواشيهم بجانب التجار لوجود المياه ، وسرعان ما اصبحت مدينة تمبكتو عامرة باهل البادية والرحل الذين كانوا خليطا من العرب والبربر والطوارق واهل السودان الغربى(٢). وجاءت اليها البضائع من كل جهة وكثر الناس بها ونمت بها العمارة ، وبدا تنافس جيرانها فى العمران مثل بير (٣) وولاته (٤)، وتغازة (٥).

---

(١) عبد القادر زبادية : المرجع السابق ، ص ١٠٠ .

(٢) احمد بابير : السعادة الأبدية فى التعريف بعلماء تمبكتو البهية ، ص ٧ ، مخطوط فى مركز احمد بابا رقم ٣٥٠١٦ .

(٣) هى مدينة فى دكالة بالمغرب . الحسن الوزان ، المصدر السابق ، ج١ ، ص ١٥٣ .

(٤) هى مدينة تقع نحو خمسمائة ميل من شمال تمبكتو ، ومائة ميل من المحيط . الحسن الوزان : المصدر السابق ج٢ ، ص ١٦١ .

(٥) هى مدينة بها عدد من مناجم الملح ومنها تحمل الى مدن السودان الغربى . الحسن الوزان : المصدر السابق ، ج٢ ص ١٠٨ .

وقد اوضح لنا الكاتب السعدى هذا حيث قال:فكانت عمارة تمبكتو ، خراب بير(*)، وكان التسوق قبل فى بلد بير واليه يرد الرفاق من الآفاق ، وسكن فيه الأخيار من العلماء وذوى الاموال من كل قبيلة ومن كل البلاد ، من اهل مصر(١)، ووجل(٢)، وفزان(٣)، وغدامس(٤)، وتوات(٥)، ودرعة(٦)، وتفلالة(٧)، وفاس(٨)،

(*) اى خروج الناس فيها ادى الى تدهورها واختفاء دورها كمركز تجارى وثقافى مهم .

(١) اقليم مشهور بالقاهرة .
الحسن الوزان : النمصدر السابق ، ج٢ ، ص ١٨٥ .

(٢) مدينة تقع على وسط الطريق من موريتانيا الى مصر .
الحسن الوزان : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ١٠٩ .

(٣) منطقة كبيرة جدامسكونة وتجاور اكدز وصحراء ليبيا وتبعد عن القاهرة مسافة ستين يوما .
الحسن الوزان : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ١٤٦ .

(٤) منطقة فى تونس تبعد نحو ثلاثمائة ميل من البحر المتوسط .
الحسن الوزان : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ١٤٦،١٣٠٨ .

(٥) اقليم من اقاليم بلاد المغرب المشهورة .

(٦) اقليم يبتدىء من الاطلس ويمتد جنوبا على مسافة نحو مائتين وخمسين ميلا عبر صحراء ليبيا .
الحسن الوزان : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ١١١ .

(٧) تبعد نحو اثنى عشر ميلا من المحيط الأطلسى وتقع على الطريق الى فاس .
الحسن الوزان : المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢١٣ .

(٨) من الأقاليم المشهورة فى بلاد المغرب الحالى .
الحسن الوزان : المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢٠٧ .

وسوس(١)، وبيط(٢)، الى غير ذلك .

ثم انتقل الجميع الى تمبكتو قليلا قليلا حتى استكملوا فيها وزيادة مع جميع قبائل المنهاجة باجناسها(٣).

ومن ثم اخذت تتوالى الوفود اليها وما ان حلّ القرنان الثامن والتاسع الهجريان ، الرابع عشر والخامس عشر الميلاديان ، حتى كان كثير من التجار الذين وفدوا على تمبكتو قد طاب لهم المقام بين اهلها ، واصبح سوق المدينة من بين الأسواق الكبيرة فى بلاد السودان الغربى ، وترد اليها البضائع من جميع انحاء العالم الاسلامى ، وغيره وخاصة اقمشة اوربا وبضائعها التى كانت تملها مع تجار البربر(٤).

وقد زارها عدد من الرحالة والمؤرخين(٥)، منذ نشاتها حتى العصر الحديث ، وقد وصفوها باحسن مايكون ، ومن خلال هذه الزيارات نستطيع أن نبين فكرة نموها والدور الذى اعطاه العالم الاسلامى لها ، حيث اصبحت منذ عهد مملكة مل(٦)

---

(١) من الأقاليم المشهورة فى بلاد تونس الحالية .
الحسن الوزان : المصدر السابق ، ج١ ، ص ١١٣ .

(٢) السعدى : المصدر السابق ، ص ١٠،١١ .

(٣) السعدى : المصدر السابق ، ص ٢١ ،
D.T.Niane. op. cit. p. 66,72,76 .

(٤) الحسن الوزان : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ١٦٦ .

(٥) من اهمهم : الحسن الوزان ، و Rene Caillie اول أوربى زارها عام ١٨٢٤-١٨٢٨م ، و Felix Dubois ، وغيرهم .

(٦) سبقت الاشارة اليها ، ص ١٣

من اهم مراكز التجارة فى السودان الغربى وملتقى الطرق فى اتجاهات مختلفة برا وبحرا(١)، تجلب اليها البضائع المختلفة من جميع البلدان . قال السعدي عنها(٢): "مادنستها عبادة الأوثان ، ولاسجد على اديمها قط احد لغير الرحمان ، ماوى العلماء والعابدين ومالف الأولياء والزاهدين ، وملتقى الفلك السيار"(٣).

وقد ازدهر سوق تمبكتو حتى طغى على المدينة واشتهرت به فى أول وهلة ، وقال الحسن الوزان(٤): "وفى وسط المدينة مسجد وقصر كبير يسكنه الملك ودكاكين كثيرة للصناع والتجار ولاسيما دكاكين نساجى اقمشة القطن"(٥).

وقال صاحب الوسيط(٦): "انها مدينة مشهورة وفيها كثير من تجار سوس وغيرهم ، من بلاد المغرب"(٧)والسودان الغربى .

---

(١) F.K.Bauch : West Africa since A.D.1000. P. 80 .

(٢) عبد الرحمن السعدى : صاحب كتاب تاريخ السودان ، كما سبقت الاشارة اليه، ص١٤، ٦٦ .

(٣) السعدى : المصدر السابق ، ص ٢١ ،
Felix Dubois, op. cit. p. 308 .

(٤) الحسن الوزان : سبقت الاشارة اليه، ص١٨، ٢٩ .

(٥) الحسن الوزان : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ١٦٥ .

(٦) احمد بن الامين الشنقيطى مؤلف كتاب الوسيط فى تراجم ادباء شنقيط .

(٧) احمد بن الامين الشنقيطى : الوسيط فى تراجم ادباء شنقيط ، ص ٤٥٩ ، القاهرة، ١٩٥٠م .

وقال سير توماس(١) : "تاسست على نهر النيجر الأعلى مدينتان قدر لهما فى القرون المتعاقبة ان يؤثرا تاثيرا قويا فى تقدم الاسلام فى السودان الغربى احداهما مدينة تمبكتو ، والثانية مدينة جنى"(٢).

ومن بين النشاط التجارى فى مدينة تمبكتو تجارة الكتب والمخطوطات وهى اغلى انواع البضائع التى كانت ترد اليها واحبها الى الناس .

وقال صاحب بداية الحكم المغربى فى بلاد السودان الغربى(٣) : "وبالقرب من جامع سنكورى كانت تمطف حوانيت الوراقين الذين يستنسخون الكتب للطلبة وينقلون مسودات التاليف الجديدة فى نسخ متعددة لغرض بيعها محليا أو لتصديرها للجهات البعيدة "(٤).

وقد بدات هذه المدينة تظهر لتلعب دورها السياسى لاهتمام الحكام بها كمركز تجارى وسياسى وثقافى فى آن واحد

---

(١) وزميله ارنولد : هما مستشرقان ومؤلفا كتاب الدعوة الى الاسلام بحث فى تاريخ نشر العقيدة الاسلامية .

(٢) سير توماس وارنولد : الدعوة الى الاسلام ، بحث فى تاريخ نشر العقيدة الاسلامية ، ص ٣٥٥ ، ترجمه حسن ابراهيم حسن ، وعبد المجيد عابدين واسماعيل النجراوى مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ١٩٧٠م .

(٣) محمد الغربى : انظر ص ٣٢ .

(٤) محمود كعت : ص ٩٤ المصدر السابق . وكذلك الحسن الوزان ص ١٦٧ المصدر السابق .

محمد الغربى : المرجع السابق ، ص ٥٢١ .

Felix Dubois. op. cit. p. 318 .

منذ القرن الثامن الهجرى ، الرابع عشر الميلادى(١).

وفى عهد "مل" بدات تشيع شهرة مدينة "تمبكتو" كاهم مركز اقتصادى وسياسى وثقافى فى بلاد السودان الغربى ،وقد ابدى منساموسى(٢) اهتماما كبيرا بها حيث بنى فى وسطها مسجدا ضخما وقصرا كبيرا . واما فى عهد الطوارق فلم تطور المدينة كثيرا فقد بقيت فى ايامهم على ماهى عليه . ثم استولى عليها حكام صنغاى منذ عام ١٤٦٨ حتى ١٥٩١م ، وقد اثر حكام صنغاى فى تمبكتو منذ ان فتحها سن على عام ١٤٦٨م (٣)، وظلت تحت حكمهم حتى نهاية عهدهم فى عام ١٥٩١م فسكنها كثير من

---

(١) ملكها دولة مل لمدة مائة سنة من عام سبعة وثلاثين وثمانمائة الهجرى ، ثم جاء بعدهم الطوارق ودولتهم اربعون عاما من سنة سبعة وثلاثين وتسعمائة الهجرى ، ثم اتى بعدهم دولة صنغاى ودولتهم فيها من عام ثلاثة وسبعين وتسعمائة الى عام التاسع والتسعين وتسعمائة الهجرى . السعدى : المصدر السابق ، ص ٢٢ .

(٢) هو من اشهر حكام مملكة مل ، انظر ص٧٣ ، حكم فيما بين ١٣١٢-١٤٣٧م .

Sekene Mody Cissoko : Histoire de L'afrique occddental . p. 51 .

(٣) Vincent Monteil, op. cit. p. 76, F.K.Bauch. op. cit p. 69, Peter, B.Clarke : West Africa and Islam. p.48, Joseph Kizerbo. Histoire de L'afrique Noire. p. 144 . J.F.Ade Alayi : Athausand Years of west African history. p. 65 .

المنغانيين وغلبت لهجتهم فى الاستعمال بها (١).

فاهتمام الحكام بها ووجود ميناء خاص لها فى كبارا على ضفة نهر النيجر فى أيام الاسيكيين زادها اهمية حيث كانت تحمل القوارب بالبضائع التى تصدر الى مختلف البلدان الواقعة حول نهر النيجر (٢).

ومما زادها قوة وجود قسم هام من جيش البحر المنغائى فى كبارا (٣) باستمرار ابتداء من القرن التاسع الهجرى ، الخامس عشر الميلادى حتى نهاية عهد الأساكى . وقد زادت على ماكانت عليه من العمران وعدد السكان وحركة التجارة ، وكانت تعقد فى رحبتها الواسعة سوق كبيرة مملوءة بالبضائع القادمة من المغرب ومصر ، وكذا من اوربا عن طريق المغرب (٤) .

وقد بلغت قمة ازدهارها فى عهد اسكيا داود ، قال السعدى : "وماثبتت عمارتها الا فى أواخر القرن التاسع الهجرى ، وماتكامل البناء فى الالتصاق والالتئام الا فى أواسط القرن العاشر الهجرى فى حكم اسكيا داود بن اسكيا

---

(١) الحسن الوزان : ص ١٦٢ المصدر السابق ، عبد القادر زبادية : المرجع السابق ، ص ١٠٥ .

(٢) من اكبر الانهار فى غرب افريقيا يقع حاليا فى غينيا ومالى وبنين ونيجيريا .

Vuillot : Atombouctou . p. 2 .

(٣) يبعد ميناء كبارا عن مدينة تمبكتو حوالى اثنى عشر ميلا الى الجنوب ، الحسن الوزان ص ١٦٨ ، المصدر السابق ، عبد القادر زبادية : المرجع السابق ص ١١٥ .

(١) الحسن الوزان : ص ١٦١، ١٦٦ المصدر السابق ، عبد القادر زبادية : المرجع السابق ، ص ١٠٢ .

الحاج محمد الكبير"(١).

وقد اهتم حكام صنغاى بالحياة العلمية كاهتمامهم بالحركة التجارية والسياسية ، "وكان القرن السادس عشر الميلادى ، قد تحقق خلاله لمدينة "تمبكتو" أَنْ تصبح محطة القوافل الاولى فى كل بلاد السودان الغربى"(٢) ، اذ سكن هذه المدينة عدد كبير من العلماء والتجار، وقصدها جمعٌ غفير من طلاب العلم ، مما بواها مكانة علمية عظيمة جعلتها المدينة الأولى للعلم والثقافة فى السودان الغربى كله (٣).

وفى تلك الحقبة ومفت بام مدائن السودان،سواءٌ فى العلم والحضارة،او فى العمران والتجارة ، وقد اصبح سكانها يزيدون على خمسة وثلاثين الف ساكن ، وربما لم تعد تفوقها آنذاك فى كثرة السكان مدينة سودانية اخرى فى غرب افريقيا غير غاو العاصمة السياسية لمملكة صنغاى التى كانت تمبكتو آنذاك احدى مدنها الهامة ، وتاتى فى المرتبة الثانية بعد غاو فى ميدان الاقتصاد .

ولعل من العوامل التى ساعدت على ازدهار تمبكتو بشكل ملفت للانظار هى الاضطرابات التى كانت تسود جيرانها من المدن بينما كانت هى تنعم بالهدوء والرخاء لاهتمام الحكام بها .

---

(١) السعدى : المصدر السابق ، ص ٢٢ .

(٢) Felix Dubois, op. cit. p.322, Peter B.Clark. op cit. p. 47, F.K.Buach, op. cit. p. 78 .

(٣) Felix Dubois, op. cit. p. 322 .

ومن ذلك اقصاء المسلمين من غرناطة ، وقد التجا نتيجة لذلك عدد من العلماء والشعراء الأندلسيين عن طريق تونس الى مدينة تمبكتو ، والتى كانت اهم مركز تعليمى فى وسط غرب افريقيا (١).

ومن ذلك ايضا طرد بعض الدعاة وخاصة القادريون (٢) من ولاته ونزلوا الى تمبكتو واتخذوها مركزا لهم (٣)، وقد اتى بعضهم من توات (٤)، للأسباب السابقة ذاتها ، وعلى يد هؤلاء تم نشر الدعوة الاسلامية الى جنوب الصحراء ابتداء من مدينة تمبكتو (٥).

---

(١) المجلة التاريخية المغربية عدد ٢١-٢٢ ، ص ١٦ ، يوسف فضل حسن : المنظمة العربية ، العلاقة بين الثقافة العربية والافريقية ، ص ٦٦ ، المرجع السابق .

(٢) وخاصة من قبائل كنت فى القرن التاسع الهجرى .
Peter B. Clarck, op. cit. p. 30 .

(٣) الحسن الوزان ص ١٦٢ المصدر السابق ، نعيم قداح : افريقيا الغربية فى ظل الاسلام ، المرجع السابق ، ص ٣٨ جلال عباس : المد الاسلامى فى غرب افريقيا ، ص ٥٧ .

(٤) ومن اشهرهم الامام المغيلى فى القرن التاسع الهجرى ، الخامس عشر الميلادى ، سير توماس وارنولد : المرجع السابق ، ص ٣٥٦ .

(٥) مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية ، بفاس ، العلاقات المغربية الافريقية ، عدد خاص (٥) ، ص ٨٩-١١١ ، السنة ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م .

ولم يلبث ان طغى النشاط الثقافى فى تمبكتو على غيره من النشاطات الاخرى واشتهرت المدينة به ، وتقاطرت الوفود اليها من العلماء والمفكرين من العالم الاسلامى ،واصبحت بحق مركز الحياة العلمية والثقافية ، وقلب الحركة الفكرية النابض اجتمع فيها العلماء من كل جنس ولون ، المغاربة والاندلسيون والمصريون والحجازيون ، ووفد اليها الناس من كافة غرب افريقيا من السنغال والنيجر ومن امارات الحوصا وبرنو ، وكانم (١) وغيرها .

كل هذه الاجناس كانت تفد الى هذه المدينة فتقيم بها زمنا ثم ترحل او تقيم بها اقامة دائمة ، وقل ان نجد كاتبا لم يؤلف فيها او فقيها سودانيا لم يتلقى العلم بها او يقيم فيها (٢).

---

(١) كانم : بكسر النون : تقع باقصى المغرب فى بلاد السودان الغربى ، ويطلق هذا الاسم على المكان والناس على حد سواء ، واهلها منف من السودانيين .
وقال البكرى ان بين زويله وبلاد كانم اربعين مرحلة وهم وراء صحراء بلاد زويلة ، واشتهر عنها بان هناك قوما من بنى امية صاروا اليها عند محنتهم ببنى العباس وهم على زى العرب واحوالها .
معجم البلدان للحموى ، ج٤ ، ص ٤٣٢ ، دار احياء التراث العربى ، بيروت ، لبنان بدون تاريخ .

(٢) السعدى : ص ٣٩ المصدر السابق ، حسن احمد محمود : المرجع السابق ، ص ٢٤٨ ، الامين عوض الله : المرجع السابق ، ص ٢١٣ .

وقد لعبت الطمانينة والرخاء دورا مهما فى عهد الاسيكيين فى القرن السادس عشر الميلادى ، العاشر الهجرى ، وفى عهدهم "بلغت تمبكتو ذروة مجدها وبلغ عدد سكانها مايقرب من ٨٠٠٠٠ نسمة فى عهد اسكيا داود . وكانت حينذاك العاصمة الاقتصادية للمملكة والمدينة التى تشتهر بالعلم والمعرفة بالسودان الغربى"(١).

وقد تميز سوق تمبكتو بكثرة الكتب التى ترد اليها واشتهر بها ، وقد اشار الرحالة العرب(٢) الى وجود العديد من المخطوطات النادرة فى سوقها الكبيرة (٣).

وقد زارها الحسن الوزان فى القرن العاشر الهجرى ، السادس عشر الميلادى ، ولم ينس ابدا ان يعطينا اشارة واضحة تدل على المستوى الثقافى الذى وصلت اليه هذه المدينة ومدى اهتمام سكانها باقتناء الكتب ، فضلا عن جهود حكام الأساكى ، بجلب العلماء والاعتناء بهم ، ومما لامجال فيه للشك ان الاسلام قد ساد مدينة تمبكتو منذ القرن الثامن الهجرى ، الرابع عشر الميلادى ، اكثر من غيرها من مدن السودان الغربى ، وقد احتوت هذه المدينة فى تلك الاثناء على ثلاثة مساجد كبيرة (٤)ـ الجوامع ـ مما لم يتهيا لغيرها من كبريات مدن السودان الغربى آنذاك ، هى :

---

(١) تاريخ افريقيا العام ، ج٤ ، المرجع السابق ، ص ٢١٧ .

(٢) ومن اشهرهم ابن بطوطة فى القرن الثامن الهجرى ، والحسن الوزان فى القرن العاشر الهجرى .

(٣) Paul Marty . op. cit. p. 87 .

(٤) P. Vuillot, op. cit, p. 2 .

(أ) مسجد الونكريين (١) أو جنكربير وقد يكون الساحلي (٢) هو الذى أشرف على بنائه بأمر من السلطان منساموس فى اثناء عودته من الحج ويعرف باسم الجامع الكبير (٣).

(ب) ومسجد سنكورى (٤): بناه فى أول مرة امراة تنسب الى قبيلة الأغلال ، وكان هذا المسجد يعد من اشهر المراكز الثقافية فى تمبكتو ، ومرت به احداث تاريخية كثيرة .

(ج) مسجد سيدى يحيى : بناه تمبكتوكى محمد نض (٥) فى دولة الطوارق ، وعين سيد يحيى اماما فيه واشتهر المسجد

---

(١) محمود كعت : ص ٣٢ المصدر السابق ، السعدى ص ٨ المصدر السابق ، المجلة التاريخية المغربية ، عدد ٧-٨ ، ص٣٠

(٢) التقى مع منساموسى فى مكة وجاء معه الى بلاد السودان الغربى ، وهو اندلسى الأصل .

(٣) السعدى : ص ٥٦ المصدر السابق ، حسن عيسى عبد الظاهر الدعوة الإسلامية فى غرب افريقيا وقيام الدولة الفولانى ص ٧٢ ، من مطبوعات المجلس العلمى رقم ١٦ جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، الرياض ، عام ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

(٤) السعدى : ص ٦٢ المصدر السابق ، المجلة التاريخية المصرية ، عدد ٧-٨ ، ص ٣٠ ، الأمين عوض الله : المرجع السابق ، ص ٢١٤ ، حسن عيسى عبد الظاهر : الدعوة الاسلامية فى غرب افريقيا ، وقيام الدولة الفولانى ، ص ٧٢ .

(٥) حاكم مدينة تمبكتو فى عهد دولة الطوارق ، السعدى : المصدر السابق ، ص ٢٢ ، المجلة التاريخية المغربية ، عدد ٧-٨ ، ص ٣٠ .

باسمه (١) .

وهذا بالاضافة الى العديد من المساجد التى بنيت فى تمبكتو ، الى جانب هذه الجوامع الكبرى .

وقد تم توسيع هذه المساجد الثلاثة فى عهد الاسيكيين وخاصة على يد القاضى العاقب الذى أشرف على التوسعة (٢)، وجدد المحراب فى جامع سنكورى (٣).

وكانت هذه التوسعة التى قام بها حكام الأساكى نظرا للظروف التى اقتضتها كثرة السكان حيث لم تعد تستوعب هذه المساجد الكبيرة جموع المصلين والدارسين فيها .

وقد ادت هذه المساجد دورها فى اثراء الحركة الثقافية فقد اجتمع فيها العلماء الوافدون من انحاء العالم الاسلامى(٤)، كما وفد اليها الناس من كافة أرجاء غرب افريقيا لتلقى العلم فى مساجدها وجوامعها ، ومن اشهرها جامع سنكورى الشهير ، الذى يشبه من وجوه كثيرة الجامع

---

(١) السعدى : المصدر السابق ، ص ٢٢ ، المجلة التاريخية المغربية ، عدد ٧-٨ ، ص ٣٠ .

P.Vuillot, op. cit. p. 2-5 .

M.Vincent. op. cit. p. 78 .

(٢) محمود كعت : المصدر السابق ، ص ١٢١ .

(٣) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، الأمين عوض الله : المرجع السابق ، ص ٢١٤ ، المجلة التاريخية المغربية عدد ٧-٨ ، ص ٣٠ .

(٤) Felix Dubois, op. cit. p. 315 .

الأزهر فى تراثه ومكانته العلمية (١).

وقد كانت تعقد المجالس العلمية فى هذه المساجد ليلا ونهارا ، علنا وجهارا ، دون انقطاع .

أما المحاضرات العامة والوعظ والافتاء فغالبا مايكون مابين الظهر والعصر ، او بعد العصر ، وسنتعرض لتفاصيل هذه النشاطات فى حينها .

وقد وجد فى المدينة عدد كبير من المدارس(٢)، كانت تؤدى دورها بجانب المساجد جنبا الى جنب ، وكما يبدوا ان انشاء المدارس على مستوياتها بجانب المساجد قديم العهد بمنفاى وخاصة فى مدينة تمبكتو ، ويرجع الفضل فى ذلك الى منساموسى سلطان مل عندما عاد من حجه واراد احياء الحياة العلمية والثقافية فى بلاده ، كما وجدها فى اجزاء أخرى من العالم الاسلامى . وانشا مدارس فى بلده وخاصة فى مدينة تمبكتو ، و"دعا للتدريس فى معاهدها ومدارسها مشاهير علماء العصر من مختلف البلدان واغدق على الطلاب الذين يفدون اليها لتلقى العلم"(٣)، وقد سبقت الاشارة الى ذلك ،ص٧٣.

وقد حذى اسكيا محمد الأول حذو منساموسى ، وشجع انشاء المدارس فى تمبكتو واشتهر فى ايامه معهد سنكورى الدينى وصارت تلك المدينة منارا للعلم والثقافة الاسلامية ، وقدر

---

(١) جامعة الدول العربية : المرجع السابق ، ص ٧٤ ،
Paul Marty : op. cit. p. 87 .

(٢) السعدى ص ٥٦ ، المصدر السابق .
Felix Dubois, op. cit. p. 322 .

(٣) المقريزى : ص ١١٣ المصدر السابق ، احمد شلبى : موسوعة الحضارة الاسلامية ، ج٦ ، ص ٢٣٢ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ١٩٨٣م .

مكانة رجال الدين والعلماء وقربهم اليه (١).

وقد خطت حركة تاسيس المدارس والمعاهد فى عهده خطوة واسعة النطاق وحذى خلفاؤه حذوه ، واستمر نشاطهم حتى نهاية دولتهم (٢).

وقد وجد بين مدارس تمبكتو مدارس للتعليم العالى ، ويبدو انها قد انتهجت نظاما مغايرا بعض الشىء عن النوع السابق ذكره (٣).

فقد تعرض العالم الاسلامى لأحداث سياسية خطيرة (٤)، ونتج عن ذلك انقسامات وحروب دامية خاصة فى القرنين التاسع والعاشر الهجريين ، الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين ، ولكن لم يؤثر ذلك كثيرا فى الحياة العلمية ، وان كان قد ادى الى تدنى مستوى التعليم فى بعض المناطق ، الا ان المناهج والكيفية ظلت موحدة ، ولذلك لم يظهر كثيرا الفرق بين اساليب المراكز الثقافية فى صنغاى من حيث المنهج واسلوب التدريس ، وظلت محتفظة بتاثيرات المغاربة فى هذه المراكز .

فالمقارنة هنا كثيرا ماتنطبق على الأسلوب ، واما الكيفية فلاتعدوا أن تكون فرعا من اصل ، وقد اشتهر كثير من

---

(١) عبد الرحمن زكى : تاريخ الدول الاسلامية السودانية بافريقيا الغربية ، المرجع السابق ،ص ١٤٠ ، س.م.
سيسوكو : تاريخ ، المرجع السابق ، ص ١٠٢ ،
Joseph, Ki-Zerbo, op. cit. p. 140 .

(٢) P. Westerman, op. cit. p. 12 .

(٣) مستوى الابتدائى والثانوى .

(٤) التوغل الاتراك فى العالم الأسلامى ، وخطر البرتغال والمليبيين على العالم الاسلامى ، وغيرها .

العلماء كان لهم دور كبير فى ازدهار الحركة العلمية فى تمبكتو خلال فترة البحث وعلى راسهم آل آقيت(١) ، وغيرهم كثيرون(٢) .

---

(١) ومن اشهرهم اولاد العالم الجليل عمر بن محمد آقيت واحفاده واسباطه ، ومن اشهرهم :

* شيخ الاسلام القاضى محمود بن عمر بن محمد آقيت ت ٩٥٥هـ
* محمد بن محمود بن عمر ت ٩٧٣هـ
* عبد الله بن محمود بن عمر ت ١٠٠٦هـ
* القاضى عمر بن سيدى محمود بن عمر ت ١٠٠٣هـ
* العاقب بن محمود بن عمر ت ١٥٨٣م
* العاقب بن محمد بن عمر ت ٩٩١هـ
* الحاج احمد بن عمر بن محمد ت ١٥٣٦م
* ابو بكر بن احمد بن عمر بن محمد ت ٩٩١هـ
* احمد بن سعيد سبط القاضى محمود بن عمرت ٩٧٦هـ

(٢) امثال :

* الحاج جد القاضى عبد الرحمن بن ابى بكر
* اندغمحمد بن محمد بن عثمان بن محمد نوح
* احمد بن محمود بن ابى بكر التمبكتى ت ٩٧٨هـ
* محمد بن محمود بن ابى بكر الونكرى ت ١٥٩٣م
* سيدى احمد بابا بن الحاج احمد بن الحاج احمد بن عمر ت ١٠٣٦هـ
* سيدى احمد بن اندغمحمد بن احمد التمبكتى ت ١٠٠١هـ
* احمد معيا من علماء تمبكتو البارزين ت ١٥٩٣م =

وكـان الطلبـة الذين درسوا فى مدارس ومساجد تمبكتو ، وتخرجـوا منهـا وارتحـل بعضهـم للاستزادة (١) ، جلهم صاروا علمـاء وتـولى اكثرهم القضاء (٢) . اما فى مدينة تمبكتو أو

= * الامين بن أحمد المجتهد ت ١٦٣١م

* ابو بكر بن احمد بير . وهؤلاء قليل من كثير .

(١) محمود كعت : تاريخ الفتاش المصدر السابق ص ١٢١، احمد بابـا : نيل الابتهاج ، المصدر السابق ص ١٦٢،١٦١،١٦٠، ٣٤٣،٣٤١،٢٣٧،٢٣٤،٢١٨، احـمد بابـا : كفاية المحتاج ، المصـدر السـابق ص ٣٨١،٣٧٣،١٨٩، السـعدى : تـاريخ السـودان ، المرجـع السـابق ص ٣٧،٣٥،٣٤،٣٣ ، محمد بن محـمد مخـلوف : شجرة النـور الزكية ، المرجع السابق ص ٢٨٦،٢٨٤،٢٧٨ ، البـرتلى : فتـح الشـكور فـى معرفـة اعيان علمـاء التكرور ، المرجع السابق ص ١٠٧،٣٨،٣٠،٢٧، ١٩١،١٨٩،١٧٨،١٥٥،١٤٦،١٠٨ ، محـمد الغـربى : بداية الحكم المغربى ، المرجع السابق ص ٥٢٧،٥٢٥،٥١٨،٥١٧ .

Felix Dubois, op. cit. p. 314,322,324 .

(٢) احـمد بابـا : نيل الابتهاج ، المصدر السابق ص ١٠٢،٩٥، ٣٤١،٢١٨ ، السـعدى : تـاريخ السودان ، المصدر السابق ص ٤٢،٣٥ ، البـرتلى : فتـح الشكور ، المرجع السابق ص ص ١١٢،٣٩،٣١،٢٨ ، محمد الغربى : بداية الحكم المغربى فـى السودان الغربى ، المرجع السابق ص ٥٢٦،٥١٨،٥١٧ ، ابراهيم على طرخان : مملكة مل ، المرجع السابق ص ١٥٢.

فى مدن سودانية اخرى كولاته (١)، وجنى(٢)، وغيرهما ، ونشروا العلم فى جميع ارجاء دولة صنغاى ، بجميع الأساليب كالمحاضرات العامة والوعظ والفتاوى ، والتدريس بالمساجد والمدارس .

كما زار مدينة تمبكتو علماء افاضل من خارج صنغاى وساهموا فى اثراء الحياة العلمية والثقافية فيها بالاخذ والعطاء من جميع الفنون(٣).

كما حظيت مدينة "تمبكتو" خلال القرن التاسع والعاشر الهجريين ، الخامس والسادس عشر الميلاديين بما لم تحظ به مدينة اخرى فى غرب افريقيا فى ذلك الوقت ، وكان من أبرز العوامل التى هيات لها ذلك ، ازدهار الحركة التعليمية بها

---

(١) احدى المراكز الثقافية الهامة فى صنغاى . انظر ص ٧٣.

(٢) مدينة من مدن صنغاى المهمة سياتى ذكرها .

(٣) ومن مشاهيرهم :

* الامام محمد بن عبد الكريم المغيلى
* الفقيه عبد الرحمن التميمى
* السيد يحيى التادلسى ت ٩٢٢هـ
* الفقيه مخلوف البلبالى

احمد بابا : نيل الابتهاج ، المصدر السابق ص ٣٣٠ ، السعدى : تاريخ السودان ، المصدر السابق ص ٢٩ ، البرتلى : فتح الشكور ، المرجع السابق ص ١٧٦ ، الشيخ محمد الامين عوض الله : المرجع السابق ص ٢١٤ ،

Felix Dubois, op. cit. p. 317 .

فى المقام الأول ، ولذا اخذت نوعا من التقدير والاحترام ، فى نظر الناس مما حمل الحكومة على اسناد جميع امور الناس فيها للقاضى ، وقد بلغت شهرتها الآفاق ، فقصدها الطلاب من جميع بلاد السودان الغربى ،كما ورد عليها بعض الطلبة من مراكش(١).

اما الأساتذة فقد كان عددهم كبيرا من بينهم المغاربة الذين كانوا يقومون بدورهم العلمى والثقافى الى جانب اخوانهم من اهالى البلاد ، وبهذه الصورة قامت تلك المدينة بدور كبير فيما يتعلق بنشر الثقافة بين شعوب السودان الغربى كلها (٢).

تستقبل طلابا وترسل ائمة وقضاة واساتذة ، واصبحت انوارها تضىء للقريب والبعيد ، للصغير والكبير ، للعابد والدارس ، وقادت الأعمى والبصير ، وجلبت السعادة الابدية فى الدنيا والآخرة لكل حى يعيش على أرضها .

---

(١) انظر ص ٥٢ .

(٢) السعدى : ص ٥٢-٦٣ المصدر السابق ، المجلة التاريخية المغربية عدد ٧-٨ ، ص ٣٨ .

(٢) مدينة جني :

ويرجع تاريخ قيام هذه المدينة على ضفة نهر النيجر(١) الى وقت مبكر اى عام ٤٣٥هـ/١٠٤٣م ، وقد نشأت هى الأخرى فى مكان كان مُلْتَقَىً تجارِ الشمال والجنوب الغربى ، لتبادل البضائع التى كانت السَبَبَ الحقيقىَّ للملة والاتصال بين اهل الشمال والجنوب ، واهم هذه السلع الملح(٢) الذى ياتى من الشمال ، والذهب(٣) الذى ياتى من الجنوب الغربى(٤)، وقد قدر لها ان تصبح مركزا تجاريا هاما(٥) فى بلاد السودان الغربى .

تقع مدينة جنى على مسافة مائتى ميل الى الجنوب

---

(١) قد سبق الاشارة اليه ص ٣٧ .

(٢) هى المادة التى تجعل لماء البحر طعمه الخاص ، ويمكن الحصول عليه من طبقات الأرض الملحية او من الملاحات البحرية التى تتكون بعد تبخر الماء ، ويستخدم الملح بوجه خاص فى تطييب الطعام وحفظه .

المعجم الوسيط ، المرجع السابق ص ٨٨٣ .

(٣) سبق ذكرها ص ٨ .

(٤) وفى هذه المدينة كانت ملتقى اصحاب الملح من معدن تغازة واصحاب الذهب من معدن بيط وكلا المعدنين ماكانت مثلهما فى الأهمية فوجد الناس فى تجارتها بركة وجمعوا فيها من الأموال مالايحصيه العدد .

السعدى : المصدر السابق ص ١١ .

(٥) توماس وارنولد : المرجع السابق ص ٣٥٥ .

الغربى من مدينة تمبكتو على الضفة اليسرى لنهر بانى(١) احد روافد نهر النيجر .

ويمكن القول بان هذه المدينة قد اتصفت باشياء اكسبتها شهرة وجمالا ، وجلبت لها رخاء وامانا ، فهى محوطة بشبكة من الطرق المائية التى جذبت اليها التجار ورجال العلم والادب من بلدان شتى ، حتى تعمقت فيها جذور العلم والمعرفة والثقافة الاسلامية التى حملت اليها من دول شمال القارة (٢) .

وكانت بهذه المدينة اراض زراعية كثيرة واشتهر اهلها بالزراعة والتجارة وتربية المواشى ، فضلا عن انها كانت ولاتزال حتى الآن من اهم المراكز الثقافية فى بلاد السودان الغربى ، وقد ميزتها هذه العوامل مجتمعة عن المراكز التجارية والثقافية الاخرى فى المنطقة (٣) .

واشتهرت هذه المدينة منذ انشائها وكثر الوافدون اليها وتعاقبت دول متتابعة ، وشهد لها بذلك ماضيها المجيد

---

(١) من الانهار الكبرى فى صنغاى واحد روافد نهر النيجر وتقع فى شرقه ، من منبعه ويتصلان قرب مدينة جنى .
Joseph Ki-Zerbo, op. cit. p. 143 .
شوقى عطا الله الجمل : المرجع السابق ص ١٥٥ ، مجلة المناهل عدد ٧ ، سنة ٤ نوفمبر ١٩٧٦م .

(٢) الحسن الوزان : ص ١٦٣ المصدر السابق ، زاهر رياض : الممالك الاسلامية فى غرب افريقيا ص ١٣٥ ، محمد الغربى المرجع السابق ص ٧٤ .

(٣) الحسن الوزان : ص ١٦٣ المصدر السابق ، السعدى : ص ١١ ١٢ المصدر السابق ، محمد الغربى : المرجع السابق ص٧٤
F.K. Buach, op, cit, p. 78 and Peter B. Clarke, op. cit. p. 47 .

ودورها فى اثراء الدعوة الاسلامية وازدهار النشاط التجارى بها .

واشتهرت سوقها منذ انشائها شهرةً جلبت اليها اعداداً كبيرة من التجار المسلمين ، اقاموا فيها وذلك قبل ان يتمكن الاسلام فيها وادى تاثيرهم على اهلها ان دخلوا فى الاسلام ولكن يبدوا ان ذلك قد استغرق وقتا طويلا ، قال السعدى(١) انها لم يتمكن الاسلام منها الا فى القرن السادس الهجرى(٢) .

وقيَّضَ اللهُ لها حكاماً صالحين ، وكان اكثرهم علماء ودعاة ، ادوا خدمات جليلةً لها ، وعندما تولى حكم هذه المدينة "كى كمبر"(٣)واعتنق الاسلام تمكّن الاسلام فيها ، لأن "السلطان كمبر حين اسلم ، اسلم معه كثير من اهل جنى" .

وكان اسلام هذا الحاكم امام حشد كبير من العلماء والدعاة "بلغ عددهم اربعة آلاف ومائتين فاسلم على ايديهم"(٤)، وامرهم ان يدعو الله تعالى ان يصلح حال هذه المدينة فاستجاب الله دعاءهم(٥).

---

(١) قد سبقت الاشارة اليه ، ص ٦٦ .

(٢) السعدى : المصدر السابق ص ١١ .

(٣) حاكم مدينة جنى فى نهاية القرن السادس الهجرى .

السعدى : المصدر السابق ص ١١ .

Peter clarke. OP. CIT. P. 49 .

(٤) السعدى : المصدر السابق ص ١١ ،

D.T. Niane. op. cit. p. 78 .

(٥) امرهم بان يدعو الله سبحانه وتعالى لصلاح تلك المدينة بثلاث دعوات ... فاستجاب الله دعاءهم . =

ووجود مثل هذا العدد الهائل من العلماء والدعاة والتجار المسلمين في هذه المدينة في هذا الوقت دليل على دخول الاسلام فيها منذ وقت مبكر من انشائها ، ولكن يرجع بدء تمكنه باسلام هذا السلطان .

ويبدو ان اسلام هذا السلطان كان بداية التنافس الثقافي والتجاري في مدينة جني ، وكان دور الحكام عاملا مشجعا ودافعا قويا للازدهار الثقافي والعلمي فيها (١).

وكانت سوق هذه المدينة عامرة طيلة ايام الاسبوع ، ويعد من اعظم اسواق المنطقة (٢)، فكانت تحتل الدرجة الثانية في الاهمية بعد مدينة تمبكتو (٣)، وظلت فترة طويلة تبث نشاطها الثقافي والتجاري في جميع مدن وقرى بلاد السودان الغربي ، كما كانت لها صلات واسعة النطاق بالعالم العربي ، سواء في المغرب(٤)، او مصر (٥)، او الحجاز (٦).

= السعدي : المصدر السابق ص ١٢ ، نبذة من تاريخ جني مخطوط ، ص ٢ ، مخطوط في عدة نسخ في مركز احمد بابا رقم ٣٥٠١٠ .

(١) V.Monteil, op. cit. p. 78 , and Zakari Daramani I. L'afrique Noire les relation internationales au 16 s Pareis., 1982 .

(٢) السعدي : المصدر السابق ص ١٢ ، محمد الغربي : المرجع السابق ص ٧٤ .

(٣) عبد القادر زبادية : المرجع السابق ص ١٠٧ .

(٤) سبق ذكرها ص ٨٦.

(٥) سبق ذكرها ص ٨٦.

(٦) السعدي : ص ١١-١٢ مصدر سابق .

لقد استقبلت مدينة جنى التجار والعلماء وطلاب العلم (١)، وكثرت مساجدها وامتلات مدارسها مما جعلها من المراكز الحضارية الهامة فى صنغاى ، ولم يتحقق لها ذلك الا بعد ان اهتم الحكام بها كثيرا وقدموا لها امكانيات هائلة من منشآت ثقافية خيرية تدل على مامر بها من تطورات وخاصة فى المجال الثقافى والحضارى . ففى عهد مملكة مل (٢)كانت مدينة جنى مركزا كبيرا للثقافة الاسلامية .

وعندما تدهورت مملكة مل كانت مدينة جنى من المراكز الثقافية التى لم تتأثر اقتصاديا وثقافيا ، واستمرت شهرتها وكثر علماؤها حيث كانت مدينة دينية وثقافية لدى حكام مل (٣)، وضرب بها المثل لكثرة علمائها (٤).

ويدل على تقدمها وشدة تماسكها سياسيا واقتصاديا وثقافيا ان قاوم اهلها الفاتح سن على الذى حاول احتلالها

---

(١) الحسن الوزان : ص ١٦٣ مصدر سابق ، السعدى : ص ١١-١٢ مصدر سابق .

Joseph Cuog, op. cit. p. 205 .

(٢) سبقت الاشارة اليها فى التمهيد ص ١٣.

(٣) اقام منسا موسى واخوه منسا سليمان فيها مساجد ومدارس فى عهد مملكة مل .

(٤) السعدى : ص ١٢ المصدر السابق ، ابرهيم على طرخان : دولة مل ، المرجع السابق ص ١٥١ .

بقتال مستمر خلال ستة اشهر (١)، وقال المؤرخون (٢): "كفاها ذلك فخرا واعتزازا بقوتها" (٣).

ودخلت مدينة جنى تحت حكم صنغاى فى عهد سن على ، وحظيت كثيرا باحترام حكام صنغاى .

ولايمر جيشهم بها الا ويزور قاضيها ويقدم قادته اليه الهدايا او يساعدونه على اقامة مؤسسات خيرية ، وبنوا فيها مساجد ومدارس وماوى لطلاب العلم (٤).

واول من عين القضاة فيها (٥) للفصل بين الناس اسكيا

---

(١) اختلفت الروايات على مدة حصار سن على عليها فيما بين ٤-٧ سنوات ، ولايكاد يكون اكثرها خرافات .
محمود كعت : ص ، ، المصدر السابق ، السعدى : المصدر السابق ص ١٤-١٥ ،
Jean Rouch, op, cit. p. 9 , and F.K. Buoch, op. cit. p. 81 .

(٢) منهم احد المؤرخين الأمريكيين J.C. de Greft- Jonson صاحب كتاب African Glory .

(٣) J.C. de Greft- Jonson : African Glory, p. 102 . and Peter B. Clarke, op. cit. p. 48-49 .

(٤) الامين عوض الله : المرجع السابق ص ٢١٧ ،
Joseph Ki-Zerbo, op. cit. p. 149 and Vincent Monteil, op. cit. p. 79 .

(٥) بلغ عددهم اثنى عشر قاضيا فقد ذكرهم عبد الرحمن السعدى بالترتيب وقال : فاولهم القاضى محمد فودى سانو ، ثم القاضى فوك ، ثم القاضى كناجى ، والقاضى تنتاع ، والقاضى سنقم ، والقاضى العباس كب ، والقاضى =

محمد الاول وفق الشريعة الاسلامية (١)، وكان اهل هذه المدينة على مستوى كبير من الحضارة والتقدم ، وعبر لنا عن ذلك الزائر والمؤرخ الحسن الوزان (٢)حيث قال :"ويسكنها الملك والائمة والفقهاء والتجار والاعيان ... يرتدى اهل هذه المدينة لباسا حسنا ، ويتلثمون بلثام ابيض"(٣).

وكانت مساجد مدينة جنى من اجمل المساجد فى بلاد السودان الغربى على الاطلاق ، شهد بذلك معظم المؤرخين (٤)، حيث بنى بعضها على الطراز المغربى الاندلسى(٥)، والبعض الآخر على الطراز السودانى الغربى(٦)، وعلق على ذلك احد المؤرخين حيث قال :"وبها مسجد جميل هو درة الفن

= محمود بغيغ ، والقاضى عمر ترف ، والقاضى تلماكس ، والقاضى احمد ترف ابن القاضى عمر ترف ، والقاضى مودب بكر تروري ، والقاضى محمد بنب كناتى .

السعدى : المصدر السابق ص ١٩ ،

Sekene Mody Cissoko, op. cit. p. 110 .

(١) السعدى : ص ١٩ المصدر السابق ، الأمين عوض الله : المرجع السابق ، ص ٢١٨ ،

Jean Rouch, op. cit. p. 9, and

S.M. Cissoko, op. cit. p. 118, and

D.T. Niane, op. cit. p. 77-94 .

(٢) انظر ص ١٨، ٩٩.

(٣) الحسن الوزان : المصدر السابق ص ١٦٢ .

(٤) Zakari Daramani Issifu, op. cit. p. 196 .

(٥) السعدى : المصدر السابق ص ١٤ ؛ محمد الغربى : المرجع السابق ص ٥٧٩ .

(٦) انظر الملحق والصور بآخر البحث .

السوداني"(١).

وقال السعدي : "قد ساق الله تعالى لهذه المدينة المباركة سكانا من العلماء والصالحين من قبائل شتى وبلاد شتى".(٢).

وكانت لهذه المدينة حركة دائبة للتعليم، واسرع اليها العلماء كما تسابق الطلبة مسرعين لاقتباس العلم والمعرفة من العلماء ، وكانت الحلقات الدراسية والمناقشات العلمية تبدا من منتصف الليل(٣)، ويرجع السبب في ذلك الى كثرة النشاطات في هذه المدينة من زراعة وتجارة وصيد الاسماك وغيرها .

وهكذا كانت للحياة الثقافية والعلمية بجني تاثير في

---

(١) S.M. Cissoko, op, cit. p. 217, Tom IV .

(٢) ومن اشهرهم في عهد صنفاي : الفقيه محمدساقو الونكري ومورمغ كنكي ، وسيدي محمود بن عمر بن محمد ، والعالم عباس كب ، ومحمود بن ابي بكر بغيغ ، واحمد ترف ، وعمر ترف ، ومحمد بنب كناني ونكري ، ومودب بكر تروري والخطيب ماما ، والامام يحيى ، واحمد السحولية ، كما يلاحظ ان معظم هؤلاء من القضاة الذين اشرنا اليهم سابقا ،ص ١٠٩ .

السعدي : المصدر السابق ص ١٦-١٩ ، عبد القادر زبادية المرجع السابق ص ١٠٧-١٠٨ ، امين عوض الله : المرجع السابق ص ٢١٧ ،

S.M. Cissoko, op. cit. p. 110 .

(٣) السعدي : ص ١٦ المصدر السابق ، عصمت عبد اللطيف دندش دور المرابطين في نشر الاسلام في غرب افريقيا ص ١٦٢ ،

Zakari Daramani Issifu, op. cit. p. 188 .

معظم المدن والقرى وخاصة فى عهد صنغاى(١) .

وخرجت مدارسها ومساجدها كوادر من العلماء الذين ساهموا فى نشر الاسلام فى المنطقة ، وقد وصفها العلماء والرحالة قديما وحديثا ، بما يؤكد اهميتها وماقدمته من دور ملموس ، وقال السعدى : "انها مدينة عظيمة ميمونة مباركة ذات سعة وبركة ورحمة جعل الله ذلك فى ارضها خلقا وجبلة ، وطبيعة اهلها التراحم والتعاطف والمواساة ، ومن اجل هذه المدينة المباركة ياتى الرفاق من جميع الآفاق"(٢).

ومما زادها جمالا وجلب لها امانا انها محاطة بالماء والسور ، ولها احد عشر بابا سد ثلاثة منها وبقى ثمانية ابواب ، ومن رآها عن بعد لايظنها الا غابة من كثرة الأشجار فيها (٣).

وبها اكبر سوق فى الجنوب الغربى وعلى صلة وثيقة ببلدان السافانا (٤).

---

(١) Joseph Ki-Zerbo, op. cit. p. 149 and S.M. Cissok, op. cit. p. 110 .

(٢) السعدى : المصدر السابق ص ١١-١٢ .

(٣) السعدى : المصدر السابق ص ١٢ ، F.K. Buach. op. cit. p. 18 .

(٤) ارض مشبعة مدارية تقع على حافة مناطق الرياح التجارية ، وتسبب تحركات حزام الرياح الساكنة الاستوائى ، حلول فصل الأمطار ، فتنمو الحشائش التى تذوى فى فصل الجفاف ، اكثر مناطق السافانا اتساعا توجد بافريقيا وأمريكا الجنوبية .
الموسوعة الثقافية ص ٥٢٥ .

وغاباتها تعطى ثمارها الاقتصادى والثقافى(١).

وقد استمرت معاهدها ومساجدها تؤدى دورها فى خدمة العلم حتى دهمتها جيوش مراكش فقضت على كل شىء فيها (٢).

قال توماس وارنولد (٣): "ان مدينتى جنى وتمبكتو، بعد تاسيسهما قدر لهما فى القرون المتعاقبة ان تؤثر تاثيرا قويا فى تقدم الاسلام فى السودان الغربى"(٤).

واستمرت هذه المدينة تؤدى دورها فى نشر الثقافة الاسلامية حتى بعد انهيار دولة صنغاى، وفى عهد الاستعمار، وقد زارها ارشينار(٥)ووجد بها خمسة عشر مدرسة وكثيرا من

---

(١) Mighel Abitboi, op. cit. p. 68-69 , and S.M. Cissoko, op. cit. p. 121 .

(٢) محمد بن عبد الله النقيرة : التاثير الاسلامى فى غرب افريقية ص ٢٨٥،٩٥، مطبعة الفرزدق التجارية بالرياض الطبعة الاولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م،

Jean Rouch, op. cit. p. 10 .

(٣) صاحبا كتاب الدعوة الى الاسلام، بحث فى تاريخ نشر العقيدة الاسلامية، ذكرا سابقا.

(٤) توماس وارنولد : المرجع السابق ص ٣٥٥ .

(٥) احد قواد الفرنسية الذين قادوا الحملات العسكرية الى افريقيا، وبيده تم الاستيلاء على مدينة سيغو عاصمة الدولة العمرية فى السودان الغربى فى منتصف القرن التاسع عشر الميلادى (١٨٦٤م) . جبريل تنفير نيان : التاريخ ص ٩٠ طبعة جديدة، تتان افريقى .

الكتب العربية ، وعندما دخلها المستعمرون عطلت المدارس بها وكانت آخر مدرسة اغلقت فيها سنة ١٩١٣م (٦).

---

(١) نعيم قداح : حضارة الاسلام وحضارة اوربا فى افريقيا الغربية ص ٢٥٩ ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، الطبعة الثانية ، نعيم قداح : افريقيا الغربية فى ظل الاسلام ص ١٤٢ ، المرجع السابق .

(٣) مدينة غاو :

تقع مدينة غاو على الطريق الواصل بين بلاد الحوصا فى الشرق وبلاد الطوارق فى الشمال ، والمراكز التجارية الهامة فى غرب الصحراء (١).

نشأت مدينة "غاو" منذ البداية كمركز قوى للنشاط التجارى ولعبت التجارة فيها دورا هاما ، وجلبت القوافل اليها البضائع والسلع من جميع الجهات وكثر سكانها وتطلب ذلك اتساع احيائها اكثر من تمبكتو (٢) ، وجنى ، وان كانت لم تبلغهما فى التقدم الثقافى (٣) .

وتحكمت مدينة "غاو" فى النشاط التجارى مدة طويلة بحكم موقعها الاستراتيجى حيث تقع فى وسط طرق القوافل التجارية الى معظم الجهات ، فاكثر سكانها كانوا من التجار النشطين الاغنياء ، وفيها سوق مهمة كانت اكبر الأسواق فى السودان الغربى منذ القرن التاسع حتى نهاية القرن العاشر الهجريين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين ، على الاطلاق "ويرد اليها كمية وافرة من الذهب (٤) ويتم التبادل بها باشياء مستوردة من بلاد البربر واوربا" (٥).

---

(١) الحسن الوزان : ص ١٦٤، ١٧٠ المصدر السابق ، محمد الغربى : المرجع السابق ص ٥٨٤ ،

F.K. Buach, op. cit. p. 78 .

(٢) مدينة غاو تبعد اربعمائة ميل عن مدينة تمبكتو ، الحسن الوزان : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ١٦٩ .

(٣) وصل سكانها قبل حكم المغربى الى ٧٥ الف نسمة و٧٦٢٦ دار غير بيوت مبنيات بالحشيش . محمود كعت : ص ١٤٦ ، المصدر السابق ، محمد الغربى : المرجع السابق ص ٥٨٤ عبد القادر زبادية : المرجع السابق ص ١٠٩ .

(٤) انظر ص ٨ .

(٥) الحسن الوزان : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ١٦٩ .

فى نهاية القرن الثالث عشر الميلادى ، استولى على مدينة غاو حكام مملكة مل(١)، ومنهم السلطان موسى الذى قام بتنظيم الدولة تحت قيادة موحدة ، واهتم بتنمية مدينة غاو اقتصاديا وثقافيا ، فاصبحت غاو منذ ذلك الوقت موقعا تجاريا كبيرا (٢).

وهذه المدينة كانت اكبر المراكز التجارية فى مملكة صنغاى(٣)، ومكان تجمع اعيان الدولة من الكتاب والمستشارين والقواد وامناء الدولة ووجهائها وعلى راسهم السلطان وحاشيته (٤)وكبار العلماء من القضاة والاشراف والتجار الكبار من المغاربة والسودانيين .

وكانت هذه المدينة الكبيرة المزدهرة بالسكان والتجارة والثقافة هى العاصمة لمملكة صنغاى منذ عهد سن على(٥).

وظلت لمدة طويلة سوقا مهما جذبت اليها التجار(٦)من

---

(١) قد سبقت الاشارة اليها ص ١٣ .

(٢) بحكم موقعها الطبيعى نحو بلاد الحوصا والدندى جنوبا وشرقا ، ليبيا ومصر شمالا ، السعدى : ص ٧ المصدر السابق ، يونسكو : تاريخ افريقيا العام ، ج٤ ، المرجع السابق ، ص ٢٠٠،٢١٨ .

(٣) كانت مساحتها الواسعة تستوعب حوالى مائة الف نسمة .
S.M. Cissoko. op. cit. p. 218 .

(٤) كانت العاصمة لدولة صنغاى قبل عهد سن على فى كوكيا .

(٥) اتخذ سن على مدنا كثيرة لاقامته ، وبنى فى كلها قصور السلطنة ، لانه كثير التنقل . محمود كعت : ص ٤٥ المصدر السابق .

(٦) Boveille الممالك الاسلامية ، ترجمة زاهر رياض : المرجع السابق ص ١٣٢ ،
Perer Clarke, op. cit. p. 47 .

جميع انحاء غرب افريقيا ، وبلغت قمة الازدهار الحضارى فى مملكة صنغاى وزارها الحسن الوزان فى القرن العاشر الهجرى السادس عشر الميلادى ، ووصفها بدقة وعبر عن اعجابه بها حيث قال(١) : "والمدينة متحضرة جدا بالنسبة لمدينة تمبكتو ، حيث يسكن الملك وحاشيته " ، فهى مدينة من أجمل المدن فى السودان الغربى كله فى ذلك الوقت(٢)، وفى عهد الأساكى بلغت هذه المدينة درجة كبيرة من الازدهار(٣).

ويمكن القول بان الضرائب التى انْصَبَّتْ على خزائن غاو نتيجة لفتوحات الأساكى كانت من أهم العوامل التى ادت الى ازدهار المدينة التى جذبت تجارا كثيرين من المسلمين وغيرهم الى السودان الغربى ، وجاء على اثر هؤلاء العلماء(٤)والدعاة يدعون الى عبادة الله وينشرون الدين الاسلامى ، ويثقفون الناس ويبنون المساجد والمدارس كما اقاموا حلقات الدروس بالمساجد ، وقد حظيت هذه المدينة باهتمام الحكام ، كما حظى غيرها ولكن حظّها كان اكثر لأنها كانت حاضِرَةَ البلاد .

وعندما قوى حكام صنغاى استولوا على مملكة مل والمدن التى كانت تحت ايديها(٥).

---

(١) الحسن الوزان : وصف افريقيا ، ج٢ ، ص ١٦٩ ، المصدر السابق .

(٢) اى وقت زيارته لها .

(٣) عبد القادر زبادية : مملكة صنغاى ، المرجع السابق ص ١٠٨ .

(٤) Boville ترجمة زاهر رياض : المرجع السابق ص ١٤٢ .

(٥) الحسن الوزان : ص ١٦٥ المصدر السابق ، السعدى : ص ٧٣ ١٤٢ المصدر السابق ، Berand Villars. op. cit. p. 24

وشملت حركة تاسيس المدارس والمعاهد والمساجد فى عهد اسكيا محمد الكبير ١٤٩٢م مدينة غاو(١)، واوقف الحكام والاثرياء الاوقاف الكثيرة على المساجد والائمة والمؤذنين والخطباء والمدرسين فى مدينة غاو(٢).

والنشاط الثقافى فى مدينة غاو ، كان متنوعا ومن بين هذه النشاطات عقد المجالس العلمية وخاصة مجالس التفسير والحديث وكان يحضر هذه المجالس(٣) الحكام ومنهم اسكى داود ومجلس الجمعة فى كل اسبوع بعد صلاة الجمعة (٤).

وسوق مدينة غاو كان سوقا جامعا وكانت الكتب من ضمن البضائع(٥) التى ترد اليه وتعرض فيه ، وفيه عدد كبير من النساخين .

ولايمكن اغفال دور المكتبات العامة التى كانت تتوفر فيها للبحث والمطالعة ، ومن اشهر هذه المكتبات مكتبة اسكى

---

(١) وسبقه فى ذلك منسا موسى حيث بنى المسجد الكبير فى غاو ، بعد عودته من الحج، وتبعه حكام منغاى بعد ذلك.
السعدى : ص ٧ ، المصدر السابق .
Peter Clark, op. cit. p. 50 .

(٢) محمود كعت : تاريخ الفتاش ، المصدر السابق ص ١٠٦ ، عبد الرحمن زكى : تاريخ الدول الاسلامية السودانية ، المرجع السابق ص ١٤٠ .

(٣) محمود كعت : تاريخ الفتاش ، المصدر السابق ص ١١٥ .

(٤) المصدر السابق ، ص ١٣، ٩٤ .

(٥) الحسن الوزان : ص ١٦٩-١٧٠ ، المرجع السابق ، يوسف فضل حسن : العرب وافريقيا ، ص ٤٠ ، المرجع السابق .

داود فى غاو (١)، ومكتبة اسكى محمد الأول ، ومكتبة اسكى محمد بان بن اسكى داود (٢)، ولعبت هذه المكتبات دورا مهما فى النشاط العلمى . كما افادت معرفة الاتجاهات الفكرية ومستواه الثقافى فى ذلك الوقت .

ومدينة غاو ، كانت من بين المدن التى اشتهرت بكثرة علمائها منذ عهد مملكة مل ، ولم تتاثر اقتصاديا أو ثقافيا او سياسيا بتدهور مملكة مل .

وقد اقام كثير من العلماء الذين كان الأساكى يستقبلونهم فى مدينة غاو ، ومن اشهرهم الامام المغيلى الذى رحل الى بلاد التكرور ، فوصل الى مدينة غاو ، واجتمع بسلطانها اسكيا محمد الاول (٣)، وجرى على طريقته فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، واقام فى المدينة مدة يمارس التدريس(٤) والتاليف .

---

(١) الفع محمود كعت : تاريخ الفتاش ، ص ٩٤ ، المصدر السابق ،

Berand Villars, op. citlp. 94 .

Cheik Anta Diop. op. cit. p. 135 .

(٢) عثر الأستاذ محمد ابراهيم الكتانى على بعض محتوى هذه المكتبة فى المكتبات المغربية . مجلة دعوة الحق عدد ١ ص ٨٦ سنة ١١ نوفمبر ١٩٧٦م .

Zakari Daramani Issifu. op. cit. p. 201 .

(٣) سبق الاشارة اليه ص٣٩.

(٤) ابن مريم : البستان فى ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية ، ص ٢٥٤ ، يونسكو : تاريخ افريقيا العام ، ج٢ ، ص ٢٩٥ ، المرجع السابق ، محمد الغربى : بداية الحكم المغربى فى السودان الغربى ، ص ٦٠٨ ، المرجع السابق .

والف للسلطان(١)كتابا اجاب فيه عن عدد من المسائل ، وكتابا آخر عما يجب على الحاكم نحو المحكومين ، وغيره من العلماء البارزين الكبار(٢).

---

(١) اسكيا محمد الأول .

(٢) امثال : اسرة آل اسكيا الحاكمة ، ومن اشهرهم اسكيا محمد الكبير ، واسكيا داود ابنه ، واسكيا الحاج محمد الثانى بن داود ، وكذلك اسكيا اسحاق ، واسكى محمد بان بن داود ، واسكى الفع بكر لنبار ، الذى كان وزير القلم وكاتب الدواوين فى ديوان السلطنة مدة طويلة ، واسكيا اسماعيل بن اسكيا الكبير ، وغيرهم .

* الشريف احمد المقلى نزيل غاو على ضيافة السلطان اسكيا محمد الكبير .

* القاضى والمؤرخ الفع محمود كعت ت ١٥٤٨م .

* الفقيه والفيلسوف زكريا غاو ، الذى كان من مستشارى اسكيا محمد الكبير ورفيقه الى الحج ، وغير هؤلاء كثير الفع محمود كعت : تاريخ الفتاش ، المرجع السابق ص ١٦ ، ٦٥،٨٧،٩٢،٢٣،١٢٣،١٤٧ ، محمد الغربى : بداية الحكم المغربى فى السودان الغربى ص ٥٨١،٥٣١ ، مجلة المناهل العدد السابع السنة الرابعة نوفمبر ١٩٧٦م ، ابن القاضى : أبى العباس أحمد بن محمد المكناسى : ذيل وفيات الأعيان المسمى درة الحجال فى أسماء الرجال ، تحقيق محمد الأحمدى ابو النور، ج١ ، ص ٨٠،٣٠٤،٤٠٦،٣٠٤ .

فاما الرحالة الذين زاروا مدينة غاو، لم يقتصر على المسلمين او العرب فقط وانما شمل ذلك ايضا الأوربيين فى وقت مبكر ، حيث بدا ازدهار الحركة التجارية فيها منذ بداية تدهور مملكة مل ، جلب بعض القواد الأوربيين ومكتشفى القارة الافريقية الى اللجوء اليها ، منهم بيثنكور (١) الفرنسى الذى سكن فيها احد عشر عاما (٢)، وزارها ايضا مالفنت(٣)، وقد وصل الى مدينة غاو عن طريق كوكيا (٤)عام ١٤٤٧م (٥). وقد كانت هذه المدينة تحتفن مجموعة من العلماء والطلاب ليس من الحكمة اغفال دورهم فى اثراء الحياة العلمية فى هذه المدينة فى فترة البحث .

---

(١) احد قواد الفرنسية الذين حاولوا الكشف عن بلاد السودان الغربى منذ وقت مبكر ، وقضى بضع سنين فى غاو وتزوج من اميرة صنغية تسمى كاسياس Cassias وعاد معها وابنتهما الى فرنسا .

(٢) Boville ترجمة زاهر رياض : المرجع السابق ص ١٥٠ .

(٣) هو احد الأوربيين الذين قاموا بمسح اراضى افريقية الغربية فى اواسط القرن الخامس عشر الميلادى حيث وصل غاو عن طريق كوكيا عام ١٤٤٧م .

R. Mauny : Notes, d'archeologie, op. cit. p. 837-852.

(٤) العاصمة الاولى لحكام صنغاى قبل سن على ، وتقع جنوب مدينة غاو .

Joseph Ki-Zerbo, op. cit. p. 143 .

(٥) Raymond Mauny : Notes. op. cit. p. 840 .

وقد أغفل الكتاب بصفة عامة دور هذه المدينة فى النشاط التعليمى وركزوا على جانب الحياة السياسية والاقتصادية دون غيرهما ، ولانتهم المؤرخين فى العصر الاستعمارى فحسب وانما شمل ذلك المؤرخين قبل هذا العهد جميعهم على حسب ماطلعنا عليه من المصادر والمراجع التى تتوفر لدينا حتى الآن ، الا القليل النادر .

(٤) بلاد الحوصا :

بلاد الحوصا : هى المنطقة الشمالية فى دولة نيجيريا الفدرالية الحالية (١)، امتدت هذه المنطقة الى الشرق من نهر النيجر ، وهى موطن لزنوج ينتمون الى قبائل مختلفة (٢) عرفوا بمزاولة الزراعة والتجارة ، كما اشتهروا بالعبقرية الصناعية وخاصة النساجين (٣)والصباغين (٤)ودابغى الجلود (٥).

واشتهروا بهذه الاعمال بين التجار العرب والأوربيين منذ وقت مبكر ، عاشوا فى مدن مسورة (٦)وقرى منعزلة (٧).

وتتكون بلاد الحوصا من سبعة اقاليم او امارات(٨)،

---

(١) فهى تضم كل مديريات صوكوتو وكاتسينا وكانو . وشمال مديريات زاريا وبوش ، وبرنو .

(٢) الا ان اصلهم واحد وهو الجنس الزنجى.

(٣) وهو حرفة حياكة الاثواب . المعجم الوسيط : المرجع السابق ص ٩١٦ .

(٤) وهو حرفة تلوين الثياب ونحوها . المرجع السابق ص ٥٠٦

(٥) حرفة الدبغ هو معالجة الجلود واصلاحها بمادة ليلين ويزول مابه من رطوبة ونتن .

المعجم الوسيط : المرجع السابق ص ٢٧٠ ، زاهر رياض : المرجع السابق ص ١٣٨ .

(٦) ومن اهم مدنهم : كانو ، وكاتسينا ، وزاريا ، وصكتو .

(٧) ويزيد عددهم على ستة ملايين نسمة حاليا ، واكثرهم مسلمون . الموسوعة الثقافية : المرجع السابق ص ١٠٣٥.

(٨) وهى : غوبر ، وكانو ، وكاتسينا ، وزاريا ، وداورا ، وبيرم ، ورانو .

"السانهم واحد ، وعلى كل اقليم امير نظير للآخر ، واوسطها كاتشينا واوسعها زكزك واجدبها غوبر واكبرها كانو"(١).

وهى بلاد ذات اشجار وانهار ورمال وجبال واودية يعمرها السودانيون من اهل برنو (٢) والفولانيون (٣) والطوارق (٤)، وصارت فى هذه الامارات بعض المدن الكبيرة التى برزت وتميزت بالنشاط التجارى ، ولقد ربط هذه الامارات نوعٌ من التحالف، وقد ساعد ذلك على امتداد الاثر الاقتصادى والثقافى لشعب

---

(١) الحسن الوزان : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ١٧٠-١٧٤ ، الامام محمد بلو : انفاق الميسور فى تاريخ بلاد التكرور ص ٤٤-٤٧ ، القاهرة ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م ، محمد كانمى المرجع السابق ص ٢٣، ٣٣-٣٦، ٤١-٤٥، ٤٩-٥٥ ، ابو بكر على المرجع السابق ص ٤٦، ٤٨-٤٩ ، يوسف نصر : المرجع السابق ص ٣١ .

(٢) قال صاحب كتاب انفاق الميسور فى تاريخ بلاد التكرور ، ان "اهل برنو خليط من البربر والعرب والفولانيون" ، ولاينكر احد انتشار قبائل شمال القارة الى جنوب الصحراء منذ فترة . محمد بلو : المصدر السابق ص ٣٣ .

(٣) تقطن قبائل الفولانى فى اعالى النيجر وحتى نهر السنغال ، وفى نيجيريا الشمالية ، والفولانيون اما رعاة مسالمون متنقلون ، واما مستقرون ، بحيث يمثل الطبقة الحاكمة ذات النفوذ والجاه ، وانتشرت نفوذهم فى السودان الغربى اكثر من غيرها من الشعوب التى تعيش فى المنطقة ، كما ذكرنا اليه سابقا ، ص ١٦ .
يوسف نصر : المرجع السابق ص ٣٠ .

(٤) قد سبقت الاشارة اليها عند ذكر سكان مدينة تمبكتو .

الحوصا الى كل مناطق السودان الغربى والأوسط(١).

وقد ظهرت فى بلاد الحوصا وشعبها تاثيراتٌ خارجيةٌ كثيرةٌ من اهمها : التاثيرات السياسية ، والتاثيرات التجارية (٢) ان بلاد الحوصا كانت محطات تجمع وملتقى قوافل التجارة من العرب والبربر والزنوج(٣)، ومن خلال التجارة دخل الاسلام هذه المنطقة على يد التجار المسلمين ، وقد وصل التاثير الثقافى والتجارى لمملكة مل الى هذه المنطقة بشكل مباشر(٤)، منذ القرن السابع الهجرى ، الثالث عشر الميلادى.

وفى عهد مملكة صنغاى قام سن على(٥)بغزو هذه المنطقة واخضع معظمها وشملها التوسع الكبير الذى قام به اسكيا محمد الأول(٦)فى القرن التاسع الهجرى ، الخامس عشر

---

(١) محبات امام احمد شرابى : نيجيريا الجديدة كنوزها واقتصادياتها ص ٧ ، المؤسسة المصرية العامة للتاليف والترجمة والطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٤م .

(٢) تاريخ دولة كانم شمال نيجيريا ص ٣٦ ،
J.S. Trimingham . op. cit. p. 61 .

(٣) الحسن الوزن : ص ١٧١ المصدر السابق ، آدم عبد الله الألورى : تاريخ نيجيريا ، المرجع السابق ، ص ٣٠ .

(٤) Mervyn Hiskett. op. cit. p. 69 .

(٥) قد سبقت الاشارة اليه ص ٤٩.

(٦) انظر ص ٢٩.

الميلادى (١) .

وكانت امارتا كاتسينا وكانو من ابرز واشهر امارات الحوصا فى الميدان الثقافى من بين الامارات الاخرى ، وتاثيرهما فى العلاقات الخارجية اقوى ، حتى اشتهرت بهما المنطقة كلها ، وجريا على منوال السابقين ، نعرض دورهما فى مجال الثقافة الاسلامية وعلاقتهما الخارجية فى عهد امرائها البارزين ، واثر تلك العلاقة فى المناطق الداخلية للامارات الاخرى .

الحسن الوزان : ص ١٧١ ، ١٧٣ ، ١٧٤ المصدر السابق

(١) شيخو أحمد سعيد غلادنث : حركة اللغة العربية وآدابها فى نيجيريا من سنة ١٨٠٤ الى ١٩٦٦م ، ص ٣٩ ، دار المعارف ، القاهرة ،

Berand Villars. op.cit. p. 67-69 .

(أ) كاتسينا (١) :

هى مدينة تقع على طريق القوافل المارة من تمبكتو الى برنو (٢) ، ومصر (٣).

ويمكن القول بان هذه المدينة صارت أسبق الى ميدان الحضارة والعمران (٤).

واشتهرت هذه المدينة بسوقها الكبير منذ أواسط القرن الثانى عشر الميلادى ترد اليه القوافل من البربر (٥) ، والوناغرة (٦) ، والعرب (٧).

ولايعرف تاريخ دخول الاسلام فى منطقة كاتسينا على وجه التحديد غير ان معظم المؤرخين قد أكدوا ان أهلها أسلموا قبل غيرهم من أهل هذه البلاد ، وعلى ايديهم تم نشر الاسلام الى المدن والقرى المجاورة وعلى الأخص مدينة كانو ، مما يؤكد أن الاسلام دخل الى كاتسينا عن طريق التجار

---

(١) يتكون سكان كاتسينا من الفولانى ، والبربر ، والوناغرة ، والطوارق .

(٢) قد سبقت الاشارة اليها آنفا ، ص ١٢٤ .

(٣) قد سبق ذكرها فى هذا الفصل وماقبله ، ص ٨٦ .

(٤) آدم عبد الله الالورى : تاريخ ، المرجع السابق ص ٣١ .

(٥) انظر ص ٨٦ .

(٦) اهل ونغرة : هى دولة نشات فى بلاد الحوصا فى القرن ٧هـ/١٣م ، وقد ضمتها اليها مملكة كاتسينا بعد ذلك . الحسن الوزان : المصدر السابق ص ١٧٤ .

(٧) قد سبقت الاشارة اليه ص ٨٦ .

المسلمين (١) .

ويمكن القول ايضا بان الأمير محمد كورو (٢)، الذى حكم كاتسينا خلال الفترة ١٤٤٥ – ١٤٩٥م أول قائد مسلم لكاتسينا وكان فى اسلامه بركة عظيمة وخير كثير لكاتسينا ، وعلى يده تم نشر الاسلام فى كثير من تلك الجهات .

قدم أعمالا جليلة لخدمة الدين الاسلامى فى بلده ، ويعتبر المؤسس الحقيقى للحركة العلمية ومنظم الدعوة الاسلامية فى بلاطه بالمعاونة مع الدعاة الونغريين (٣).

قام ببناء مسجد غوبر (٤) على غرار مساجد غاو ، وجنى واستقبل عددا كبيرا من العلماء منهم الامام محمد بن

---

(١) محمد بلو : انفاق الميسور ص ٣٤ ، المصدر السابق ، آدم عبد الله الألورى : موجز تاريخ نيجيريا ، المرجع السابق ص ٨٩ ، بيروت ١٩٦٥م .

(٢) Joseph Cuog, op. cit. p. 291 .

(٣) الونغرة هذه غير السابقة فهذه تقع فى مل ، وهاجر اهلها الى بلاد الحوصا فى القرن الرابع عشر الميلادى عدة مرات لنشر الاسلام فيها .

أحمد محمد كانمى : المرجع السابق ص ٣٣ ،

J.F.Ade Ajay, op. cit. p. 274 .

(٤) من اقاليم المجموعة الأصلية ، يقع فى الأطراف ، فى اقصى الشمال من بلاد الحوصا يحده من الجنوب نهر مكتو واقليم كانو ، ومن الغرب منحنى نهر ريما ، ويتداخل بحدوده الشمالية مع الحدود الجنوبية لاقليم آهير اوبرنو .

محمد بلو : المصدر السابق ص ٣٩ ، حسن عيسى عبد الظاهر : المرجع السابق ص ١٣٥ .

عبد الكريم المغيلي(١)، الذى زار كاتسينا (٢)فى عهده ، وجاء قبله وفد علماء الوناغرة (٣).

وجرت عادة الولاة فى كاتسينا على سنته من بعده ، وفى عهد ابراهيم سورا ١٤٨٨ - ١٤٩٣م زارها الامام عبد الرحمن السيوطى(٤)، كما زارها عدد كبير من العلماء .. وكما خرج بعض اهلها فى طلب العلم الى كل من تمبكتو ، وتونس(٥)، ومصر .

ورجعوا الى بلادهم واسسوا مدارس بلغت مستوى عال ، وقد نبغ فيهم عدد كبير من الفقهاء والادباء خلفوا من التراث الادبى مايدل على نبوغهم ووفرة علمهم (٦).

---

(١) انظر ص ٩٥، ١١٨ .

(٢) محمد بن عبد الكريم المغيلى : ص ٩ ، المصدر السابق ، ميشيل ايزارد ، ج٤ ، المرجع السابق ، ص ٢٨٠ ، شيخو احمد سعيد غلادنث : المرجع السابق ص ٤٩ .

(٣) وقد وصل هذا الوفد الى كاتسينا عام ٨٣٥هـ فى عهد سلطان محمد رمفا ١٤٦٣-١٤٩٩م .
أحمد محمد كانى : المرجع السابق ص ٣٣ ، آدم عبد الله الالورى : موجز تاريخ نيجيريا ، المرجع السابق ، ص ٧٩ .

(٤) قد سبقت الاشارة اليه ص٥٠ .

(٥) مملكة تونس وتخضع لها اربعة اقاليم هى : بجاية وقسنطينة ، وطرابلس الغرب ، والزاب .
الحسن الوزان : المصدر السابق ، ج١ ،ص ٣١ .

(٦) شمال افريقيا : الاسلام وتطور الحديث ص ٥٨ ،
Felix Dubois, op.cit. p. 329 .

(ب) **ولاية كانو :**

تقع كانو على بعد نحو خمسمائة ميل من الضفة الشرقية لنهر النيجر ، يتكون سكانها من عدة قبائل (١) يسكنون المدينة والقرى ولهم وضع جيد (٢) ، وفيهم صناع متحضرون (٣) .

ولهذه الولاية اهمية كبيرة لفتت اهتمام الحكام وانظار الرحالة والمؤرخين ، قال آدم عبد الله الالورى : انها "اشهر بلاد حوصا القديمة والحديثة واغناها واوسعها وارقاها ويرجع تاريخها الى عهد بعيد" (٤) .

ولاتقل اهمية هذه الولاية عن سابقتها من حيث النشاط الاقتصادى والسياسى والثقافى .

وكانت تعتبر رمزا حقيقيا ونموذجا متميزا لمراكز الثقافة الافريقية الاسلامية ، وتعد من أكبر المراكز التجارية التقليدية فى غرب افريقيا حيث كان سوقها الكبير إشهر الأسواق التى جمعت العرب والافريقيين ، وزارها الحسن الوزان واعجب بنشاطها التجارى حيث قال : "وبها تجار اغنياء" (٥) .

---

(١) ومن اهمها الفولانى ، والحوصا .

(٢) منظمون اجتماعيا .

(٣) الحسن الوزان : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ١٧٣ .

(٤) وتعاقب عليها حكام كثيرون ، واشهرهم آل بايزيد ، وآل الرنفاوية ، آدم عبد الله الالورى : موجز تاريخ غرب افريقيا ، المرجع السابق ، ص ٨١ .

(٥) الحسن الوزان : ١٧٣/٢ المصدر السابق ، محيى الدين صابر : العرب وافريقيا ، العلاقات الثقافية ص ٢١٩ ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت .

وتكونت نتيجة لنشاطها التجارى علاقات خارجية واسعة النطاق مع جيرانها وقوى بعد ذلك نفوذها السياسى والثقافى على يد حكامها .

وتمتعت ولاية كانو بنور الاسلام منذ القرن السابع الهجرى ، الثالث عشر الميلادى ، على يد التجار ، ولايستبعد ان يكون الاسلام قد دخلها من كاتسينا ، ثم بدات تظهر بصمات الاسلام فيها فى عهد الملك عثمان رمفاوى(١)، على ايدى علماء الونغاريين الذين حضروا الى كانو ، ودعوا الملك الى الاسلام فاسلم ، واسلم معه كثيرون ثم ازداد الاسلام قوة فى عهد الملك كنجيج(٢)، وفى عهد ابنه عمر(٣)الذى احب الاسلام والعلماء وقربهم اليه وتعلم القرآن الكريم والحديث والفقه وعمل على نشر العلم ، وفرض لأهله العطايا وشجعهم على طلبه والاقبال عليه والتبحر فيه ، وقد سبق حكام كانو فى هذا الميدان(٤).

---

(١) آدم عبد الله الالورى : موجز تاريخ ص ٨٢،٣٢ . ولم يشر الى تاريخ توليته او لفترة حكمه ، وترتيبه الحادى عشر من بين الحكام فى اسرته .

(٢) لم اقف على ترجمته بعد ، وكذلك ابنه غير أن لهما دورا كبيرا فى نشر الاسلام فى عهديهما .

(٣) آدم عبد الله الالورى : موجز تاريخ نيجيريا ص ٨٢ .

(٤) نفس المرجع السابق ، ونفس الصفحة .

وفى القرن الثامن والتاسع الهجريين ، الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين صارت امارة كانو فى مقدمة امارات المنطقة وتوافد اليها علماء الاسلام من المغرب ومصر وغيرهما من مدن السودان الغربى .

وبدا الاتصال الوثيقُ بين مملكة مل وامارة كانو الاسلاميتين اثر تكوين النفوذ السياسى الاسلامى الواسع فى السودان الغربى وخاصة فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين ، حيث كانت تتوالى الوفود الى كانو ومنها وفود علماء الافارقة من منطقة ونقرا فى مملكة مل (١) كما سبقت الاشارة الى ذلك ، وعلماء من صنغاى (٢) ، واحتل العلماء المناصب المهمة من الاستشارة والامامة والقضاء فى امارة كانو (٣) .

وكان من ابرز حكام كانو محمد رمفاحكم كانو من سنة ١٤٦٣ - ١٤٩٩م (٤) ، واليه يرجع الفضل فى ادخال اصلاحات دينية

---

(١) Mervny Hiskett, op. cit. p. 45 .

(٢) ليس بين صنغاى وبلاد الحوصا علاقة ، وانما كانت دولة واحدة بقوة الاسلام ، خلال فترة البحث .

(٣) احمد بابا : نيل الابتهاج ص ٣٤،٣٣٠ المصدر السابق ، اسئلة الامير واجوبة الامام ص ٩ المصدر السابق ، محيى الدين صابر : المرجع السابق ، ص ٢٢٠ ،
Josep Cuog , op. cit. p.290 .

(٤) Mervny Hiskett, op. cit. p. 45 .

وسياسية واجتماعية واقتصادية كثيرة خلال فترة حكمه فى كانو (١).

يعد محمد رمفا من اعظم حكام كانو ، وعهده من أزهى العهود لها ، كان عصره عصر علم وثقافة ، وفى عهده حضر الى كانو الامام المغيلى ، الداعية المخلص محمد بن عبد الكريم ومكث بها مدة من الزمن ، وتولى القضاء والامامة (٢).

وفى منتصف القرن التاسع الهجرى ، الخامس عشر الميلادى ازداد تمسك الطبقة الحاكمة بالدين الاسلامى بشكل كبير ، ووصل فى تلك الفترة العلماء الفولانيون (٣) من مملكة مل حاملين معهم كتبا فى فنون مختلفة لم تكن معروفة فى بلاد الحوصا غير كتب الشريعة والسنة (٤).

ثم استولى اسكيا محمد الأول ١٤٩٣ - ١٥٢٨م على كانو ، مع سائر بلاد الحوصا عام ١٥١٣م وضمها الى صنغاى (٥).

---

(١) عبد الله بن فودى : ضياء السياسات وفتاوى النوازل ، مما هو من فروع الدين من المسائل ، ص ٨١ ، تحقيق وتقديم احمد محمد كانى ، مطبعة الزهراء للاعلام العربى ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

(٢) احمد بابا : نيل الابتهاج ص ٣٣٠ المصدر السابق ، حسن عيسى عبد الظاهر : المرجع السابق ، ص ١٤١ ، Peter Clarke, op, cit. p. 60-64 .

(٣) وقد شارك هؤلاء اخوانهم فى عمارة بلاد الحوصا بصفة عامة ، كما سبقت الاشارة الى ذلك ، ص ١٢٨.

(٤) تاريخ افريقيا العام ، ج٤ ، المرجع السابق ، ص ٢٧٩ .

(٥) الحسن الوزان ٢/١٧١-١٧٤ المصدر السابق ، آدم عبد الله الالورى : موجز تاريخ ، المرجع السابق ، ص ٨١ ، S.M. Cissoko, op. cit. p. 106 .

ونشطت مدن الحوصا بعد ضمها الى صنغاى نشاطا ملموسا وفى مقدمتها مدينتا كاتسينا وكانو ، وكانت مدن الحوصا تموج بجماهير المثقفين والعلماء وكثر طلاب العلم ، واستتب العدل فى الحياة العامة (١)، ومما يؤكد لنا ان مملكة صنغاى ومدنها كانت مقصد العلماء والطلاب من جميع انحاء بلاد السودان الغربى للدراسة والتفقه فى الدين والعلم ، واكبر دليل على ذلك ماتحمله احياء كثيرة ، من اسماء وقبائل الطلاب الذين توافدوا عليها لتلقى العلم بها واقاموا فيها مثل صنغى ، ومل ، وآهير (٢).

وقد سجلت فى تلك الفترة سلسلة من الزيارات لعدد من العلماء الى بلاد الحوصا (٣)منذ القرن الثامن الهجرى ، الرابع عشر الميلادى ، ومن أهم هذه الوفود علماء الونغريين الذين قدموا من مملكة مل (٤)، وبلغ عدَدُهم اربعين عالما ، وعلى راسهم الشيخ عبد الرحمن زناتى(٥)، ومنهم قَامُورِى

---

(١) حتى النساء كن يلعبن دورهن فى الحياة العامة ، وأميرة أمينة أصبح لها شان فى السياسة والعلم فى كانو ، وعاشت فى القرن الخامس عشر الميلادى .
محمد العزبى : المرجع السابق ، ص ٧٠ .

(٢) هذه الأسماء كثيرة فى أحياء بلاد الحوصا حتى الآن .
حسن عيسى عبد الظاهر : المرجع السابق ، ص ١٤٠ .

(٣) Mervny Hisekett. op. cit. p. 80 .

(٤) انظر ص ١٢٨، ١٢٢-١٢٣ .

(٥) تولى القضاء .

بلقاسم وجورد موسى(١)، ولول(٢)، وجوتا (٣)، وماندوالى وغيرهم ، وقام هذا الوفد بنشر الاسلام فى انحاء بلاد الحوصا وكان منهم علماء وائمة وقضاة(٤)شغلوا المناصب المهمة فى البلاد .

وبفضل جهودهم استقامت أمور الاسلام فى كانو ، وكاتسينا واحضر اعضاء هذا الوفد معهم الكتب الاسلامية فى العقيدة والفقه (٥)، وفى القرن التاسع الهجرى ، منتصف القرن الخامس عشر الميلادى ، شهدت المنطقة موجة كبيرة أخرى من هجرات العلماء الفولانيين من السودان الغربى ،مل ، ودعموا النشاط الفكرى الاسلامى فى بلاد الحوصا .

احضر هؤلاء فنونا وكتبا جديدة فى الفقه واللغة وخاصة كتب المذهب المالكى ، ومن أهم هذه الكتب المدونة الكبرى(٦)

---

(١) عهد اليه بالامامة والخطابة فى الجامع الكبير .

(٢) اتخذه الأمير مؤذنا .

(٣) جوتا أو اوتا : عهد اليه بالاشراف على المعاملات ـ كالمحتسب ـ ومنها مراقبة الذبائح والأسواق .

(٤) آدم عبد الله الالورى : تاريخ نيجيريا ، المرجع السابق ، ص ٥٥ ، أحمد محمد كانمى : المرجع السابق ، ص ٣٣ ، حسن عيسى عبد الظاهر : المرجع السابق ، ص ١٤٢

(٥) ابراهيم على طرخان : دولة مل ، المرجع السابق ص ٥٥ .

(٦) فكانت تسمى المدونة والمختلطة ، وعكف عليه أهل افريقية والمغرب كثيرا .

ابن خلدون : المقدمة ، ص ٥٦٩ ، مطبعة النهضة المصرية

لعبد السلام بن سعيد سحنون(١)، ورسالة(٢)ابن أبى زيد القيروانى(٣)، قبل نهاية القرن الخامس عشر الميلادى ، والتاسع الهجرى .

وقدوجدت مؤلفات كثيرة فى فنون مختلفة من التوحيد والنحو والصرف والفقه وغيرها تدرس فى مدارسها وتنتشر فى بلاد الحوصا .

ومن المؤلفات المهمة التى أحضرت من مصر(٤)فى تلك

---

(١) هو عبد السلام بن سعيد بن حبيب التنوخى القيروانى ، لقب بسحنون ت ٢٤٠هـ، احمد بابا : نيل الابتهاج ، المصدر السابق ، ص ١٦٠ ، محمد بن محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص ٦٩ .

(٢) كتاب مهم فى الفقه المالكى ، ويعتبر من أهم الكتب بعد الموطأ والمدونة والمختصر .

(٣) هو عبد الله بن عبد الرحمن كنى بأبى محمد وأبوه أبو زيد القيروانى ، ت ٣٨٦هـ .
ابن فرحون : الديباج المذهب فى معرفة أعيان علماء المذهب ، ص ٣٣٦ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان
عبد الوهاب بن منصور : أعلام المغرب العربى ، ج٥ ، ص ٢٠٥ ، المطبعة الملكية ، الرباط ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م ،
البرتلى : المرجع السابق ، ص ١١٨ ، محمد بن محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص ٩٦ .

(٤) قد سبقت الاشارة اليها ، ص ٨٦ .

الفترة كتاب مختصر (١) الشيخ خليل (٢) فى الفقه المالكى ايضا الذى احدث ثورة علمية فى اوساط الطلبة والعلماء ، فقد امر الشيخ زغيتى (٣) تلاميذه بنسخه وقراءته وقال : "انه ابن المدونة (٤) فانسخوه واقرءوه" (٥).

كما قام علماء المغاربة بمساهمة كبيرة فى اثراء الحياة العلمية فى بلاد الحوصا ووفدوا اليها بكثرة (٦) افادت اهل البلاد فائدة علمية وثقافية كبيرة .

ومن اهم اولئك العلماء الامام محمد بن عبد الكريم المغيلى (٧) ، ومكث كثيرا فى كل من كاتسينا وكانو ، واقام به وقتا طويلا واشتغل بالتدريس والقضاء ، وقام بدور بارز

---

(١) يعتبر من اهم كتب الفقه المالكية بعد الموطا والمدونة .

(٢) هو خليل بن اسحاق بن موسى ت ٧٧٦هـ .
احمد بابا : نيل الابتهاج ، المصدر السابق ، ص ١١٢ ،
محمد بن محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص ٢٢٣ .

(٣) من ابرز العلماء فى بلاد الحوصا فى نهاية القرن التاسع الهجرى .

(٤) اى من مختصراته .

(٥) احمد محمد كانى : المرجع السابق ، ص ٣٤ .

(٦) J.F. Ade Ajayi, op. cit. p. 278 .

(٧) قد سبقت الاشارة اليه ، ص ٢٥ .

فى تسيير دفة الحكم وتوجيه الحكام(١).

ومن العلماء البارزين الذين قاموا بزيارة هذه البلاد ابو عبد الله محمد بن احمد بن غازى ت ٩١٩هـ(٢)، كان رحمه الله من شيوخ العصر ، قدم من بلاد المغرب الى كاتسينا ومكث بها ثم اشتغل بالتدريس(٣).

وقد نالت بلادالحوصا كذلك اهتمام علماء مصر منذ القرن التاسع الهجرى ، الخامس عشر الميلادى ، وقامت علاقات ثقافية واسعة بينهما ، وقد قدم عدد كبير من علماء مصر لزيارة بلاد الحوصا .

ومن ابرزهم أيضا الامام عبد الرحمن السيوطى ١٤٤٥-١٥٠٥م الذى أبدى اهتماما خاصا بالشئون السياسية والاجتماعية فى بلاد التكرور بصفة عامة ، وبلاد الحوصا خاصة "(٤).

اقام فى كاتسينا مدة محاضرا ومفقها فى الدين ومقرّباً من أميرها(٥).

---

(١) احمد بابا : نيل الابتهاج ، المصدر السابق ص ٣٣٠ ، حسن أحمد محمود : المرجع السابق ، ص ٢٣٣،٢٥١ ، أمين عوض الله : المرجع السابق ، ص ١٨٤ ، توماس وارنولد : المرجع السابق ،ص ٣٥٧ ، محمد الغربى : المرجع السابق ص ٥١٤ .

(٢) على حسب راى المؤلفين : J.F. Ade Ajayi و Michael Crouser

(٣) J.F. Ade Ajoyi. op. cit. p. 278 .

(٤) احمد محمد كانمى : المرجع السابق ، ص ٣٧ .

(٥) عبده بدوى : مع حركة الاسلام فى افريقية ، دراسة من خلال الدول التى قامت قبل الاستعمار ، ص ١٦٨ .

ثم عاد الى مصر عام ٨٧٦هـ ، واما ابنه ابراهيم بن عبد الرحمن السيوطي فقد رحل الى منغاى واقام في مدينة تمبكتو وكان من ضمن المؤذنين في المسجد الكبير (١).

ومن العلماء البارزين الذين جاءوا الى كانو ، من مصر العالم عبد الرحمن سوجين المغربي ت ٩٥٦هـ(٢)، تلميذ الامام ابن غازي(٣)الذي جلس يدرس في فنون العلوم المختلفة في احدى مدارسها (٤).

ومن مشاهير العلماء الذين سكنوا بلاد الحوصا ايضا الفقيه مخلوف بن علي البلبالي ت ١٥٣٣م ، اشتغل بالعلم ومن شيوخه الفقيه عبد الله بن عمر بن محمد آقيت(٥)شقيق احمد ابن عمر بن محمد (٦) بولاته (٧)، ثم اخذ عن الامام ابن غازي وغيره ورجع الى بلاد السودان الغربي كانو ، وكاتسينا

---

(١) احمد بابا : نيل الابتهاج ص ١٧٦ المصدر السابق ، حسن احمد محمود : المرجع السابق ، ص ٢٥٢ .

(٢) محمد بن محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص ٢٧٩ ، وقد كتب اسمه سوجين ، احيانا سقين او سقير. احمد بابا: نيل الابتهاج، ص ١٧٦.

(٣) المتقدم ذكره آنفا ، ص ١٣٨.

(٤) احمد محمد كاني : المرجع السابق ، ص ٤١ ، ميشيل ايزواد : المرجع السابق ، ج٤ ، ص ٢٩٦ .

(٥) هاجر من تمبكتو الى ولاته وولي القضاء هناك حتى توفي سياتي ذكره بالتفصيل في الفصل الرابع من هذا البحث .

(٦) جد سيدي احمد بابا التمبكتي المعروف بابي العباس ، احمد بابا : نيل الابتهاج ص ١٦١ المصدر السابق .

(٧) قد سبقت الاشارة اليها ، ص ٩٧.

وغيرهما للتدريس ، ثم عاد الى المغرب(١)، وله نشاط ملموس في حقل التعليم .

ومن الذين اسهموا في دفع عجلة الثقافة الاسلامية في هذه المنطقة العالم عمر بن محمد آقيت(٢)، الذى اقام في كل من كانو ، وكاتسينا فترة ليست بالقصيرة في طريق عودته لبلاده من الحج عام ١٤٩٢م ، واشتغل بالتدريس وافاد ، وانتفع به جمع غفير من العلماء والطلاب(٣).

ومن هؤلاء العلماء ايضا محمد بن ابى محمد التازختى(٤) ت ٩٣٦هـ ، كان فقيها محدثا عالما متفننا اخذ عن علماء بلده ، ثم رحل الى تكده (٥)ثم الى الشرق واخذ عن علمائها

---

(١) احمد بابا : كفاية المحتاج : المصدر السابق ، ص ٣٨٢ السعدى : المصدر السابق ،ص ٣٩ ، البرتلى : المرجع السابق ، ص ١٤٦ ، ميشيل ايزواد : المرجع السابق ، ج٤ ص ٢٩٦ ، احمد محمد كانمى : المرجع السابق ، ص ٤١ ، محمد الغربى : المرجع السابق ، ص ٥١٧،٥٩ .

(٢) من اجداد احمد بابا الشهير ، خدم العلم ابناؤه واحفاده ، واسباطه كلهم علماء وفقهاء .

(٣) احمد بابا : كفاية المحتاج ، المصدر السابق ، ص ٤٣ ، ميشيل ايزواد : المرجع السابق ، ج٤ ، ص ٢٩٦ .

(٤) بلدة صغيرة بناها الافارقة على نهر صغير يمر في شعب عند قوم جبل الفريان قريبة على حدود السودان والمغرب الحسن الوزان : المصدر السابق ، ج١ ، ص ٣٦٧ .

(٥) مدينة على اطراف الصحراء بين المغرب والسودان .

الاجلاء (١)حتى برع فى العلم والفنون وصار من المحدثين ، ثم رجع الى بلاد السودان الغربى ، واستوطن كاتسينا واشتغل بالتدريس وولى القضاء (٢)فيها ، وغير هؤلاء كثيرين ، لايتسع المجال فى هذا البحث لذكرهم جميعا .

---

(١) احمد بابا : نيل الابتهاج ص ٣٣٥ المصدر السابق ، حسن احمد محمود : المرجع السابق ، ص ٢٢٧ ، محمد احمد كانمى : المرجع السابق ، ص ٤١ ، احمد شلبى : المرجع السابق ، ص ٢٧٨ .

(٢) السعدى : المصدر السابق ، ص ٣٩ ، محمد بلو : المصدر السابق ، ص ٥٧ ، ميشيل ايزواد : المرجع السابق ، ص ٢٩٥ ، احمد محمد كانمى : المرجع السابق ، ص ٤١ .

الفصل الثالث

وسائل نشر العلم والثقافة في صنعاء في فترة البحث

(١) الكتاتيب

(٢) المساجد

(٣) المدارس

(٤) دور العلماء

(٥) قصور الحكام

(٦) رحلة الحج والرحلات العلمية

(٧) المناهج والمقررات الدراسية

(٨) الاجازات العلمية

وسائل نشر العلم والثقافة
في صنغاى في فترة البحث

من أهم مظاهر الحياة العلمية فى دولة صنغاى وسائل نشر العلم والثقافة الاسلامية فيها ، ويرجع ظهور هذه الوسائل في السودان الغربي منذ وصول الاسلام الى جنوب الصحراء الكبرى(١).

وكان التعليم من الدعائم الأساسية التى يرتكز عليها علماء المسلمين فى نشر دينهم فى كل مكان يصلون اليه .

وتحمل هذا الأمر فى بدايته التجار المسلمون ، والدعاة والمعلمون الذين وصلوا الى بلاد السودان الغربي(٢)،

---

(١) قد سبقت الاشارة الى ذلك فى التمهيد ص ٧ .

(٢) ويستوى على هذا تجار الشمال والجنوب الصحراء الكبرى وذكر لنا الشريشى في شرح المقامة التاسعة الحريرية "ان غانه بلد مملكة السودان وبها من تجار المغرب كثير يدخلون للتجارة فيصيبون الخصب والامن وكثرة المتاجر ... ويقيمون بها عند اميرها فى غاية الكرم". الشريشى : شرح المقامات للحريرى البصرى ٣٣٤/١ ، المكتبة الشعبية .
مجلة دراسات افريقية ص ٢٤ ، نصف سنوية ، المركز الاسلامى الافريقى بالخرطوم ، العدد الثالث ، رجب ١٤٠٧هـ/ابريل ١٩٨٧م .

ليمارسوا التجارة والتدريس والدعوة الى توحيد الله الى جانب ممارستهم الأعمال التى جاءوا من اجلها الى تلك البلاد .

وقد بلغ التعليم قمة ازدهاره بتمكن الاسلام فى دولة صنغاى خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين ، الخامس والسادس عشر الميلاديين ، وظهرت وسائله المتعددة فى امكنة مختلفة تبعا لتعدد نشاطاتها التى تهدف الى شيء واحد هو نشر العقيدة الاسلامية وتثبيتها فى نفوس المسلمين .

ومن اهم هذه الوسائل :

(١) الكتاب :

انتشرت الكتاتيب فى جميع انحاء مملكة صنغاى منذ نهاية القرن الرابع عشر الميلادى ، الثامن الهجرى ، وكانت امكنة المكاتب وكثرة انتشارها ووجود المساجد فى بعض المدن اهم ماتتميز به المدن الاسلامية فى دولة صنغاى بالاضافة الى اتخاذ اماكن متعددة لتعليم المبيان ، من اهمها بيوت العلماء ، والائمة الذين كانوا يعكفون على التعليم ، ويلازمون اولئك التلاميذ حتى يكملوا قراءة القرآن الكريم تلاوة وحفظا [١].

وكذلك فى الحوانيت والدروب ، واطراف الأسواق ، وزوايا المساجد او بالغرف الملحقة بالمساجد [٢].

---

(١) محمود كعت : ص ١٧٩-١٨١ المصدر السابق .

(٢) السعدى : ص ٢٧-٣٧،٥١،٢٦٦ المصدر السابق .

وفي القرى الصغيرة التي تخلو من المساجد كان اطفالها يتلقون تعليمهم على يد احد الدعاة في ساحة صغيرة في الحي او في الهواء الطلق ، وخاصة في الصيف تحت الاشجار ذات الظلال (١).

وقد انتشرت هذه الاماكن بشكل كبير ووجد الى جانب معظم المساجد غرفة او غرفتان لتعليم الاولاد ، وغرف اخرى لنوم بعض الطلاب القادمين من بلاد بعيدة ، وخاصة مدينة تمبكتو ومدينة "جنى"، وشملت هذه المرحلة الاساسية كل الطلاب ، واغلبيتهم في مرحلة الصبا حيث تتراوح اعمارهم بين خمس وست سنوات(٢).

والهدف الاساسي لهذه المرحلة هو تعليم القراءة والكتابة ، ولذا كان على كل طالب ان يدخلها ليتزود بمعرفة مبادىء القراءة والكتابة (٣)، وخاصة بعض السور من القرآن الكريم بقدر مايمكنه التسلح به لخوض المرحلة التالية (٤) وممارسة العبادة .

---

(١) السعدي : ص ٥١ المصدر السابق .

(٢) محمود كت : ص ١٨٠ المصدر السابق ، نعيم قداح : افريقيا الغربية في ظل الاسلام ، المرجع السابق ، ص١٤١ مجلة المؤرخ العربي ، عدد ١٤ ، ص ٢١٣ ، تصدرها الامانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب ، بغداد ، العراق .

(٣) Felix Dubois. op. cit. . p. 332 .

(٤) ابن بطوطة : رحلته ص ٦٧٣ ، المصدر السابق ، عصمت عبد اللطيف دندس : المرجع السابق ، ص ١٦٧ .

وكان دور الآباء مهما جدا فى هذه المرحلة والمسئولية ملقاة على عاتقهم بصفة خاصة لاختيار الوقت المناسب لتقديم اولادهم الى المدارس واختيار المؤدبين والمعلمين الذين يثقون بهم اوتربطهم بهم علاقة ما ، ويمكنهم القيام بهذه المهمة ، ومن ثم يقومون بمراقبة التلاميذ وتهيئة السبل لهم لتحصيل العلم وتشجيعهم على الاستمرار فى التعلم والدرس .

وترجع اهمية الكتاب(١) الى انه الوسيلة الأولى لتعلم القرآن الكريم واللغة العربية ومبادىء القراءة والكتابة كما سبقت الاشارة الى ذلك/ص ١٤٥ .

ولذلك قل ان لايدخله ابن من ابناء المسلمين فى بدء حياته ، ليعرف كيف يقيم الصلاة ويتلو القرآن الكريم للتعبد به . مما جعل لهذه المرحلة اهمية كبرى فى نفوس المسلمين وجعلهم يعتبرون تعلمها ومعرفتها فضلا وشرفا وسعادة ورفعة وعبادة (٢) .

وقد تاثرت مدارس صنغاى الى حد كبير بمدارس المغرب مما جعلها غالبا تقتصر الدراسة فى الكتاب على دراسة القرآن الكريم وتعلم القراءة والكتابة .

وقد اخذ اهل صنغاى طريقة المغاربة فى حفظ القرآن الكريم الا انهم خالفوهم الى حد مافى النطق ، وظهرت اسلوب معينة فى نطق الحروف العربية بين مسلمى غرب افريقيا بصفة

---

(١) Félix Dubois. op. cit. . p. 324 .

(٢) انظر ابن بطوطة : ص ٦٧٣ ، محمود كعت : ص ١٨٠ المصدر السابق ، آدم عبد الله الالورى : موجز تاريخ نيجيريا مرجع سابق ، ص ٥٢ .

عامة تقترب وتتشابه مع لهجاتهم المحلية (١).

ومن المدن التى كثرت فيها وسائل التعليم وخاصة الكتاتيب فى منغاى مدينة تمبكتو (٢)، ومدينة جنى(٣)، ومدينة زاغة (٤)، ومدينة كنجور (٥)فى اقليم كياك ، ومدينة ولاته (٦)، ومدينة كانو (٧).

وهذه المدن هى التى اشتهرت بالتعليم فى منغاى حيث سيطرت فيها الحياة العلمية بكثرة المدارس وعدد المعلمين ، وانتشرت الكتاتيب(٨)فى مدن منغاى بشكل كبير لتعليم الصبيان حتى وصل عددها الى مائة وثمانين مكتبا وذلك فى مدينة تمبكتو وحدها خلال القرن العاشر الهجرى ، السادس عشر الميلادى .

---

(١) ابراهيم على طرخان : دولة مل الاسلامية ، مرجع سابق ، ص ١٥٣، ١٨١ - ١٩٨.

(٢) انظر ص ٨٤.

(٣) انظر ص ١٠٤.

(٤) مدينة قديمة على ضفة نهر النيجر فى مل وزارها ابن بطوطة ، قال اهلها قدماء فى الاسلام لهم ديانة وطلب للعلم . ابن بطوطة : تحفة النظار ، ج٤ ، ص ٣٩٥ ، ابراهيم على طرخان : المرجع السابق ، ص ١٥٣ .

(٥) مدينة بارض كياك فى منغاى ، لايسكنها احد من ظلمة الحكام والجند . الفع محمود كعت : المصدر السابق ، ص ١٧٩ .

(٦) انظر ص ١٦.

(٧) انظر ص ١٣٠.

(٨) F.K. Buach. op. cit. p. 81 .

وكان اشهر هذه المكاتب فى مدينة تمبكتو "مكتب المعلم على تكريا"(١)، وبلغ عدد تلاميذه اكثر من مائة وثلاثة وعشرين تلميذا ، وكان هذا المكتب يقع فى بيت المعلم المذكور(٢).

والمكتب الآخر هو مكتب ابى القاسم التواتى(٣)، وهذا المكتب كان يقع قبالة المسجد الجامع فى تمبكتو لاصقا به ، وكذلك بيت المعلم على تكريا ، واتى بعدهما عدد من المدرسين المشهورين(٤).

وقد عمر مكتب المعلم ابى القاسم طويلا ، وتناوب فيه عدد كبير من المعلمين ، كما كان يدرس فيه فن التجويد ، وخاصة فى زمن المعلم ابراهيم الزلفى(٥)، الذى اشتهر بحسن تجويده (٦).

وفى بداية القرن السادس عشر الميلادى ، العاشر الهجرى كان فى مدينة تمبكتو اكثر من خمسين عالما من علماء مدينة تافلات(٧)، يمارسون التدريس فى مدارسها (٨).

---

(١) من اشهر مدرسى الكتاب فى مدينة تمبكتو خلال القرن السادس عشر الميلادى .

(٢) الفع محمود كعت : المصدر السابق ، ص ١٨٠ .

(٣) احدى المدن المشهورة فى المغرب .

(٤) اتوا من بلاد المغرب امثال : منصور الفذانى ، والمقرىء ابراهيم الزلفى ، اما اهل توات اكثر ...

(٥) احد المدرسين فى مكتب ابى القاسم المتقدم ذكره .

(٦) السعدى : المصدر السابق ، ص ٥٨ .

(٧) مدينة مشهورة فى المغرب فى اقليم سجلماسة .

(٨) السعدى : ص ٦٠ المصدر السابق ، محمد الغربى : المرجع السابق ، ص ٥١٥ .

ومعظم اولاد الاساكى ـ الأسرة الحاكمة فى غاو ـ كانوا يشاركون زملاءهم فى اقتباس العلم عن علماء بلادهم ، و"سكن اسكيا داود فى حى سنكورى فى نشاته للقراءة (١)، وبلدة كنجور (٢) ايضا معروفة ومشهورة بكثرة طلابها .

والجدير بالملاحظة هنا ان التلاميذ كانوا يستعملون الواح الخشب فى تلك الفترة ، وخاصة فى مرحلة الكتاب ، كما كانت العطلة الأسبوعية تبدأ بعد الظهر يوم الأربعاء حتى بعد عصر يوم الجمعة (٣).

ولاشك ان هذه المرحلة قدمت تغييرا جذريا فى نمط الحياة الافريقية المسلمة المتمثل فى التعليم الاسلامى الذى كان ينتشر عن طريق مكاتب القرآن الكريم (٤)، واقبال الناس على القراءة والكتابة بشكل واسع النطاق ، طبقا لنظام التعليم الاسلامى الذى يحث كل مسلم على طلب العلم ، فقد جعل طلب العلم واجب على كل مسلم ومسلمة كما رواه الامام مسلم فى صحيحه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مامعناه ، حيث

---

(١) السعدى : المصدر السابق ، ص ٨٨ .

(٢) انظر ص ١٤٧.

(٣) وهناك ايضا العطلة السنوية ، والمناسبات المهمة .
Paul Marty. op. cit. p. 83 .

(٤) ملفل هير سوكوفتش : العنصر الانسانى فى التطور الافريقى ، ص ٢٢٥ ، تعريب جمال محمد احمد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٨٤م .

قال : عن ابى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ... "ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا الى الجنة ، وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده "(١).

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ١٢/١٧ ، المطبعة المصرية عام ١٣٤٩هـ .

(٢) المساجد :

من طبيعة المساجد فى الاسلام ارتباطها بالتربية الاسلامية ، وكان المسجد فى بداية الدعوة الاسلامية بالمدينة المنورة المحور الرئيسى لتسيير امور الدولة ، ومكانا للعبادة ، واقامة العدالة فلما تعددت مهمته زادت اهميته . واستمر المسجد فى تادية رسالته من حيث كونه دارا للعبادة ، ومحكمة للتقاضى ومكانا للدراسة (١).

وبهذا عرفت المساجد فى صنغاى منذ دخلها الاسلام ونالت اهتمام الناس بها وتعميرها بالايمان الصادق والعبادة الدائمة لقوله سبحانه وتعالى : {انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين} (٢).

ويرتبط انتشار المساجد فى صنغاى بانتشار الدعوة الاسلامية فى جميع انحاء البلاد واصبح لكل مدينة مساجدها ولها ائمتها ومؤذنوها (٣)، وخطباؤها ووعاظها ، ولهؤلاء رواتب ثابتة من قبل الحكام (٤)، وتوجد هذه المساجد حتى فى القرى ، وقد ادت مساجد صنغاى دورها التعليمى حيث كان يمارس التدريس بجميع مستوياته فيها .

---

(١) سعد مرسى احمد : تاريخ التربية ، المرجع السابق ، ص ٩٠ ، عبد الله عبد الدائم : التربية عبر التاريخ ، ج٣ ، ص ١٥٣ ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٧٨م .

(٢) سورة التوبة : آية ١٨

(٣) الفع محمود كعت : المصدر السابق ، ص ٩٣،١٠٦،١٠٨ .

(٤) محمود كعت : ص ٣٢،١٨٠ المصدر السابق ، الحسن الوزان وصف افريقيا ١٦٧/٢ المصدر السابق ، ابراهيم على طرخان : دولة مل ، المرجع السابق ، ص ١٤٨ .

ولكثرة هذه المساجد استطاعت أن تجذب طلاب العلم الذين قدموا من اماكن اخرى من داخل صنغاى وخارجها (١)، لينهلوا من مناهل العلم والثقافة الاسلامية فيها .

وذاعت شهرة بعض هذه المساجد فى انحاء العالم الاسلامى لدورها البارز كمراكز مهمة للتعليم الاسلامى حتى يومنا هذا .

ومن اهم واشهر هذه المساجد التى اشتهرت بالنشاط التعليمى بجميع مستوياته :

* مسجد جنكر بير (٢): فهو اول مسجد بنى فى مدينة تمبكتو ، فى عهد السلطان موسى صاحب مل (٣)، ويرجع تاريخ بنائه الى اوائل القرن الثامن الهجرى ، الرابع عشر الميلادى ، بعد رجوعه من الحج عام ١٣٢٥م (٤).

وجدد هذا المسجد عدة مرات واهمها تجديد القاضى العاقب (٥) بن القاضى محمود بن عمر ، حيث اعاد بناءه ووسعه

---

(١) السعدى : ص ٥٦ المصدر السابق ، رولاند ، وجون فيج : موجز تاريخ افريقية ، ص ١٠١ ، ترجمة دولة احمد صادق الدار المصرية للتاليف والترجمة .

(٢) معناه فى لغة صنغاى : المسجد الكبير ،

(٣) محمود كعت : ص ٣٢ المصدر السابق ، السعدى : ص ٨ المصدر السابق ، D.T. Niane, op. cit. p. 72 ,
حسن عيسى عبد الظاهر : المرجع السابق ، ص ٧٢ .
S.M. Cissoko, op. cit. p. 58 .

(٤) عام ٢٤-١٣٢٥م السعادة الأبدية ، المرجع السابق ، ص ١٨
S.M. Cissoko, op. cit. p. 52 .

(٥) الفع محمود كعت المصدر السابق ، ص ١٢١ . انظر كذلك فى هذا البحث ص ٩٦ - ٩٧ .

من جهاته الاربع وزاد عليه زيادة كبيرة ، وذلك فى القرن العاشر الهجرى ، السادس عشر الميلادى(١)، لكى يتسع لجموع قامديه من المملين والطلبة .

* مسجد سنكورى(٢): يقع هذا المسجد فى حى سنكورى بمدينة تمبكتو (٣)، وشملت هذا المسجد ايضا توسعات القاضى العاقب المذكور سابقا .

وكان هذا المسجد من اشهر المساجد واكثرها اكتظاظا بجموع الطلبة والمدرسين خلال القرن العاشر الهجرى ، السادس عشر الميلادى(٤).

* مسجد سيدى يحيى(٥): وقد بنى هذا المسجد تمبكتو كى

---

(١) السعادة الابدية بتعريف علماء تمبكتو البهية ص ١٨ ، المجلة التاريخية المغربية ، عدد ٧-٨ ، ص ٣٤ .

(٢) تاسس جامع سنكورى حوالى ١٤٥٠م . الفع محمود كعت : المصدر السابق ، ص ١٢١ ، نعيم قداح : افريقيا الغربية فى ظل الاسلام ، المرجع السابق ، ص ١٥٩ ، الامين عوض الله : المرجع السابق ، ص ١٦٤،٢١٤ .

(٣) يقع حى سنكورى فى الجهة الشمالية من مدينة تمبكتو . المجلة التاريخية المغربية ، عدد ٧-٨ ، ص ٣٤ ، D.T. Niane, op. cit. p. 73 ,

(٤) محمود كعت : ص ١٢١ المصدر السابق .

(٥) يقع هذا المسجد فى وسط مدينة تمبكتو ، وقيل ان اول من بناه سيدى يحيى ثم جدده محمد نف ، السعادة الابدية المرجع السابق ، ص ١٨ ، احمد شلبى : ج٦ ، المرجع السابق ، ص ٢٣٢ ، محمد الغربى : المرجع السابق ، ص ٥٩ .

"محمد نض"(١)، وجعل سيدى يحيى ت ١٤٦٣م(٢)العالم المغربى اماما ومدرسا فيه ، وجدد عدة مرات خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين ، الخامس والسادس عشر الميلاديين(٣).

وتوجد بجانب هذه المساجد الكبيرة الثلاثة فى تمبكتو ، مساجد أخرى ، مثل :

مسجد سوق تمبكتو ، بناه القاضى العاقب بن محمود بن عمر ، وهو آخر مسجد جدد ووسع في تمبكتو فى عهد هذا القاضى رحمه الله ، وقد انفق فى بنائه لهذه المساجد اموالا كثيرة لايعرف مقدارها الا الله(٤).

ومن مساجد تمبكتو التى كان يدرس فيها طلاب العلم مسجد التواتيين(٥): ومن اشهر ائمة هذا المسجد الفقيه محمود بن محمد الزغرانى ، ينسب لقبيلة الزغرانيين ، نشا فى تمبكتو واخذ علوم اللغة وغيرها عن كبار اساتذة عمره حتى اصبح يعرف بالنحوى ، وتصدر للتدريس وصار اماما لجامع التواتيين

---

(١) حاكم تمبكتو من قبل دولة الطوارق وعلى يده استولى سن على على المدينة ، كما سبقت الاشارة الى ذلك ١٠٦٩.

(٢) من العلماء المشهورين ، اصله من المغرب واستوطن بتمبكتو ، اشتغل بالتدريس والامامة .

(٣) ووسعه القاضى العاقب من ضمن توسعته للمساجد ، السعادة الأبدية : المرجع السابق ، ص ١٨ .

(٤) الفع محمود كعت : المصدر السابق ، ص ١٢٢ .

(٥) يقع هذا المسجد في مدينة تمبكتو ، الذى يسكن فيه اهل توات .

بتمبكتو ، وتوفى عام ١٦٠٢م/١٠١١هـ(١).

ومن مساجد صنغاى المشهورة مسجد جنى(٢)، يرجع تاريخ بناء هذا المسجد الى نهاية القرن السادس الهجرى ، الثانى عشر الميلادى ، عندما اسلم السلطان كنبر(٣)هدم دار السلطنة وبنى مكانها المسجد الجامع وجعل له ابراجا فى جهاته الأربع والذى خلفه فى الحكم(٤)بنى السور حول الجامع ، ويقع هذا المسجد فى وسط المدينة وهو اهم واقدم المساجد(٥)فى مدينة جنى(٦)، وظل يؤدى دوره فى نشر العلم والثقافة حتى نهاية دولة صنغاى كما سبقت الاشارة الى ذلك فى الفصل السابق .

ومن اهم المساجد التى كان يتعلم فيها طلاب العلم فى صنغاى ايضا المسجد الكبير فى غاو ، وهو من المساجد التى اقامها منسا موسى(٧) بمدينة غاو على اثر عودته من مكة عام

---

(١) السعى : ص ٢١٥ المصدر السابق ، محمد الغربى : بداية الحكم المغربى فى السودان الغربى ، المرجع السابق ، ص ٥٢٧ .

(٢) المسجد الجامع الكبير الذى يقع فى وسط مدينة جنى .

(٣) انظر ص ١٠٦ .

(٤) ابنه آدم .

(٥) ثبت وجود مساجد كثيرة فى مدينة جنى فى عهد مل وصنغاى

(٦) السعدى : المصدر السابق ، ص ١٢-١٤ ، عبد القادر زبادية : المرجع السابق ، ص ١٠٧ ، جامعة الدول العربية : المرجع السابق ، ص ١٧٦ ،

F.K. Buah, op. cit. p. 81 ,

Z.D. Issifu, op. cit. p. 196 .

(٧) انظر ص ٧٣ .

١٣٢٥م (١)كما سبقت الاشارة الى ذلك . ص٧٣ .

وكان في غاو اكثر من مسجد وخاصة في عهد الأساكى(٢)، ومن هذه المساجد ايضا مسجد غوبر (٣)، بنى هذا المسجد امير كاتسينا محمد كوراو ١٤٤٥ - ١٤٩٥م ، وهو أول قائد مسلم لكاتسينا وفي عهده حل الامام محمد بن عبد الكريم المغيلى بكاتسينا وقام بالتدريس فيه ولايزال منه بقية على غرار مساجد غاو ، وجني ، كما سبقت الاشارة الى ذلك سابقا/ ص ١٢٨.

واما مسجد كانو(٤)بناه السلطان محمد رمفا ١٤٦٣ - ١٤٩٩م (٥)، وكذلك مسجد اويولى(٦)يعود تاريخه الى عام ١٥٥٠م

---

(١) السعدى : ص ٧ المصدر السابق ، وهو من المساجد التى بنيت تحت اشراف ابى اسحاق ابراهيم الساحلى الاندلسى ، حسن عيسى عبد الظاهر : المرجع السابق ، ص ١٠١ .

(٢) الفع محمود كعت : المصدر السابق ، ص ١٠٦ ،

Zakari Daramani Issifu, op. cit. p. 197 .

(٣) انظر ص ١٢٨.

(٤) قد سبقت الاشارة اليها سابقا ص ١٣٢ .

(٥) احمد محمد كانمى : المرجع السابق ، ص ٣٣،٣٥ .

(٦) مدينة اويولى من المدن القديمة فى بلاد يوربا ، فقد عرف اهلها الاسلام منذ عهد منساموسى سلطان مل ، فى القرن السابع الهجرى ، الثالث عشر الميلادى .

آدم عبد الله الالورى : الاسلام فى نيجيرا ، والشيخ عثمان بن فوديو ، المرجع السابق ، ص ٣٣-٣٤ .

بنـاه المجاهد الداعية الشيخ محمد نوفاوى(١)، وعلى الجملة فـان جـميع المسـاجد المذكـورة وغيرها كانت مراكز للتدريس بجـميع انـواع المعارف ، واللغة العربية كانت لغة التدريس والثقافة والكتابة وان كانت تختلط بها بعض اللغات المحلية فـى المـواعظ والفتـاوى فـى المسـاجد ، حيث يتم تلاوة آيات القـرآن الكريم والاحاديث النبوية الشريفة ، ثم تفسر للنـاس بلغاتهم ليفهموها(٢).

امـا اوقـات التدريس والتعليم فيها فكانت تستمر طوال النهـار لاتنقطـع الا فـى اوقات الصلاة ، وكـان بعـض الاساتذة يدرسـون فـى الليـل عـلى نور الحطب المشتعل الذى يتبرع به الطلاب(٣).

---

(١) وهـو مااخبرنـا بـه الشـيخ محمد بن مسنى الكشناوى فى كتابه ازهار الربا فى اخبار بلاد يوربا ، توفى ١٠٨٧هـ آدم عبـد اللـه الالـورى : الاسلام فى نيجيريا ، والشيخ عثمان بن فوديو ، المرجع السابق ، ص ٣٣،٣٤ .

(٢) عبد القادر زبادية : المرجع السابق ، ص ١٣٩ ، Félix Dubios, op. cit. p. 317 , Cheik Anta Diop, op. cit. p. 131, and Z.D.Issifu, op. cit. p. 197, and Joseph Ki-Zerbo, po. cit. p. 149, and D.T. Niane, op. cit. p. 72-84, and S.M. Cissoko, op. cit. p. 107 .

(٣) السـعدى : ص ١ المصـدر السـابق ، وذلك فى معظم مساجد صنغاى ، نعيم قداح : افريقيا ، المرجع السابق ، ص١٤٢ Cheik Anta Diop. op. cit. p. 131 .

وحركة التعليم مستمرة ، فلكل امام بين جماعته وكل عالم مع تلاميذه نشاط ملموس فى الوعظ والارشاد (١)، وفى ايام شهر رمضان ولياليه يقوم العلماء بتفسير بعض سور وآيات القرآن الكريم ، وبعض الاحاديث النبوية الشريفة بلغة البلاد لتعم فائدة هذا الوعظ جميع افراد الناس على اختلاف درجاتهم (٢)، وينتهى الشهر بمناسبات دينية هامة خصوصا يوم ختم القرآن الكريم فى الجامع الكبير ، الذى يصادف دائما احد ايام الجمع ، او فى ليلة اول شهر الصيام حيث تبدا صلاة التراويح ويعقب ذلك قراءة كتب الاحاديث(٣)بالجامع

---

(١) يمكن تقسيم الوعاظ فى المساجد والمجالس وحلقات العلم فى انحاء دولة صنغاى الى ماياتى :

(ا) الذين يعقدون مجالس وعظهم فى مساجدهم ويلقونه على جماعتهم كل يوم جمعة من بعد صلاة الصبح او ليلة كل يوم جمعة من بعد صلاة العشاء .

(ب) الذين يخصصون لوعظهم يوما معينا او ليلة معينة فى الساحات العامة يحضرها الرجال والنساء ويقضون فيها الساعات .

(ج) الذين يتطوعون بوعظهم ويتنقلون له من بلد الى بلد ويعقدون له مجالس مهمة يجاهدون به الكفار والمنافقين ويذكرون المؤمنين ، ولهؤلاء جميعا فضل كبير فى دخول الناس الى دين الله افواجا .

(٢) آدم عبد الله الالورى : الاسلام فى نيجيريا والشيخ عثمان بن فوديو ، المرجع السابق ، ص ١٤١ .

(٣) السعدى : ص ٦٠ المصدر السابق ، محمد الغربى : بداية الحكم المغربى فى السودان الغربى ، المرجع السابق ، ص ٦٢٠ .

الكبير ولاتنتهي القراءة الا بنهاية الشهر (١).

ومن رواد العلم الذين عمروا مساجد صنغاى باعمالهم الجليلة :

* القاضي عبد الرحمن بن ابى بكر بن الحاج ، تولى القضاء بتمبكتو في اواخر دولة مل (٢)، وهو اول من امر الناس بقراءة نصف حزب من القرآن الكريم للتعلم في جامع سنكورى بعد صلاة العصر ، وبعد صلاة العشاء ، وهو من علماء جامع سنكورى (٣).

ومنهم محمود بن عمر بن محمد آقيت (٤)، احيا العلم ببلاده وكثر طلبته ودرس نحو خمسين سنة ، عين قاضيا وهو ابن خمس وثلاثين سنة ، حج وزار (٥)، وجرى بينه وبين علماء مصر (٦) مناظرات ومناقشات في العلم وعاد الى بلاده ليزاول التدريس ، وكان يدرس كتبا كثيرة منها المدونة (٧) للامام سحنون (٨)، ورسالة ابى زيد القيروانى (٩)، والفية ابن

---

(١) السعدى : ص ٦٠، ٢٦٦ المصدر السابق ، محمد الغربى : ص ٦٢١-٦٢٢ المرجع السابق .

(٢) في اواخر القرن التاسع الهجرى ، الخامس عشر الميلادى.

(٣) السعدى : المصدر السابق ، ص ٢٧ ، البرتلى : المرجع السابق ، ص ٨٨ ، ابراهيم على طرخان : المرجع السابق ص ١٥٢ .

(٤) انظر ص ١٥٥.

(٥) عام ٩١٥هـ .

(٦) من بينهم ابراهيم المقدسي والقلقشندى ، احمد بابا : نيل الابتهاج ص ٣٤٣-٣٤٤ المصدر السابق .

(٧) انظر ص ١٣٥.

(٨) انظر ص ١٣٦.

(٩) انظر ص ١٣٦.

مالك(١)، وهو اول من بدا بتدريس كتاب مختصر الخليل في مدينة تمبكتو (٢).

ومن الرواد ايضا القاضي عمر بن محمود بن عمر ت ١٥٩٤م (٣)، تولى القضاء والافتاء والتدريس ، كان فقيها بارعا في الحديث والسير والتواريخ وأيام الناس ، بلغ الغاية القصوى في الفقه ، حتى قارنه بعض العلماء الذين عاصروه في الفتوى بعلماء تونس(٤).

ومنهم العالم محمد بن محمود بن ابي بكر الونكري ت ١٠٠٢هـ(٥)، وهو معروف بمحبة العلم وملازمة تعليمه وله خبرة في التدريس ، يقرىء من صلاة الصبح الى الضحى ثم يقوم لبيته ويقرىء الى الزوال ثم يصلي بالناس ، ويدرس الى العصر ويذهب الى موضع آخر ، يدرس الى الاصفرار، واذا صلى المغرب درس في الجامع الى العشاء ثم رجع الى بيته (٦).

---

(١) هو جمال الدين ابي عبد الله بن مالك ٦٠٠-٦٧٢هـ .

(٢) السعدي : المصدر السابق ، ص ٣٨ ، محمد الغربي : المرجع السابق ، ص ٥١٦ .

(٣) انظر ص ١٠٠ في الهامش .

(٤) محمود كعت : ص ١١٩ المصدر السابق ، محمد الغربي : المرجع السابق ، ص ٥٢٧ .

(٥) من اهم اساتذة احمد بابا التمبكتي ، قد سبقت الاشارة اليه سابقا . ص ٧٧ .

(٦) احمد بابا : نيل الابتهاج ، المصدر السابق ، ص ٣٤١ ، كفاية المحتاج ، المصدر السابق ، ص ٣٧٥ ، الفع محمود كعت : المصدر السابق ، ص ١٢٤ ، عبد القادر زبادية : المرجع السابق ، ص ١٤٥ .

ومن ائمة المساجد فى صنغاى محمد بن احمد التكراتى ت ١٥٢٩م ، ولد فى نواحى توات(١)، ودرس على الامام محمد ابن عبد الكريم المغيلى(٢)، ثم انتقل الى مصر(٣)للدراسة ودخل بلاد السودان الغربى ، فعينه الاسكيا فى القضاء والتدريس فى بعض مساجد تمبكتو ، مات وعمره دون الستين(٤).

وكذلك عمر بن احمد بن عمر المعروف بباكرى ت ١٠٠٦هـ ، كان فقيها نحويا مادحا لرسول الله صلى الله عليه وسلم صباحا ومساء يقرىء كتاب الشفا(٥)فى شهر رمضان فى مسجد سنكورى ، وتوفى بمراكش(٦).

ومن هؤلاء الائمة ايضا محمد بابا بن محمد بن حبيب، اخذ عن معظم الشيوخ وحضر معظم المجالس وقرأ معظم الكتب فى مساجد تمبكتو ، تولى القراءة فى مسجد سنكورى وسمع فيه

---

(١) من مدن تلمسان المشهورة ، تقع هذه المدينة فى الطريق بين تمبكتو ، وتلمسان . الحسن الوزان : المصدر السابق ، ج١ ، ص ١٥١ .

(٢) انظر ص ٢٥ .

(٣) انظرص ٨٦ .

(٤) محمد الغربى : المرجع السابق ، ص ٥١٧ .

(٥) كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضى ابى الفضل عياض اليحصبى ت ٥٤٤هـ .

(٦) عاصمة دولة السعديين فى المغرب ، قد سبقت الاشارة اليها ص ٣٩ . البرتلى : المرجع السابق ، ص ١٧٨ .

التوضيح لابن الحاجب(١)، وجمع الجوامع(٢)، وسمع الموطا(٣) والمدونة(٤)له عدة تواليف(٥)، سنذكرها في حينها .

توارث اندغ محمد بن الفقيه المختار رحمهما الله تعالى(٦)، وابناؤه التدريس في احد اركان مسجد سنكوري ، كان اماما صالحا مشهورا في معرفة علم الفقه ، مادحا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ومدرسا لكتاب الشفا(٧)في رمضان

---

(١) هو عثمان بن عمر بن ابي بكر ابن الحاجب، ٥٧٠-٦٤٦هـ .

(٢) للامام تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن القاضي السبكي ٧٢٧-٧٧١هـ . طبقات الشافعية الكبرى ، ج١ ، ص ١ ، تحقيق محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح الحلو ، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ/١٩٦٤م ، ابن النجار الحنبلي : شرح الكوكب المنير المسمى بمختصر التحرير ، ج٤ ، ص ٧٨٥ ، تحقيق د. محمد الزحيلي ونزيه حماد ، دار الفكر بدمشق ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

(٣) الموطا للامام مالك : هذا الكتاب يعد من اهم كتب الفقه المالكي ، وهو المرجع الأول عند اهل مذهب المالكية .

(٤) انظر ص ١٣٥.

(٥) السعدي : المصدر السابق ، ص ٢١٧ ، البرتلي : المرجع السابق ، ص ١١١ .

(٦) كان معاصرا للقاضي محمود بن عمر رحمهما الله .

(٧) السعدي : ص ٢ المصدر السابق .

بعد ابيه (١).

ومن هؤلاء العلماء عبد الرحمن بن اندغ محمد (٢)، المشهور بتدريس امهات الكتب في اللغة منها كتاب التهذيب للبراذعي(٣).

وهناك ايضا الفقيه احمد بن الحاج احمد بن عمر ت ٩٩١هـ(٤)، كان بارعا في علم الادب والفقه والحديث المادح لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمدرس للصحيحين البخاري ومسلم في مسجد سنكوري(٥)، في رجب وتاليه نحو خمسة وعشرين سنة (٦).

ومن مشاهير العلماء ايضا عبد الله بن محمود بن عمر

---

(١) تنسل منه عدد كبير من العلماء ، عاصر هو وابوه الفقيه يحيى التادلسي ، وتوفي عام ٩٢٢هـ .

(٢) السعدي : المصدر السابق ، ص ٢٩ .

(٣) هو ابو سعيد خلف بن ابي القاسم الأزدي المعروف بالبراذعي ، محمد بن الحسن الفاسي : الفكر السامي في تاريخ الفقه الاسلامي ، ج٢ ، ص ٢٠٩ ، خرج احاديثه وعلق عليها عبد العزيز بن عبد الفتاح القارئ ، دار التراث ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ .

(٤) والد احمد بابا التمبكتي الشهير ، احمد بابا : كفاية المحتاج ، المصدر السابق ، ص ٤٦ .

(٥) السعدي : المصدر السابق ، ص ٣٣ .

(٦) احمد بابا : نيل الابتهاج ، المصدر السابق ، ص ٩٣ ، السعدي : المصدر السابق ، ص ٤٢ ، محمد المغربي ، المرجع السابق ، ص ٥١٨ .

ت ١٥٩٧م ، اختص بكتب الخليل (١)، والرسالة (٢)، وكان يشتغل بالتدريس فى جوامع تمبكتو ، قبضه الجيش المغربى ونفى الى مراكش مع اهل بيته وكتبه ، ومات فيها مصابا بالطاعون (٣).

ومن هؤلاء ايضا احمد بابا بن احمد بن احمد ت١٠٣٦هـ(٤) فريد دهره ووحيد عصره البارع فى كل فن من فنون العلم ، جد واجتهد فى بداية امره لخدمة العلم حتى برع على جميع معاصريه ولايناظره فى العلم الا اشياخه وشهدوا له بالعلم ، وفى المغرب اشتهر امره وانتشر ذكرهوسلم له علماء الأمصار فى الفتوى (٥).

وكذلك ايضا مورمغ كنكى(٦)، كان مدرسا متنقلا رحل الى كابرى(٧)لاخذ العلم ثم الى مدينة جنى(٨)فى اواسط القرن

---

(١) انظر ص ١٣٧.

(٢) انظر ص ١٣٦.

(٣) احمد بابا : نيل الابتهاج ص ١٦١ ، المصدر السابق ، محمد الغربى : المرجع السابق ، ص ٥٢٥ .

(٤) محمد بن محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص ١٩٨ .

(٥) السعدى : المصدر السابق ، ص ٣٥ ، البرتلى : المرجع السابق ، ص ٢٧-٣٠ .

(٦) وهو من علماء القرن التاسع الهجرى ، فرحلته الى مدينة جنى كان فى اواسط القرن التاسع الهجرى ، السعدى ، المصدر السابق ، ص ١٦ .

(٧) كبر مدينة بعيدة عن تمبكتو ، نحو اثنا عشر ميلا ، تقع على نهر النيجر . الحسن الوزان : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ١٦٨-١٦٩ .

(٨) انظر ص ١٠٤.

التاسع الهجرى ، فاسرع اليه الطلبة لاقتباس فوائده ، وكان يخرج من بيته فى منتصف الليل الى الجامع للتدريس ونشر العلم ، ثم رحل الى مدينة جنج(١)، حيث واصل التدريس فى مدارسها (٢).

ومن مشاهير علماء مدينة جنى فى ايام الاساكى فى صنغاى العباس كب ت ٩٥٩هـ(٣)، كان عالما جليلا فاضلا ، له قدم راسخ فى السخاء (٤).

ومنهم الفقيه محمد ساقو الونكرى ، كان رحمه الله فقيها عالما فسكن مدينة جنى على ضيافة حاكمها ، واقبل عليه جمع غفير من الناس واحبوه لعلمه (٥).

ومنهم ايضا محمود بن ابى بكر بغيغ(٦)والد العالمين الفاضلين الصالحين الفقيه محمد بغيغ واحمد بغيغ ، الجنوى بلدل الونكرى اصلا ، وكان حيا عام ٩٥٩هـ(٧)، وكذلك احمد ترف ابن عمر ، الذى جمع بين الامامة والخطابة والقضاء فى وقت

---

(١) هى مدينة جنج تنب ، وتقع على جزيرة بين غاو ، ودندى الفع محمود كعت : المصدر السابق ، ص ٦٤ .

(٢) السعدى : المصدر السابق ، ص ١٦ ، امين عوض الله : المرجع السابق ، ص ٢١٧ ،

Zakari Daramani Issifu, op. cit. p.196 .

(٣) اشتغل منصب القاضى فيها.

(٤) السعدى : المصدر السابق ،ص ١٩ .

(٥) المصدر السابق ، ص ١٦ .

(٦) البرتلى : المرجع السابق ، ص ١١٣ .

(٧) السعدى : المصدر السابق ، ص ١٩ .

واحد ، فرحل الى الحج وتوفى هناك(١).

وايضا محمد بنب كناتى الونكرى(٢)، الذى كان قاضيها فى اواخر دولة صنغاى ، فقد عد السعدى(٣)هؤلاء من مشاهير علماء جنى قال : "ولم نوردهم الا لاجل شهرتهم بالعلم وتبركا بذكرهم "(٤).

برز علماء ماسينا(٥)فى فنون العلم ومارسوا التدريس فى مساجد ومدارس صنغاى ، منهم احمد بن محمد الفولانى ، من موالد منطقة ماسينا التى كانت تقطنها قبيلته ، درس فى مدارس تمبكتو حتى برع فى فنون العلم وتصدى للتدريس فيها ، ومات ١٦٢٥م (٦).

ومنهم ايضا محمد بن سعيد كدادو بن اى بكر الفلاتى ، ت ١٦٢٥م ، وهو من ابناء قبيلة الفولاتة (٧) بغرب صنغاى ، مهر

---

(١) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٢) وكان حيا فى عام ٩٦٩هـ ، ولم اقف على تاريخ وفاته .

(٣) صاحب كتاب تاريخ السودان ، هذا الكتاب من اهم مصادر تاريخ بلاد السودان الغربى ، كما سبقت الاشارة الى ذلك . ص ١٤ .

(٤) السعدى : المصدر السابق ، ص ١٦،١٩ ، امين عوض الله : المرجع السابق ، ص ١٧،٢١٨ ، عبد القادر زبادية : المرجع السابق ، ص ١٠٧-١٠٨ ،

S.M. Cissoko. op. cit. p. 110 ,

and Z. Daramani I. op. cit. p. 1969 .

(٥) مدينة مشهورة فى قلب بلاد التكرور ، فى مل .

(٦) محمد الغربى : المرجع السابق ، ص ٢٥٧ .

(٧) قد سبقت الاشارة اليها فى الفصل السابق . ص ١٢٢ .

فى الحديث والفقه وكان مدرسا وواعظا (١).

وبرز أيضا ابو بكر الباركوم المعروف - بالطاهر بن ابراهيم - الفولانى وهو عالم ومؤرخ رحل الى بلاد الحوصا ومكث مدة فى برنو وتمدر للتدريس والخطابة فى مساجدها (٢) .

---

(١) السعدى : ص ٢٤٣ المصدر السابق ، محمد الغربى : المرجع السابق ، ص ٥٢٨ .

(٢) محمد بلو : المصدر السابق ، ص ٣٧ .

(٣) المدارس :

عرفت المدارس والتدريس فى بلاد السودان الغربى منذ وقت مبكر ، حيث ثبت ان المدارس وجدت فى دولتى غانة (١)، ومل (٢)، وانتشرت بشكل كبير فى صنغاى ، وان كانت المدارس الاسلامية عالية المستوى اقل انتشارا بالنسبة للمرحلة المتقدمة آنفا (٣).

ولكن الخوض فى التفاصيل لنشاطات هذه المدارس صعب للغاية وذلك لأن المؤرخين خلال تلك الفترة (٤)، لم يتعرضوا

---

(١) وفى مملكة غانة نمت المدينة الاسلامية فى كومبى صالح وازدحمت فيها بالصفوة من العلماء والمثقفين ، وانشأ المدارس الاسلامية فيها ، حيث وجد اثنى عشر مسجدا كل مسجد ملحقة به مدرسة . قال الشريشى فى شرح المقامات : "ان غانه بلد مملكة السودان وانتشر الاسلام فى اهلها وبها مدارس للعلم" . الشريشى /٣٣٤ ، المصدر السابق . المجلة التاريخية المصرية ، عدد ١٣ ، ص ٥٨ ، سنة ١٩٦٥م .

(٢) وانتشرت المدارس الاسلامية فى مملكة مل بكثرة ، ملحقة بالمساجد ومستقلة عنها وانتشرت بانتشارها لغة القرآن الكريم وعلومه ، وازداد الاقبال والاهتمام بحفظه ودراسته .
ابن بطوطة : ص ٦٧٣-٦٧٦ المصدر السابق ، العمرى : مسالك الأبصار ص ٥٩-٦٠ المصدر السابق ، حسن عيسى عبد الظاهر : المرجع السابق ، ص ١٠٣ .

(٣) الكتاب .

(٤) امثال عبد الرحمن السعدى ، والفع محمود كعت ، واحمد بابا التمبكتى ، وصاحب تذكرة النسيان وغيرهم .

لذكر هذه المدارس الا فى نطاق ضيق جدا ، وهو عند الحديث عن صاحب احدى المدارس(١) ، او احد خريجيها (٢)، او ذكر حادثة ما ... جرت فى احدى هذه المدارس(٣).

ولم يرد حديث عن احدى هذه المدارس بعينها يعطينا تفاصيل عن محتواها واطار نشاطاتها بشكل مركز ومفصل .

ومع ذلك لايمكن الاستهانة بالاشارات التى وردت عن ذكر تلك المدارس ، وهى فى غاية الاهمية لانها تثبت بدليل قاطع وجودها واهميتها فى اثراء الحياة العلمية فى منغاى(٤).

وزيادة على تلك النتائج التى ترتبت علىوجودها كدليل حتمى لتقدم الوعى الدينى الاسلامى وتثبيتها للعقيدة الاسلامية وحمايتها من الزيغ والانحراف .

اشتهرت مدارس كثيرة فى دولة منغاى بنشاطها التعليمى وتميزت بتعاقب الأجيال من المعلمين والطلبة فيها من بين هذه المدارس .

---

(١) الفع محمود كعت : المصدر السابق ،ص ١٨ .

(٢) عبد الوهاب بن منصور : اعلام المغرب العربى ، ج١ ، ص ٢٥٧ .

(٣) السعدى : المصدر السابق ، ص ٥٨ ، محمد الغربى : المرجع السابق ، ص ٥١٥ .

(٤) تثبت خلاف مايقوله جان روش ، بان المدارس تكاد تكون معدومة قبل الاستعمار الفرنسى ، وكل ماعرف فى منغاى من تعليم يرجع الى مابعد الاستعمار .

Jean Roucg. op. cit. p. 65 .

* معهد سنكورى(١): يقع هذا المعهد فى حى سنكورى بتمبكتو الى جانب المسجد الكبير حيث الحقت "حجرات المعهد الدراسية بالمسجد وتعددت هذه الغرف ، حيث خصص لكل معلم مع تلاميذه غرفة يجلسون فيها ، لها باب نحو ساحة المسجد ليتجهوا منه الى قاعة الصلاة ، وآخر نحو خارجها لينصرفوا منه بعد الدرس"(٢).

كما تعددت الأساتذة والاختصاصات(٣) التى كانت تدرس فيه خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين .

ومعهد سنكورى يعتبر نواة الجامعة لتقدم مستوى التعليم وتنوعه فيه ، وكثرة المدرسين فيه ، ويلاحظ ان اكثر المدرسين فى معهد سنكورى قاموا برحلات علمية الى المشرق والمغرب الاسلامى(٤)، وقل من لم يدرس فى هذا المعهد من طلاب منغاى ، او لم يدرس فيه بعد تخرجه (٥).

ويرجع تاريخ معهد سنكورى ومسجده الى القرن الثامن الهجرى ، الرابع عشر الميلادى ، فى عهد منسا موسى سلطان

---

(١) اطلق على هذا المعهد اكثر المؤرخين باسم جامعة سنكورى ، واشتهر به .
Felix Dubios, op. cit. p. 308 .

(٢) Paul Marty, op. cit. p. 86 ,
Felix Dubios, op. cit. p. 308 .
محمد جلال عباس : المد الاسلامى فى افريقيا ،ص ٤١ .

(٣) ياتى ذكر هذه التخصصات بالتفصيل فى المناهج .

(٤) Cheik Anta Diop. op. cit. p. 131 .

(٥) من علماء منغاى والوافدين على حد سواء .

مــــل (١) .

ومن المدارس التى اشتهرت فى صنغاى مدرسة محمود بن عمر قاضى تمبكتو ت ٩٥٥هـ(٢)، تقع هذه المدرسة فى تمبكتو ، وهى مـن المـدارس التـى اشـتهرت بنشـاطها حـيث تخرج فيها معظم مشـاهير علمـاء تمبكتو ، وقضاتها ، وهى أكثر المدارس التى خرجت الكوادر من العلماء فى صنغاى .

ومؤسسها الشيخ محمود بن عمر الذى احيا العلم فى بلاده ولاينـاظره احـد فـى ذلـك ، وبيته بيت علم وتعاقب فى ذريته ومدرسـته هـذه علماء وائمة وفقهاء وقضاه (٣)، مما يشير الى أن العلوم الدينية كانت أكثر نشاطا فيها من غيرها ، وخاصة الفقه والتفسير (٤).

ومـن المـدارس التى انشاها القاضى محمود بن عمر (٥)فى

---

(١) العمرى : مسالك الأبصار ص ٥٩-٦٠ المصدر السابق . سبقت الاشارة اليه ، محمد جلال عباس : المرجع السابق ، ص ٤١ .

(٢) احـمد بابا : نيل الابتهاج ، المصدر السابق ، ص ٣٤٣ ، محمد الغربى : المرجع السابق ، ص ٥١٥ .

(٣) ومـن مشـاهير العلمـاء الـذين تخرجوا فيها : محمد بن محـمود بغبغ احد اساتذة احمد بابا ، والفقيه احمد بن سعيد ، وولـده ، والفقيـه احـمد بـن احمد والد احمد بابا .

(٤) احمد بابا التمبكتى : نيل الابتهاج ، المصدر السابق ، ص ١١٥ .

(٥) المتقدم ذكره ص ٥٥ .

تمبكتو مدرسة كلسخ(١)، وكانت تدرس فيها العلوم الدينية وخاصة الأحاديث النبوية الشريفة ، وتفسير القرآن الكريم وعلومه ، كذلك اتخذت هذه المدرسة كمكان للاجتماعات العامة وقراءة اشعار المدح في المناسبات العامة كالعيد وليلة القدر ، وايام شهر رمضان المبارك .

وقد بنيت هذه المدرسة بامر من الشيخ محمود بن عمر احد قضاة تمبكتو المشهورين(٢)كما سبقت الاشارة الى ذلك آنفا . ص١٧١ .

ومن المدارس المشهورة في صنغاى مدرسة الفقيه أبو بكر ابن احمد آقيت التمبكتي ت ٩٩١هـ(٣)، وكانت هذه المدرسة من مدارس النحو واللغة التي كانت تعطي ثمارها في صنغاى ، وصاحب هذه المدرسة اخذ عن علماء بلده وتخرج في مدارسها ، مما يدل على أن هذه المدرسة كان التدريس فيها يعادل المرحلة الثانوية عندنا الآن ، ومن أشهر تلاميذ هذه المدرسة السيد احمد بابا التمبكتي(٤).

ومن هذه المدارس ايضا مدرسة القاضي مودب محمد

---

(١) اى منبع العلم ولايزال معظم علماء تمبكتو ينتسبون الى هذا المكان ، وتقع في قلب تمبكتو ولهذا المكان قمة بين محمود بن عمر ، والشريف احمد المقلى .

(٢) الفع محمود كعت : المصدر السابق ، ص ١٨ .

(٣) عبد الوهاب بن منصور : المرجع السابق ، ج١ ، ص ٢٥٧ .

(٤) احمد بابا : نيل الابتهاج ، المصدر السابق ، ص ١٠٢ ، كفاية المحتاج ، المصدر السابق ، ص ٧٤ ، محمد بن محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص ٢٨٦ .

الكابرى(١)، تقع هذه المدرسة فى حى سنكورى بمدينة تمبكتو ومؤسسها شيخ الشيوخ من القضاة ، بلغ الغاية القصوى فى العلم والصلاح ، واشتهرت مدرسته بالنشاط العلمى وكثرة طلبتها الذين ياتون اليها من جميع انحاء صنغاى ومن خارجها وتزاحم عليه الطلبة السودانيون والمغاربة على حد سواء ، وتخرج منها علماء(٢)مجتهدون فى العلم ومعروفون بالصلاح(٣).

ومن المدارس التى ذاع صيتها فى صنغاى فى تلك الفترة مدرسة الجد الفع محمود بن الحاج المتوكل(٤)، وهى من المدارس التى اشتهرت بتدريس السير والتاريخ الاسلامى بصفة عامة ولصاحب هذه المدرسة الملم بعلم التاريخ وله دراية ورواية بتاريخ السودان الغربى ، وعلى وجه الخصوص دولتى مل(٥)وصنغاى(٦).

وتخرج فى مدرسته صفوة من العلماء ، ولانستبعد ان يكون من بينهم القاضى الفع محمود كعت صاحب كتاب "تاريخ الفتاش فى اخبار البلدان والجيوش واكابر الناس وذكر وقائع

---

(١) السعدى : ص ٢٧ المصدر السابق .
كان رحمه الله مستوطنا بتمبكتو فى القرن التاسع الهجرى ، وشيخ الشيوخ وعاصر فيها كثيرا من الاشياخ .

(٢) ومن بين طلابها الذين اشتهروا فى صنغاى ، الفقيه عمر ابن محمد آقيت ، والسيد يحيى التادلسى ، الشاعر المشهور الذى رثا استاذه بعد وفاته .

(٣) السعدى : المصدر السابق ، ص ٤٩،٤٧ ، البرتلى : المرجع السابق ، ص ١٧٧،١٧٦،١٠٧ .

(٤) لم اقف على ترجمته اكثر من هذا .

(٥) انظر ص ١٣، ١٨ .

(٦) الفع محمود كعت : المصدر السابق ، ص ١٤٢،٤٨ .

التكرور وعظائم الأمور وتفريق انساب العبيد من الأحرار" .

وقد نقل محمود كعت كثيرا من معلوماته التى ذكرها فى كتابه عن بعض زملائه الذين تخرجوا معه من هذه المدرسة كما ذكر ذلك فى كتابه (١).

ومن المدارس المشهورة ايضا فى تمبكتو مدرسة ابى زيد عبد الرحمن بن محمود (٢)، وهى من المدارس التى حظيت بشهرة واسعة لكثرة طلابها ، واشتهر صاحبها بالمهارة العالية حيث جمع بين التدريس والوعظ واقبل عليه جمع غفير من الناس للاخذ عنه والاستماع بمواعظه حتى تزاحم عليه الناس(٣)، وهى من المدارس التى عنيت بتدريس العلوم الدينية وخاصة علم الفقه .

وغير هذه المدارس التى ذكرتها كثير(٤)، وكلها كانت تخدم هدفا واحدا هو التعليم الدينى بالدرجة الأولى بالاضافة الى تعليم اللغة العربية وآدابها لانها لغة القرآن الكريم.

---

(١) وخاصة اخبار سن على وحروبه ، واحداث كثيرة فى زمنه ، المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٢) كان حيا فى السنة التاسعة والستين وتسعمائة الهجرى ، يمارس عمله فى مدرسته . السعدى : المصدر السابق ، ص ٣٤ .

(٣) السعدى : المصدر السابق ، ص ٣٤،٥٠ .

(٤) للمزيد من المعلومات يرجى الاطلاع على كتاب تاريخ السودان للسعدى ، ص ٥١-٥٥ ، وكذلك كتاب فتح الشكور فى معرفة اعيان علماء التكرور للبرتلى ، ص ١٤٧ ، وكتاب بداية الحكم المغربى فى السودان الغربى ، لمحمد الغربى ، ص ٥١٨ .

وفي فترة البحث ايضا نمت الثقافة وانتشر التعليم في مدينة جني(١)، فقد انشىء فيها العديد من المدارس وحلقات التدريس(٢)منذ القرن الثامن الهجرى .

ومن اشهر هذه المدارس في عهد منغاى معهد جني(٣)الذى لايقل اهمية عن معهد سنكورى في تمبكتو لتدريس العلوم الدينية والعلوم الرياضية والطبية والاجتماعية .

فقد بلغ عدد الطلاب الذين كانوا يدرسون في هذا المعهد نحو الف طالب ، وكانوا يقومون بعمليات طبية ناجحة الى جانب العلاج بالأعشاب الطبية ومركباتها (٤).

وقد اشتهر في بلاد الحوصا عدد من المدارس ايضا في فترة البحث منها مدرسة كاتسينا (٥): وهي من المدارس التي اقامها امير(٦)كاتسينا بتوجيه من الامام محمد بن عبد

---

(١) انظر ص ١٠٤ .

(٢) السعدى : ص ١٦ ، المصدر السابق ، Paul Marty : التعليم الأسلامي وتاثيره في السودان الغربي ، تمبكتو وجني ، وماسينا ، ص ٢٥١ .

(٣) قد يكون هذا المعهد من المدارس التي بناها منسا موسى في عهد مملكة مل بعد عودته من الحج .

(٤) جوان جوزيف : الاسلام في ممالك وامبراطورية افريقيا السوداء ، ص ٨٤ ، ترجمة مختار السويفي ، دار الكتاب المصرى اللبناني ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

(٥) قد سبقت الاشارة اليها في الفصل السابق . ص ١٢٧ .

(٦) محمد كوراو ١٤٤٥-١٤٩٥م وهو اول قائد مسلم لكاتسينا ، تاريخ افريقيا العام ، ج٤ ، ص ٢٨٠ .

الكريم المغيلى(١) الذى دخل كاتسينا ومكث بها مدة للتدريس(٢) .

ومن مدرسيها ايضا الامام عبد الرحمن السيوطى(٣) خلال فترة اقامته بكاتسينا ، ويرجع تاريخ هذه المدرسة منذ منتصف القرن التاسع الهجرى ، الخامس عشر الميلادى(٤) .

ومنها ايضا مدرسة كانو(٥) : وهى من اشهر المدارس التى اقامها سلطان كانو محمد رمفا(٦) ، بتوجيه من الامام المغيلى المتقدم ذكره ، وقد مكث الامام للتدريس فيها اكثر من عشرين سنة ، واثمرت مجهوداته تخريج عدد كبير من العلماء فيها وتاسيس مدارس علمية اخرى(٧) فيها قبل خروجه منها ، ومن مدرسى مدرسة كانو الشيخ عبد الرحمن بن على احمد القصرى ثم الفاسى ، الذى كان يدرس العلوم الدينية والعلوم المدنية الأخرى مثل الطب(٨) وغيره .

---

(١) انظر ص ٢٥ .

(٢) قيل ان الامام هو الذى انشاها عندما تولى القضاء فيها او تكون من المدارس التى اقامها اسكيا محمد الأول فى عهده ، غير أن الأول اقرب مايكون فى الحقيقة .

(٣) قد سبق الاشارة اليه ص ، آدم عبد الله الالورى : موجز تاريخ نيجيريا ، المرجع السابق ، ص ٨٠ .

(٤) المرجع السابق ، نفس الصفحة ، احمد محمد كانى : المرجع السابق ، ص ٣٦ .

(٥) انظر ص ١٢٠ .

(٦) حكم كانو فيما بين ١٤٦٣-١٤٩٩م .

(٧) احمد محمد كانى : المرجع السابق ، ص ٣٦ .

(٨) احمد بابا : نيل الابتهاج ، المصدر السابق ، ص ١٧٦ .

ومن المدارس التى استمرت فى تلك الفترة فى بلاد الحوصا مدرسة الشيخ زغيتى(١)، هذه المدرسة من المدارس المشهورة فى صنغاى ، ادت هذه المدرسة دورا ملموسا فى اثراء الحركة العلمية فى بلاد الحوصا ، منذ تاسيسها (٢)، وكانت تدرس فيها انواع من العلوم وان كانت غالب الدراسة فيها للعلوم الدينية ، وتدل مناهجها على انها كانت من المدارس العالية المستوى حيث كان يدرس بها امهات الكتب(٣)

وفى انحاء مملكة صنغاى انتشرت عدة مدارس ادت دورا كبيرا فى نشر الثقافة وازدهار الحضارة ، ومن هذه المدارس: مدرسة تندرم (٤): وهى من المدارس المشهورة فى صنغاى

---

(١) وهو من علماء القرن التاسع الهجرى ، الخامس عشر الميلادى .

(٢) يمكن ان يكون تاسيسها فى عصر سلطان عبد الله بن يعقوب برجا ١٤٥٢-١٤٦٣م .
احمد محمد كانمى :المرجع السابق ، ص ٣٤ .

(٣) من هذه الكتب الرسالة لابى زيد القيروانى ، ومختصر خليل ، والمدونة الكبرى وغيرها من كتب التفسير والحديث والفقه .
احمد محمد كانمى : المرجع السابق ، ص ٣٤ ،
Meivyn Hiskett. op. cit. p. 80 .

(٤) بنى هذه المدينة عمر كمزاغ أحد اخوان اسكيا محمد الأول ثم نقل اسكيا داود عاصمة دولته من غاو اليها فى عهده . الفع محمود كعت : المصدر السابق ، ص ٦٥ .

وكان من مدرسي هذه المدرسة القاضي عثمان(١)تندرم ، والعالم مُورُ صالح جَوْرَ(٢)، وهذا الاخير من كبار علماء صنغاى في وقته وعضو مجلس الشورى ، ومن مستشارى السلطان اسكيا محمد الكبير ، وحج وزار مع السلطان(٣).

وكذلك اشتهرت مدينة جنج(٤): وهى من المدن التى نشطت فى التعليم فى صنغاى ، اصبحت بها مؤسسات علمية مهمة كالمدارس والمساجد ، ومن اشهر مدارسها : مدرسة مورمغ كنكى(٥) الذى اشتهر بكثرة طلبته ، وطول يده فى التدريس(٦).

وايضا مدرسة الامام صديق بن محمد تغلى(٧)، وعرف هذا

---

(١) تولى القضاء فى عهد اسكيا اسحاق . الفع محمود كعت : المصدر السابق ، ص ٩٠ .

(٢) السعدى : المصدر السابق ، ص ٧٨ .

(٣) اسكيا محمد الكبير . الفع محمود كعت : المصدر السابق ص ٦٥ .

(٤) تقع هذه المدينة جنوب مدينة جنى ، فتحها سن على بعد استيلائه على مدينة جنى بسنة . السعدى : المصدر السابق ، ص ١٦ .

(٥) اصله من كاى - مل - فرحل الى كابر لطلب العلم ثم رحل الى جنى فى أواسط القرن التاسع الهجرى ، وسمع بخبره اهل جنج فبعثوا اليه فارتحل فسكنها الى ان توفى . السعدى : المصدر السابق ، ص ١٦ .

(٦) السعدى : المصدر السابق ، ص ٨٤ .

(٧) ارتحل من مدينة جنج فيما بعد الى تمبكتو ، واستوطن فيها ، وولاه القاضى محمود بن عمر الامامة فى الجامع الكبير ، توفى حوالى ٩٧٣هـ .

الامام بشدة حبه لطلب العلم والتدريس(١).

وفي غرب صنغاي هناك عدة مدارس من اهمها مدرسة الحاج سالم سواري(٢)، ولهذا العالم مجهودات تربوية واجتماعية واسعة النطاق ، اسس مدرسته المشهورة في مل وتخرج على يديه جيل شان(٣)حمل رسالته العلمية في انحاء غرب افريقيا(٤).

---

(١) السعدي : المصدر السابق ،ص ٦١ ، البرتلي : المرجع السابق ، ص ١٥٤ .

(٢) وهو من علماء القرن الخامس عشر الميلادي ، التاسع الهجري ، مدرسته كانت في نياني .

(٣) برز منهم : الشيخ محمد دكري ، والشيخ يوسف كاسامبا ، والشيخ محمد بوني ... وغير هؤلاء .

(٤) مجلة دراسات افريقية ، عدد ٣ ، ص ٣٠،٣٤ .

ومن المدارس التى اشتهرت فى صنغاى فى فترة البحث أيضا :

المدارس المهنية :

لم تقتصر الدراسة فى صنغاى على العلوم النظرية وانما شملت أيضا دراسات مهنية .

ففى مدينة تمبكتو خير دليل على ذلك فقد وجد بها أكثر من عشرين مشغلا للخياطين ، وكلها من النوع التخصصى فى تعليم مهنة الخياطة ، وكل مشغل منها يتراوح عدد الطلبة فيه بين الخمسين والسبعين طالبا ، ويتولى التدريس فى كل منها معلمون متخصصون فى تعليم تلك المهنة يدعى كل واحد منهم بالشيخ الرئيس(١) .

ومن المدارس المهنية أيضا مدارس صناعة النسيج فقد تطورت عموما فى عهد دولة صنغاى وانتشرت فى معظم انحاء البلاد(٢)، وكانت صناعة النسيج بشكل عام يدوية وكان اهل صنغاى يتنافسون على تعلمها وخاصة فى عهد الاسيكيين(٣) .

---

(١) الفتع محمود كعت : المصدر السابق ، ص ١٣١ ، عبد القادر زبادية : المرجع السابق ، ص ، مجلة المؤرخ العربى عدد ١٤ ، المرجع السابق ، ص ٢٢٦ ،
Felix Dubois. op. cit. p. 325 .

(٢) مراكز مختلفة منها غاو ، وتمبكتو ، ومل ، وبلاد الهوسا ، وتصدر الى الخارج .

(٣) محمود كعت : ص ١٧٣ المصدر السابق .
Cheik Anta Diop. op. cit. p. 154 .

اما اقليم غوبر(١)ببلاد الحوصا فقد تفوق أهله بانواع من المهن ايضا منها صناعة النسيج ، ومنها صناعة الجلود التى تكفى احتياجات الدولة وزيادة ، وقد زارها الحسن الوزان(٢)، واعجب بها قال عن اهل هذه البلاد : "الناس متحضرون جدا على العموم فيهم عدد كبير من نساجى القماش وصناعى الجلود الذين يصنعون احذية كالتى كان ينتعلها الرومان فى القديم ، وآلات الموسيقى ، وادوات اخرى كالاسلحة وتصدر هذه الأحذية الى تمبكتو ، وغاو" ، وغيرهما من مدن صنغاى(٣).

ومن ذلك ايضا تعلم اهل صنغاى صناعة الخشب والتعدين لما لهما من علاقة بصناعة انواع الأسلحة ، والسفن ، واستعمالات اخرى ، وانتشرت هذه المراكز على ضفاف الانهار الكبرى فى البلاد(٤).

وكان بمدينة زاغة(٥)مدرسة لتعليم فن البناء ،وهذه المدرسة كانت عظيمة وقد اشتهرت فى انحاء البلاد ، وازدحمت بالطلاب .

---

(١) انظر ص ١٢٨.

(٢) انظر ص ١٨،٢٩ .

(٣) الحسن الوزان : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ١٧٠ ، المجلة العربية للعلوم الانسانية ، المرجع السابق ، ص ١٠١ .

(٤) Cheik Anta Diop. op. cit. p. 150 . ،
المجلة العربية للعلوم الانسانية ، المرجع السابق ، ص ١٠١ .

(٥) انظر ص ١٤٧.

ولمـا استولى على هذه المدينة اسكيا محمد الكبير (١)، اخذ خمسمائة بناء من هذه المدرسة بين معلم وطالب مع آلاتهم وذهب باربعمائة الى غاو ، وارسل مائة منهم الى اخيه عمر كمزاغ (٢)، وعلى يد هؤلاء تم بناء مدينة تندرم (٣)خلال ثلاثة اشهر فقط ، ومن ثم توزعوا فى انحاء البلاد .

وكان لهم اتحاد خاص واسم رئيسهم (٤)كرمغ اى العالم او الأستاذ .

---

(١) انظر ص ٩٣ .

(٢) هو احد اشقاء اسكيا محمد الكبير وهو الذى انابه فى حكم صنغاى اثناء ذهابه الى الحج حتى رجع .
محمود كعت : ص ٦٢-٦٥ المصدر السابق .

(٣) تند اسم رجل ، ودرم اسم امرأة ، سميت بهما هذه المدينة ، وكانت مدينة تندرم العاصمة الثانية لصنغاى بعد غاو فى عهد حكم الأساكى ، كما سبقت الاشارة الى ذلك . ص ١٧٧ .

(٤) الفع محمود كعت : المصدر السابق ، ص ٦١ ،
Cheik Anta Diop. op. cit. p. 137 .

(٤) دور العلماء :

كان العلماء فى منغاى فى فترة البحث يتخذون من بيوتهم اماكن للتدريس والمناظرة وتعليم الطلاب ، وكانت هذه طريقة قديمة بدات مع بداية الاسلام فى مكة المكرمة (١)، وانتشرت بعد ذلك بانتشار الاسلام .

وقد اتخذت دور العلماء فى منغاى اماكن لنشر العلم منذ ان دخلها الاسلام (٢)، وكثر هذا النوع من المدارس فى منغاى اكثر من غيرها ، حيث كان معظم مكاتب تحفيظ القرآن الكريم ان لم يكن كلها فى دور العلماء ، وفضلا عن ذلك كان اكثر واهم المجالس العلمية تعقد فى بيوت العلماء وخاصة فى المدن أو المراكز العلمية الكبرى .

وكان من عادات علماء السودان الغربى(٣)، انهم يجتمعون فى منازلهم لأخذ العلم كالتفسير والحديث والفقه وغيرها ، وتكاد تكون لكل عالم من علماء منغاى مدرسة فى بيته ، اما مدرسة للأطفال أو للكبار (٤).

ومن أبرز العلماء الذين اشتهروا بمجالسهم العلمية فى منازلهم فى منغاي :

* محمود بن عمر بن محمد آقيت(٥)، عالم التكرور ،

---

(١) مدرسة الاسلام الأولى ، دار الأرقم بن أبى الأرقم بمكة المكرمة ، ابن خلدون : المقدمة ص ٥٥٤ المصدر السابق سعد مرسى أحمد : المرجع السابق ، ص ٩٢ ، عبد الله عبد الدائم : المرجع السابق ، ص ١٤٨ .

(٢) قد سبقت الاشارة الى ذلك فى التمهيد . ص ٩ .

(٣) فى كل من مملكة غانة ، ومملكة مل ، ومملكة منغاى .

(٤) السعدى : ص ٢٦٦ المصدر السابق ، محمد الغربى : المرجع السابق ، ص ٦٢٠ .

(٥) انظر الصفحات التالية : ٥٥ وما بعدها .

ومدرسها احيا العلم فى بلاده فانتفع به جمع غفير من شيوخ العلماء وكثر طلبته ، جمع بين التدريس فى المسجد وفى المدرسة ، ومن ثم فى البيت فى فترات معلومة ، واكثر مايدرس فى منزله امهات الكتب مثل : المدونة الكبرى(١)، ومختصر خليل(٢)، والرسالة (٣)، لابى زيد القيروانى(٤)، والسلالجية (٥)، وقد سبق ذكر ذلك فى موضعه .

ومن هؤلاء العلماء ايضا ابو حفص عمر كرى بن الحاج احمد بن محمود ، كان له مجلس فى بيته يحضره جماعة من العلماء والطلاب ويدرس فيه العلوم الدينية وخاصة الحديث والتفسير والفقه ، واما يوم الجمعة فقد خصص لالقاء الشعر فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم (٦).

ومنهم ايضا العالم الفقيه احمد بن محمد السيد سبط الفقيه محمود ت ٩٧٦هـ(٧)، كان له مجلس علم يحضره جماعة كبيرة من شيوخ العلم للاخذ عنه (٨)، وشهد له العلماء بالعلم

---

(١) انظر ص ١٣٥.

(٢) انظر ص ١٢٧.

(٣) انظر ص ١٣٦.

(٤) انظر ص ١٣١.

(٥)

(٦) الفع محمود كعت : المصدر السابق ، ص ١٢٤ .

(٧) من موالد عام احدى وثلاثين وتسعمائة الهجرية .

(٨) ومن طلابه البارزين القاضى عمر بن محمود ، والفقيه محمد بغيغ الونكرى ، والفقيه محمود كعت ، والفقيه محمد كب بن جابر كب ، وغيرهم ، ولمعظم هؤلاء مدارس خاصة .

والسيادة والورع والصلاح رحمه الله ، وكان معظم مايدرس أمهات الكتب في الحديث والفقه مثل : الموطأ للامام مالك(١) والمدونة (٢)للامام سحنون ، ومختصر خليل(٣)، وغيرها(٤)، وله مؤلفات كثيرة سنذكرها في موضعها .

ومن هؤلاء العلماء ايضا محمد بن محمود بن ابي بكر الونكرري ٩٣٠-١٠٠٢هـ(٥)، وهو معروف بمحبة العلم وملازمة تدريسه في اماكن مختلفة احيانا في المسجد ، واحيانا اخرى في المدارس او في منزله ، وكان يُدرِّس من فترة صلاة الصبح الى مابعد صلاة العشاء ، وله خبرة في التدريس واشتهر بذلك وكان مؤلفا وشارحا في معظم الفنون . ويبدأ التدريس في منزله من الزوال الى صلاة العصر ، ثم ينتقل الى المسجد(٦).

ومنهم ايضا عبد الرحمن بن محمود ، تخصص في علم الكلام واشتهر بالتدريس وكان يدرس عليه بواسطة المراسلة ، من

---

(١) انظر ص ١٦٩.

(٢) انظر ص ١٣٥.

(٣) انظر ص ١٢٧.

(٤) السعدي : المصدر السابق ، ص ٣٤ ، البرتلي : المرجع السابق ، ص ٢٨ .

(٥) احمد بابا : نيل الابتهاج ص ٣٤٢ ، المصدر السابق ، محمد الغربي : المرجع السابق ، ص ٥٢٣ .

(٦) احمد بابا : نيل الابتهاج ، المصدر السابق ، ص ٣٤١ ، كفاية المحتاج ، المصدر السابق ، ص ٣٧٥ ، عبد القادر زبادية : المرجع السابق ، ص ١٤٥ ،
Felix Dubios, op. cit. p. 315 .

اشهر طلابه محمد بابا بن محمد الأمين حبيب(١).

وكذلك منهم الفقيه معيا ت ١٠٠٢هـ(٢)، كان له نشاط ملموس في التدريس وخاصة في العلوم الدينية وكان يدرس عدة كتب منها : مختصر خليل ، والتوضيح(٣)لابن الحاجب ، وجمع الجوامع(٤).

وكذلك العالم عبد الرحمن بن احمد المجتهد ت١٠١٩هـ(٥) وكان رحمه الله من مدرسي الحديث والفقه في أمهات الكتب من اهمها الموطا والمدونة وغيرهما(٦).

ومنهم ايضا سيدي عبد المولي الجلالي(٧)، له مدرسة في منزله كان يدرس فيها علوم القرآن وخاصة القراءات "روايتي ورش وقالون دراية"(٨)، وكان حامل لوائهما في عمره في

---

(١) سياتي ذكره عن قريب ، السعدي : المصدر السابق ، ص ٢١٧ ، محمد الغربي : المرجع السابق ، ص ٥٢٥ .

(٢) قتل يوم نكبة العلماء في تمبكتو عام ١٠٠٢هـ ، السعدي المصدر السابق ، ص ١٦٩ ، محمد الغربي : المرجع السابق ، ص ٥٢٦ .

(٣)،(٤) قد سبقت الاشارة اليهما ص ١٦٣، السعدي : المصدر السابق ص ٢١٧ ، محمد الغربي : المرجع السابق ، ص ٥٢٥ .

(٥) البرتلي : المرجع السابق ، ص ١١١،١٧٥،١٨٨ .

(٦) السعدي : المصدر السابق ، ص ٢١٧ ، محمد الغربي : المرجع السابق ، ص ٥٢٥ .

(٧) البرتلي : المرجع السابق ، ص ١١١ .

(٨) السعدي : المصدر السابق ، ص ٢١٧ .

صنغاى(١)، ودرس عليه عدد كبير من الشيوخ والطلبة (٢).

وكذلك ايضا العالم عبد الله بن الفقيه احمد برى ت ١٠١٠هـ(٣)، وهو من مشاهير علماء تمبكتو ومدرسيها وكان يدرس فى منزله ودرس عليه عدد من العلماء والطلاب(٤).

ولم نقف على تفاصيل كثير من نشاطات دور العلماء فى صنغاى ، ولكن ذلك لاينفى وجودها وكثرة انتشارها وشهرتها ، فى صنغاى فى فترة البحث .

---

(١) السعدى : ص ٢١٧ ، المصدر السابق ، البرتلى : ص ١١١ المصدر السابق ، محمد الغربى : المرجع السابق ، ص٥٢٥

(٢) من اشهرهم محمد بابا بن محمد الأمين حبيب ـ ابو عبد الله ـ .

(٣) البرتلى : المرجع السابق ،ص ١٥٨ .

(٤) السعدى : المصدر السابق ، ص ٢١٧ ، محمد الغربى : المرجع السابق ، ص ٥٢٥ .

(٥) قصور السلاطين والأمراء في صنغاي
ودورها في نشر العلم والثقافة في فترة البحث:

كان من عادات الحكام والأمراء وأغنياء المسلمين اتخاذ مجالس علمية خاصة يدعون اليها كبار العلماء والقضاة والادباء والشعراء والمفكرين والمربين ، وهذه المجالس كانت دورية في قصورهم ، وكان يشهد هذه المجالس كبار المسئولين في الدولة ويدعى اليها كبار العلماء الذين يزورون البلاد من البلاد المجاورة ، او الذين ياتون من بلاد بعيدة (١).

وظهر هذا النوع من النشاط العلمي وانتشر في صنغاى منذ بداية حكم اسرة الأساكى(٢)، حيث كان حكام الاساكى انفسهم علماء وادباء ، شاركوا ابناء بلادهم في اخذ العلم عن العلماء الأجلاء المحليين والوافدين الى بلادهم ، ولم يكونوا يفارقون العلماء ، وكان لكل حاكم من حكام الاسيكيين مجلس للعلم في ديوانه .

وكان معظم ابناء حكام غاو والامراء في الاقاليم التابعة لها يواصلون تحصيل دراساتهم العلمية في المراكز الثقافية الكبرى للدولة مثل تمبكتو ، وجني ، وغاو ، وبلاد الخوصا ، التي سبقت الاشارة اليها (ص ١٢٢) بعد انهائهم للمرحلة

---

(١) محمود كعت : ص ١٠٨-١١٤ المصدر السابق .

(٢) لم يظهر هذا النوع من المجالس في قصور حكام صنغاى قبل فترة حكم آل اسكيا ، كما يبدو ذلك .

اما في مملكة مل ، فقد سبقت الاشارة الى قصور حكامها وأمرائها لمجالس العلم والعلماء والأدباء والشعراء .

الابتدائية أو المكتب في مدارسهم المحلية التي تنتشر في جميع انحاء البلاد ، سواء في المدن او القرى ، مما جعل اكثرهم مثقفين وادباء .

ولعل أهم مايمكن أن نشير اليه هنا ان اسكيا محمد الكبير(١)، كان من انشط الحكام في هذا الميدان(٢)، كما سبقت الاشارة الى ذلك في تشجيع الحكام .

ومن ثم ابناؤه الذين حكموا البلاد من بعده ، وابرزهم اسكي داود(٣)، الذي اشتهر بحبه للعلم والعلماء وبما فيهم أمراء الأقاليم كامير كانو ، محمد رمفا(٤)، وامير زاريا محمد رابو(٥)، وامير كاتسينا محمد كوارو(٦)، اضافة الى

---

(١) مؤسس الحكم لآل اسكيا في صنغاي ، قد سبقت الاشارة الى ذلك سابقا ص ٢٩.

(٢) بدا اهتمامه بالعلم والعلماء قبل توليه الحكم ، حيث كان عالما وقائدا للجيش معا .

(٣) قد سبقت الاشارة الى ذلك ص ٦٣.

الفع محمود كعت : المصدر السابق ، ص ٩٤ .

(٤) حكم كانو خلال الفترة ١٤٦٣-١٤٩٩م ، كما سبقت الاشارة الى ذلك سابقا ص ١٣٢.

احمد محمد كانمي : المرجع السابق ، ص ٣٣ .

(٥) حكم زاريا خلال فترة الربع الأخير من القرن الخامس عشر الميلادي . احمد محمد كانمي : المرجع السابق ، ص ٣٥ .

(٦) من ابرز حكام كاتسينا خلال الفترة ١٤٤٥-١٤٩٥م ، كما اشرنا اليه سابقا ص ١٢٧.

S.M. Cissoko, op. cit. p. 280 . IV

القضاة (١)، الذين وُكِّلتْ اليهم مُهمةُ القيام باحياء الحركة العلمية والثقافية فى انحاء البلاد .

اكد لنا ذلك الأوربيون الذين قاموا بزيارة السنغال (٢) فى القرن العاشر الهجرى ، الخامس عشر الميلادى ، شاهدوا حضور ، ووجود شيوخ من المغرب وتلمسان (٣)، وموريتانيا (٤)

---

(١) وعلى راسهم القاضى محمود بن عمر شيخ الاسلام ، وابناؤه عمر ، والعاقب ، وغيرهم من القضاة المشهورين فى انحاء دولة صنغاى ، فى فترة البحث . محمود كعت : ص ١٢١ ، كفاية المحتاج ص ١٨٩ ، السعدى : ص ٣٣ .

(٢) تقع السنغال فى اقصى نقطة من غربى القارة الافريقية ، وهى من المدن التكرورية المهمة . عبد القادر محمد سيلا : الاسلام فى السنغال ، معالم الحضارة وآفاق المستقبل ، طبع فى دولة قطر ، الطبعة الأولى ، ص ٢٤ .

(٣) مملكة فى القديم ، واقليم من اقاليم المغرب حاليا ، وكانت تشكل مرحلة فى الطريق المؤدية الى بلاد السودان الغربى ، من بلاد البربر .
الحسن الوزان : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٩ .

(٤) وكانت تسمى شنقيط قديما : يقع فى الجزء الشمالى الغربى للقارة الافريقية ، ضمن مدن الصحراء الكبرى ، ومنقسمة بين المغرب وصنغاى فى فترة البحث ، وهى جمهورية مستقلة حاليا .
عبد البارى عبد الرزاق النجم : موريتانية الاسلامية ، دراسة فى وضعية موريتانيا الطبيعية والبشرية والاقتصادية والسياسية ، ص ٩ ، دار الأندلس للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م .

فى بلاط كل من امراء : كاجور (١)، وجولوف(٢)، وسين (٣)، وسالوم (٤)، يمارسون الدعوة والتعليم الى جانب التجارة واعمال اخرى .

ويمكن الرجوع الى تفاصيل هذا الموضوع فى الفصل الأول فقرة تشجيع الحكام لنشاط الحركة العلمية .

---

(١) وكانت مملكة كاجور تحتل سهلا واسعا بين المحيط الاطلسى واقاليم جولوف ، ومدينة لامباية مقر بعض ملوكها . عبد القادر محمد سيلا ، المرجع السابق ، ص ٣٥ .

(٢) وتقع مملكة جولوف فى الوسط الغربى من السنغال ، وتقطنها جماعتا ولوف وفلاتة ، ويتابعها اقاليم عديدة عبد القادر محمد سيلا : المرجع السابق ، ص ٣٤ .

(٣)،(٤) اما سين وسالوم ، فكانتا اقاليم بين كاجور وجولوف نفس المصدر السابق ، والصفحة .

وكل هذه الممالك والاقاليم تابعة الآن لجمهورية السنغال المستقلة حاليا .

عبد القادر محمد سيلا : المرجع السابق ، ص ٦٤ .

(٦) رحلة الحج والرحلات العلمية والعلاقات الثقافية :

من اهم وسائل نشر العلم والثقافة الاسلامية فى منفاى فى فترة البحث وتمكن العقيدة الاسلامية فيها تحمس اهل السودان الغربى لاداء ركن فريضة الحج .

ولما كان الحج ومازال من اهم العوامل التى تُيَسِّرُ للمسلمين فرصة الالتقاء والتبادل الثقافى ، والفكرى ، حرص سلاطين الدول الاسلامية فى بلاد السودان الغربى وشعوبها على اداء هذه الفريضة رغم ماكانوا يتكبدونه من مشاق لطول الطريق ووعورته (١).

---

(١) قد شارك بعض ملوك السودان الغربى قبل فترة البحث فى اداء هذه الفريضة ، ومن اشهرهم الملك منسا موسى وانفق كل مالديه فى مصر والحجاز وخاصة على الفقراء والمساكين واقام مؤسسات خيرية ، وله نشاط ملموس فى اثراء الحياة العلمية فى السودان الغربى قبل فترة البحث .

المقريزى : الذهب المسبوك فى حج بعض ملوك الاسلام ص ١١٠-١١٣ ، العمرى : احمد بن يحيى بن فضل الله : مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار من الباب الثامن الى الباب الرابع عشر ، ص ٧٠ ، تحقيق وتعليق د. مصطفى ابو ضيف احمد ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م ، الفع محمود كعت : تاريخ الفتاش فى اخبار البلدان ، ص ١١١ ، المصدر السابق ، السعدى تاريخ السودان ، ص ٧ ، المصدر السابق ،

Trimingham : Islam in West Africa, p. 91-94 .

O.V. P. London 1963 .

وقد ادى الحج دورا كبيرا لنشر العلم والثقافة الاسلامية فى العالم الاسلامى عموما ودولة صنغاى خاصة بين الحكام والعلماء والطلاب ، حيث كانوا يتسابقون لتاديته كما كانوا يتسابقون لطلب العلم والقيام بالرحلات العلمية .

كان حكام صنغاى يقودون قوافل الحجيج الى مكة المكرمة والمدينة المنورة ، واشهر هذه القوافل حج اسكيا محمد الكبير عندما اطمان على حالة الاسلام ومايسود من هدوء فى دولته فانه رغب فى الحج فاخذ معه بعض كبار العلماء فى بلاده (١)، وانفق فى سبيل الله كل مالديه من مال (٢) فى اقامة مشروعات خيرية بمكة المكرمة والمدينة المنورة .

ومايكاد يعود من حجه الذى قام به حتى اخذ فى نشر الاسلام بين القبائل المختلفة فى انحاء دولته غربا وشرقا وشمالا (٣)، ممن كانوا لايزالون يعتنقون الوثنية .

---

(١) وهم الشيخ محمد تُلِّ ، والفا صالح جَوُرَ ، وكَاغُ زكريا ، ومحمد تَنْكَنَكَ ، والقاضى محمود يَدُبُغُ ، والشيخ مُورُ محمد هُوْكَارُ ، والقاضى محمود كعت ، ومن الأمراء : اسكى موسى وَهُدُ كُرْكَيْ عَلِى فُلَنْ .

الفع محمود كعت : تاريخ الفتاش باخبار البلدان ، ص ١٦،٦٥ ، المصدر السابق .

(٢) الحسن الوزان : وصف افريقيا ، ج٢ ، ص ١٦٠ ، المصدر السابق ،

Jon Roch, op. cit. p. 9 .

(٣) كالماندنقو ، والغولاتى ، والحوما ، وموسى ، والطوارق السعدى : تاريخ السودان ، ص ٧ ، المصدر السابق ، كولين ماكفيدى : اطلس التاريخ الافريقى ، ص ٥٧٩ ، =

فان السلطان اسكيا محمد الكبير كان رمزا فى تسخير قوته المادية والمعنوية لنشر الاسلام وتثبيت العقيدة الصحيحة فى بلاده ، كما سبقت الاشارة الى ذلك فى الفصل الأول من هذا البحث .

ومن مظاهر اهتمام حكام منغاى وعلمائها وطلابها بهذه الفريضة اقامة مراسم لاستقبال الحجاج عن عودتهم الى بلادهم من الحج حيث يكون استقبالهم كالعيد ويكون على رأس المستقبلين السلطان ورؤساء الاقاليم والأمراء ، ومن ثم القضاة والعلماء وائمة المساجد وعامة الناس ، ويقبلونهم ويطلبون منهم الدعاء(١)، وتقطع لهم السلطات القطائع والمكافآت التشجيعية الى جانب انواع الهدايا التى تأتى من الناس الذين يفرحون بحج الحاج ويطلبون الدعاء ، بل يُعْتَقُ عبدٌ عن كل من قام بالحج(٢).

وهكذا كان العلماء والطلبة ينتهزون الفرصة للوصول الى المراكز الثقافية الاسلامية واخذ العلم عن كبار علماء

= ترجمة مختار السويفى ، المصدر السابق ، عبده بدوى : مع حركة الاسلام فى افريقية ، دراسة من خلال الدول التى قامت قبل الاستعمار ص ١٦٣ ، الهيئة المصرية العامة للتاليف والنشر ، ١٩٧٠م .

J.D. Fege : West Africa History . p. 30 .

(١) ولاتزال هذه الظاهرة باقية بين الناس فى غرب افريقيا حتى الآن .

(٢) ولاسكى داود مع رجل من كنت قصة تدل على ذلك . الفع محمود كعت : تاريخ الفتاش فى اخبار البلدان ، ص ١١١ المصدر السابق .

العالم الاسلامى ، كما كانوا يقومون بالتدريس ايضا اثناء هذه الرحلات ذهابا وايابا ، فضلا عن ماكانوا يجدونه من اكرام واحترام متزايد من عامة الناس فى بلادهم ، وكان معظم الحجاج يرجعون الى بلادهم بعد حجهم وقد تزودوا بالعلم وانتفعوا بملاقاة العلماء .

كما شهدت الحركة العلمية والثقافية فى منغاى منذ القرن الرابع عشر الميلادى ، الثامن الهجرى(١)رحلات علمية مهمة ، واسعة النطاق الى عواصم العالم الاسلامى ، والى المراكز والمؤسسات العلمية الكبرى فى المشرق والمغرب الاسلامى .

وقد تعددت تلك الرحلات وتنوعت ، حيث نشط "الرحالة الذين كانوا يحملون معهم انباء [illegible] واخبار العلم والعلماء والكتب وحلقات التدريس والمناظرات(٢)وغيرها .

ومن ثم نشط العلماء الذين قدموا الى منغاى لنشر العلم فيها ، وفرحوا بما كان لدى طلبة العلم فى منغاى من

---

(١) كان لمملكة مل ملة قوية بمصر فى ايام المماليك الشراكسة ، وكان للتكرور جالية كبيرة فى مصر منذ العهد الفاطمى ، وكذلك فى عهد المماليك البحرية ٧٤٣هـ/١٣٤٢م ، وخصص فى الازهر من اروقته لأهالى بلاد التكرور ، عرف المكان باسمهم ، عبد الرحمن زكى : المرجع السابق ، ص ١٢٣ ، ابراهيم على طرخان : المرجع السابق ، ص ١٥١ .

(٢) المجلة التاريخية المغربية ، عدد ٢١-٢٢ ، ص ١٧ .

رغبة ملحة للقيام بالرحلة الى الأماكن المشهورة بالنشاط العلمي ووجود مشاهير العلماء لاقتباس العلم ورفع معنويات المتعلم ، قال ابن خلدون : "الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعلم ولاكتساب الفوائد والكمال ومباشرة الرجال فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها "(١).

ولاشك في ان طلبة العلم في صنغاى ادركوا ذلك وقدروه حق قدره ، حيث قام عدد كبير منهم بزيارة البلاد الاسلامية التي اشتهرت بالعلم والعلماء خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين ، الخامس والسادس عشر الميلاديين ، مقابل ماقام به علماء ومشاهير الفقهاء والدعاة القادمين الى صنغاى ، للمساهمة في اثراء ورفع معنويات الحركة العلمية في السودان الغربي ، مما ساعد على تطعيم النهضة العلمية (٢)، على حسب المستوى الذي كانت عليه المراكز العلمية في مناطق العالم الاسلامي المتعددة ، وهذه امور تؤكد مدى التواصل الفكري والتتبع الدقيق لكل مستحدثات العلوم (٣)، وتجدر الاشارة هنا الى نوعين من الرحلات لهما اهميتهما ووزنهما نوردهما فيما يلي :

---

(١) ابن خلدون : المقدمة ، المصدر السابق ، ص ٤٩٧ .

(٢) السعدى : ص ٢١-٤٥ المصدر السابق ، مجلة المؤرخ العربي ، عدد ١٤ ، ص ٢١١ ، المجلة التاريخية المغربية ، عدد ٢١-٢٢ ، ص ١٧ .

(٣) نعيم قداح : افريقيا ، المرجع السابق ، ص ١٤٠ ، عبد القادر زبادية : المرجع السابق ، ص ١٤٦ ، المجلة التاريخية المغربية عدد ٢١-٢٢ ، ص ١٧ .

اولا : رحلات مهمة وواسعة النطاق قام بها علماء اجلاء الى منغاى بمختلف اقاليمها للتدريس فى مساجدها ومدارسها المختلفة ، مثل الامام محمد بن عبد الكريم المغيلى ت٩٠٩هـ(١)، والامام جلال الدين السيوطى ١٤٤٥ - ١٥٠٥م (٢)،

---

(١) ارتحل الى بلاد التكرور ، ودخل بلاد آهير ، ونكده ، وكانو ، وكاتسينا ، وغاو ، ولاتزال آثاره العلمية باقية فيها .
عباس بن ابراهيم المراكشى : الاعلام بمن حل بمراكش واغمات من الاعلام ، ج٤ ، ص ١٢٧ ، المطبعة الجديدة بطالعة فاس ، الطبعة الأولى ١٣٥٥هـ/١٩٣٧م ، تاريخ افريقيا العام ، ج٤ ، المرجع السابق ، ص ٢١٩ ، امين عوض الله : المرجع السابق ، ص ١٨٤-١٨٥،١٩١،٢٤٣ ، محمد الغربى : المرجع السابق ،ص ٥١٤ ، توماس وارنولد المرجع السابق ، ص ٣٥٧ ، حسن احمد محمود ، المرجع السابق ، ص ٢٣٣،٢٥١ ، المجلة التاريخية المغربية ، المرجع السابق ، عدد ٧-٨ ، ص ٣٠ ، مجلة المؤرخ العربى ، عدد ١٤ ، ص ٢١٢ ،
Josep Cuog, op. cit. p. 217-222 . Felix Dubois, op. cit. p.330 , and Raymond Mauny Notes, op. cit. p. 839 and J.F. Ade .. op. cit. p. 274-275, and Hiskett, Mervny, op. cit. p. 54 .

(٢) زار بلاد التكرور ، كاتسينا . محمود كعت : ص ١٢ ، المصدر السابق ، حسن احمد محمود : المرجع السابق ، ص ٢٥٢ ، عبده بدوى : المرجع السابق ص ١٦٨ ، احمد محمد كانمى : المرجع السابق ، ص ٣٧ .

والشيخ عبد الرحمن سوجين ٨٧٣-٩٥٦هـ(١)، والفقيه مخلوف ابن على بن صالح البلبالى ت ٩٤٠هـ/١٥٣٣م (٢)، والعالم ابراهيم بن عبد الجبار الودغيرى الفجيجى ت ٩٥٨هـ(٣)، والعلامة الشيخ رمضان بن احمد(٤)، وكذلك ابن سعيد الدكالى(٥).

وهناك غير هؤلاء المذكورين من مشاهير العلماء والمؤرخين والدعاة الذين لهم دور بارز فى بناء الحياة العلمية والثقافية فى السودان الغربى لايتسع المجال لذكرهم .

الثانية : ولطلبة العلم فى صنغاى نشاط مكثف للرحلة الى طلب العلم قام به عدد كبير من ابناء صنغاى جدوا واجتهدوا ورحلوا فحملوا واشتهروا فى العالم الاسلامى ، حتى

---

(١) احمد بابا : نيل الابتهاج ص ١٧٦ المصدر السابق ، محمد ابن محمد مخلوف : شجرة النور الزكية ص ٢٨٩ ، رقم ١٠٤٧ المرجع السابق .

(٢) احمد بابا : نيل الابتهاج ، المصدر السابق ، ص ٣٤٤. كفاية المحتاج ، المصدر السابق ، ص ٣٨٢ ، البرتلى : المرجع السابق ، ص ١٤٦ ، تاريخ افريقيا العام ، ج٤ ، المرجع السابق ، ص ٢٩٦ ، احمد محمد كانمى : المرجع السابق ،ص ٤١ ، محمد الغربى : المرجع السابق ، ص ٥٩، ٥١٧ .

(٣) احمد بابا : نيل الابتهاج ، ص ٣٣٢ المصدر السابق ، عبد الوهاب بن منصور : المرجع السابق ، ج١ ، ص ١٤٤ .

(٤) محمد بلو : المصدر السابق ، ص ٥٢ .

(٥) العمرى : ص ٦٠ المصدر السابق ، محمد الغربى : المرجع السابق ، ص ١٨١ .

اشير اليهم بالبنان ، لعلمهم وصلاحهم وطول باعهم ، وصبرهم فى التدريس ، وأكثر هؤلاء العلماء السنغائيين ، من الذين قاموا وشدوا الرحال الى خارج بلادهم لاقتباس العلوم والفنون المختلفة ، واستطاعوا بعد عودتهم اثراء بلادهم بالعلم الذى استوعبوه من مشاهير العلماء فى بلدان مختلفة فى انحاء العالم الاسلامى ، فاصبحوا مصابيح نور تضئ لطلاب العلم فى صنغاى منذ القرن الثامن الهجرى ، الرابع عشر الميلادى ، ومن مشاهيرهم احمد بن عمر بن محمد اقيت ت ٩٤٣هـ(١)، ومحمد ابن احمد بن ابى محمد التازختى ت ٩٣٦هـ/٢٩ - ١٥٣٠م (٢)،

---

(١) رحل الى المغرب ، ومصر ، والحجاز ، فحج وزار ، ولقى العلماء ، ورجع ودخل كانو ، وكاتسينا .
احمد بابا : كفاية المحتاج ، المصدر السابق ، ص ٤٣ ، محمد الغربى : المرجع السابق ، ص ٥١٧ ، احمد محمد كانمى : المرجع السابق ، ص ٤١ ، تاريخ افريقيا العام ج٤ ، المرجع السابق ، ص ٢٩٦ ، بينما يشير احمد شلبى الى انه احمد بابا نفسه وليس جده ، نقل عنه كذلك حسن احمد محمود ، ص ٢٢٧ ، والامر ليس كذلك .

(٢) ارتحل الى تكده ، ومصر ، والحجاز ولقى معظم العلماء واخذ عنهم ، وحج وزار ثم رجع وسكن كاتسينا .
السعدى : المصدر السابق ، ص ٣٩ ، تاريخ افريقيا العام ، ج٤ ، المرجع السابق ، ص ٢٩٥ ، محمد بلو ، المصدر السابق ، ص ٥١ ، احمد محمد كانمى : المرجع السابق ، ص ٤١ ، حسن احمد محمود : المرجع السابق ، ص ٢٥٠ ، عبد القادر زبادية : المرجع السابق ، ص ١٤٨ المجلة التاريخية المصرية ، عدد ١٤ ، ص ٨٧ .

وعبد الله بن احمد بن سعيد وكان حيا سنة ٨٨٨هـ(١)، والعاقب بن محمد ابن عمر ت ٩٩١هـ(٢)، والعاقب بن عبد الله الانصمني ت ١٥٤٣م(٣)، وابو بكر بن محمد بن عمر بن محمد اقيت ت ٩٩١هـ(٤)، ومحمد بن محمود بن ابى بكر الونكرى ت ١٠٠٢هـ(٥)،

---

(١) ارتحل الى مراكش . احمد بابا : نيل الابتهاج ص ١٦١ المصدر السابق ، محمد الغربى : المرجع السابق ، ص٥١٥

(٢) ارتحل الى مصر ، والحجاز ، ولقى العلماء واخذ العلم فحج وزار ثم رجع .
احمد بابا : نيل الابتهاج ، المصدر السابق ، ص ٢١١ ، ويحسبه محمد الغربى انه العاقب بن محمود بن عمر ، فى كتابه ص ٥١٨ .

(٣) ارتحل الى المغرب ، وتوات ، ثم الى مصر ، ورجع .
احمد بابا : كفاية المحتاج ، المصدر السابق ، ص ١٨٨
محمد الغربى : المرجع السابق ، ص ٥١٧ .

(٤) ارتحل الى مصر ، والحجاز لأخذ العلم فحج وزار ثم رجع.
احمد بابا : نيل الابتهاج ، المصدر السابق ، ص ١٠٢ ، كفاية المحتاج ، المصدر السابق ، ص ٧٤ ، أمين عوض الله : المرجع السابق ، ص ٢٠٥ ، محمد بن محمد مخلوف شجرة النور ، ص ٢٨٦ .

(٥) ارتحل لطلب العلم الى مصر والحجاز ثم رجع .
احمد بابا : نيل الابتهاج ، المصدر السابق ، ص ٣٤١-٣٤٢ ، السعدى : المصدر السابق ، ص ٤٣ ، البرتلى : المرجع السابق ، ص ٢٨ .

واحمد بن محمود بن ابى بكر الونكرى ت ٩٧٨هـ(١)، ومحمد بن مبارك بن هوا الونكرى(٢)، وصبح بن عبد الله الفقيه التكرورى(٣)، وسيدى احمد بابا بن احمد بن احمد ت١٠٣٦هـ(٤)

---

(١) ارتحل لطلب العلم الى مصر والحجاز ، فحج وزار ، ثم رجع مع اخيه .
احمد بابا : نيل الابتهاج ، المصدر السابق ، ص ٤١ ، السعدى : المصدر السابق ، ص ٤٣ ، البرتلى : المرجع السابق ، ص ٢٨ .

(٢) رحل الى الحجاز ، فحج وزار .
عمر بن فهد : اتحاف الورى باخبار ام القرى ، ج٤ ، ص ٣٩٤ ، تحقيق وتقديم د. عبد الكريم على باز ، مطبعة جامعة ام القرى بمكة ومركز احياء التراث الاسلامى ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

(٣) وصل الى مصر ، ودمشق لاخذ العلم عن علمائها .
حسن احمد محمود : المرجع السابق ، ص ٢٤٦ ، المجلة التاريخية المصرية ، عدد ١٤ ، ص ٨٤ .

(٤) رحل الى المغرب للتدريس ثم رجع الى بلاده .
احمد بابا : نيل الابتهاج ، المصدر السابق ، ص ٣٣٧ ، جامعة الدول العربية : المرجع السابق ، ص ٧٤ ، البرتلى : المرجع السابق ، ص ٣١ ، عبد الكريم كريم : المغرب فى عهد السعديين ، ص ٣١٦ ، عام ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م عبد الوهاب بن منصور : المرجع السابق ، ج١ ، ص ٢٦٠ ، ج٢ ، ص ١٤٨ ، العباس بن ابراهيم المراكشى : المرجع السابق ، ج١ ، ص ٢١٥،٣٨٦ ، ج٢ ، ص ٢٥٠،٢٨٦،٣٠٨،٣٣٧، ٣١٤ ، ج٥ ، ص ١٩٠،٢٥٩،٢٤٨ .

ومعظم أولاد القاضي محمود بن عمر واحفاده نهجوا على نهجه في ذلك .

وهؤلاء قليل من كثير بالنسبة لعلماء السودان الغربى الذين تحمسوا لطلب العلم وارتحلوا الى خارج بلادهم لطلبه في عهد صنغاى ، ولايتسع المجال هنا لحصرهم جميعا ، وتكفينا هذه القائمة دليلا على المستوى الذى وصل اليه النشاط العلمي والثقافي في صنغاى ونضجه ، وبنفس الوقت تؤكد هذه الرحلات مدى توطد العلاقات الثقافية بين المراكز الثقافية والعلمية في صنغاى ، وبين المراكز الأخرى سواء في المغرب او في مصر او في الحجاز او غير هذه الاماكن المذكورة .

فان دل كل هذا على شيء فانما يدل على مدى الرغبة في التعلم الذى كانت تتميز به العقلية الافريقية بصفة عامة في تلك الفترة (١).

حيث استطاعت ان تؤتى أكلها طوال القرنين التاسع والعاشر الهجريين ، الخامس والسادس عشر الميلاديين ، في صنغاى علاوة على ماسبق فان العديد من الحجيج كانوا يغتنمون الفرصة اثناء ذهابهم الى الحج فيجالسون العلماء اللامعين بمصر ، والحجاز ، ويشاركون في المناقشات والمناظرات العلمية ، وقد تطول اقامة بعضهم عدة سنين فلايعودون الى بلادهم الا بعد ان يكونوا قد حصلوا على عدد من الاجازات العلمية (٢)كما سبق ذكره في اول هذا المبحث .

---

(١) نعيم قداح : افريقيا الغربية في ظل الاسلام ، المرجع السابق ، ص ١٤٠ .

(٢) السعدى : ص ٣٢،٣٩،٤٠-٤٣،٥٧،٦١ المصدر السابق ، مجلة المؤرخ العربى ، عدد ١٤ ، ص ٢٢٥ .

(٧) مناهج التعليم في منغاي في فترة البحث :

سلكت مناهج التدريس طريقا واحدا فى معظم البلدان الاسلامية منذ القرن الرابع الهجرى ، وكان العرف السائد والجارى به العمل ، هو أن التلميذ يدخل الكتاب اولا ، ليتعلم القراءة والكتابة والخط ويحفظ شيئا من القرآن الكريم ، وبامكان المعلم تلقينه المبادىء الأولية فى الفرائض والحساب واللغة ، الا أن ذلك كان قليل الحصول فى بلاد المغرب على مايظهر (١) ، وظل يغلب على منهج المغاربة فى المرحلة الابتدائية الاقتصار على تحفيظ القرآن الكريم (٢).

وبما أن أهل منغاى أخذوا أساليب التعليم مباشرة عن المغاربة فان منهج المغرب هو الذى كان يجرى العمل به لديهم غالبا ، الا انه ظهر نوع من التوسع في بعض المكاتب تأثرا بدول المشرق الاسلامى او الأندلس مع التركيز الشديد على حفظ القرآن الكريم (٣ ، والالمام بمبادىء اللغة والفرائض واتقان الخط (٤) ، وهو مما لم تشتهر به مناهج الكتاب ببلاد المغرب فى تلك الفترة .

---

(١) وأما الحساب فقد ألمح ابن خلدون بتداوله فى الأمصار المغربية وتعليمه للولدان . المقدمة ص ٦٣٥ .

(٢) ابن خلدون : المقدمة : ص ٧٤٠ ، المصدر السابق .
Felix Dubois, op. cit. p. 322 .

(٣) ابن بطوطة : ص ٦٧٣ المصدر السابق ، محمود كعت : ص١٣٠ ، ١٨٠ ، المصدر السابق .

(٤) محمود كعت : ص ١٨٠ المصدر السابق ، عبد القادر زبادية : المرجع السابق ، ص ١٤٢ ، لمزيد من المعلومات يرجى الاطلاع على كتاب :

Hiskett, Mervyn : The Development of islam in west Africa, p. 55-56 .

وتعتبر هذه المرحلة هي الاساسية لكل الطلاب وهي الوحيدة التي يراعى فيها الى حد ما ، مستوى السن ، حيث جرت العادة في صنغاى ان يلتحق الطفل بالمكتب غالبا وهو في الخامسة او السادسة من عمره بقريته او في قرية قريبة اخرى مجاورة ان لم يتيسر له ذلك في بلدته (١).

وبما ان الأساتذة في المرحلتين الثانوية والعالية لايتعاطون تعليم القراءة والكتابة ، كان على كل طالب ان يدخل المدرسة الابتدائية اولا ، ليتزود منها بمايمكنه من معرفة القراءة والكتابة (٢).

واما مرحلتا الثانوية والعالية : فلم تكن لهما عرف معين في السن كما ان الفرق بينهما لم يكن واضحا (٣)، من حيث التعليم .

وانما كان في كل المدن الكبيرة مساجد تقام بها حلقات للدراسة ، وكانت تدرس في المرحلة الثانوية المواد التي تحتاج الى شرح وايضاح كالنحو والفرائض والبلاغة (٤).

واما الكتب التي تدرس منها تلك المواد هي التي

---

(١) نعيم قداح : افريقيا الغربية في ظل الاسلام ، المرجع السابق ، ص ١٤٤ ،

Joseph Ki-Zerbo . op. cit. p. 149 .

(٢) محمود كعت : ص ١٧٩-١٨٠ المصدر السابق .

(٣) احمد بابا : نيل الابتهاج ص ٣٤٢ المصدر السابق ، عبد القادر زبادية : المرجع السابق ، ص ١٤٤ ، المجلة التاريخية المغربية ، عدد ٧-٨ ، ص ٣٢ .

(٤) السعدى : ص ١٦، ٢٧، ٥٦ ، المصدر السابق .

Felix Dubois, op. cit. p. 323 .

لاتحتوى على كثير من التفصيلات والشروح .

واما التعليم العالى : فتدرس فيه المواد الاكثر تخصصا وتشتمل على تفصيلات واسعة ، وتناقش المسائل فيها على مستوى امهات الكتب التى عرفها المسلمون حتى ذلك العهد (١) فى كل فن من فنون العلم .

فالمناهج فى المرحلتين مرتبطة ببعضها غالبا حيث ان الطالب يدرس المؤلفات المبسطة فى موضوع ما ، خلال المرحلة الثانوية ، ثم يتدرج الى دراسة المؤلفات المفصلة مع شروحها وحواشيها بعد ذلك فى نفس الموضوع (٢) فى المرحلة العالية .

اما طريقة الاختصاص بمادة واحدة فلم تكن معروفة بصنغاى فى تلك الفترة ، وربما لم يعرفها العالم بشكل دقيق قبل القرن السابع عشر الميلادى .

اذ أن قبل ذك كان يجرى العمل به عند معظم علماء الأمة الاسلامية .

وهذه الطريقة كانت هى السائدة فى عملية التعليم والتدريس فى صنغاى ، فالمدرسون على اختلاف مستوياتهم لم

---

(١) احمد بابا : ص ٣٤١-٣٤٢ المصدر السابق .
D.T. Niane, op. cit. p. 72-76 .

(٢) احمد بابا : نيل الابتهاج ص ١١٥ المصدر السابق .
Félix ubois. op. cit. p. 323 .

يكونوا ملتزمين بالتوقف عند مادة معينة ، بل انهم كانوا يتصدون غالبا لتدريس مواد عدة ، الا انهم لايخرجون عن نطاق المواد التى اتقنوها وأجيزوا فيها (١).

وظهرت القاب للمدرسين كالاشياخ والأساتذة ، ويبدو هنا أن الاشياخ كانوا فى العرف العام آنذاك متوسطى الثقافة بالنسبة للأساتذة وان كان بعضهم تعاطوا تدريس امهات الكتب المفملة (٢)، كما يقول احمد بابا (٣)، والسعدى(٤)عن بعضهم فهو شيخى واستاذى بنفس الوقت .

أما أوقات التدريس فان المدرسين كانوا يقسمون اوقاتهم خلال النهار ، فيدرسون مثلا فى الصباح لطلاب مستوى الثانوى ، ثم يجلسون بعد الظهر لطلاب المرحلة العليا من حيث التدرج فى مستويات التعليم بين المراحل(٥).

كان الطلبة يسرعون الى العلماء والفقهاء لاقتباس العلم وان كانت الحلقات الدراسية والمناقشات العلمية ، تبدأ من بعد منتصف الليل الى صلاة الصبح ، ومن ثم تتواصل

---

(١) احمد بابا : نيل الابتهاج ص ١١٥، ٢١٨، ٢٧١، ٣٣٥، ٣٣٧، ٣٤٢، ٣٦٠ .

Paul Marty . op. cit. p. 86 . Joseph Cuog. op. cit. p. 209 .

(٢) احمد بابا : نيل الابتهاج ص ٣٤٠-٣٤٤ .

(٣)،(٤) قد سبقت الاشارة اليهما سابقا . ص ١٤، ٢٩ .

(٥) احمد بابا : نيل الابتهاج ص ٣٤١-٣٤٤ المصدر السابق .

Cheik Anta Diop. op. cit. p. 131 ,

Felix Dubois, op. cit. p. 315 .

Josep Cuog. op. cit. p. 209 .

الى صلاة العشاء فى المدن وغيرها من مراكز العلم فى دولة صنغاى (١) .

ومن اهم ماتتميز به مظاهر التعليم فى صنغاى ، التركيز فى الحفظ على معظم المواد الدراسية ان لم يكن كلها (٢)، وخاصة فيما يتعلق بالعلوم الدينية واللغوية .

وفى المستوى العالى خاصة اعتمدت على المناقشة والاسئلة بين الاساتذة والطلاب ، ولكن فى جو من التواضع ولين الجانب من الاساتذة للطلبة ، والطريقة الشائعة فى الدرس هى :

ان يبدا الاستاذ بعرض رايه فى المسائل على طلبته ، ويقرا الطلاب دروسهم بعده من الكتاب المقرر بحضور الاستاذ ، ثم يطلب من كل منهم توضيح ما اشكل عليه ، واثناء ذلك يقيد الطلبة التفاسير التى يعطيها الاستاذ كجواب على استفساراتهم (٣)، ومن هنا كان الاساتذة يختارون العبارات المبسطة اثناء الشرح ، لكى يتمكن طلابهم من استيعاب مايقولون .

---

(١) احمد بابا : نيل الابتهاج ص ٣٤١-٣٤٢ المصدر السابق ، السعدى : ص ١٦، ٢٧، ٤٥، ٥٦ المصدر السابق ، عصمت عبد اللطيف دندس : المرجع السابق ، ص ١٦٢ .

(٢) ولاتزال هذه الظاهرة هى المعمول بها فى المغرب العربى والسودان الغربى منذ زمن بعيد . ابن بطوطة ص ٦٧٣ المصدر السابق .

(٣) محمود كعت : ص ٤٨، ٥٣ المصدر السابق ، السعدى : ص ٣٨، ٤٢ المصدر السابق ، المجلة التاريخية المغربية ، عدد ٧-٨ ، ص ٣٥ ،

Cheik Anta Diop. op. cit. p. 131 ,

المواد الدراسية والمقررات في مدارس منغاى في فترة البحث:

تعرّض لذكر المواد الدراسية في مراحل التعليم المختلفة في منغاى اكثر من باحث وكاتب بشكل ظاهر دون الغوص في التفاصيل وبنوا افكارهم على ماذكره الفع محمود كعت(١)، اثناء تحدثه عن بعض العلماء وحدد ميادين اختصاصاتهم المهمة في المواد التي كانوا يدرسونها (٢)، وبعضهم اورد ماذكره احمد بابا (٣)، عندما تحدث عن بعض الاساتذة والمواد التي كانوا يدرسونها ومادرسه بنفسه عند بعضهم ، وكذلك السعدى(٤)بنفس الطريقة (٥)، ووقف الامر حيث وقفوا حتى صار بعض المؤرخين يشكون من صحة ذلك .

ومن المقررات المشهورة التي كانت تدرس في تلك الفترة كمقررات دراسية في المدارس والمساجد والمجالس ، المقررات التي اوردها الباحثون والتي ذكرتها المصادر التي تتوفر بين ايدينا حتى الآن ، وهي :

القرآن الكريم ، تفسيرا ، وتجويدا ، وقراءات ، وعلم الخط ، والحديث وعلومه ، والفقه واصوله ، والتوحيد ، واللغة ، وفقه اللغة ، والنحو ، والصرف ، والادب ، والبلاغة والعروض ، وعلم الفرائض ، والسيرة النبوية ، والتاريخ ، والجغرافيا ، والفلك ، والطب ، والمنطق ، والفلسفة ،

---

(١) انظر الصفحات التالية : ٢٤، ٦٥.

(٢) Paul Marty. op. cit. p. 89 .

(٣) انظر ص ٢٩ .

(٤) انظر ص ١٤ .

(٥) Cheik Anta Diop. op. cit. p. 133 ,

والحساب ، والهندسة ، والكيمياء (١).

كانت هذه اشهر المواد الدراسية التى كانت تتناولها الدراسة فى تلك الفترة ، وهذا لايعنى ان الأمر كان مقصورا

---

(١) الفع محمود كعت : المصدر السابق ، ص ٩٠، ٩٤ ، احمد بابا : نيل الابتهاج ، المصدر السابق ، ص ١٤١ ، السعدى : المصدر السابق ، ص ١٦، ٢٠ ، مجلة المؤرخ العربى ، عدد ١٤ ، ص ٢١٦ ، عبد القادر زبادية : المرجع السابق ، ص ١٢٤، ١٢٥ ، عبده بدوى : المرجع السابق ، ص ١٥٩ ، آدم عبد الله الالورى : الاسلام فى نيجيريا ، المرجع السابق ، ص ٥٢، ٥٥ ، نعيم قداح : افريقيا ، المرجع السابق ، ص ١٤٤، ١٤٥ ، شوقى عطا الله الجمل : المرجع السابق ، ص ١٥٥ ، محيى الدين صابر : المرجع السابق ، ص ٢١٩-٢٢٠ ، دراسات افريقية عدد ٣ ، ص ٣٠، ٣٤ ، ابو بكر على : المرجع السابق ، ص ٤٦ ، تاريخ افريقيا العام ، ج٤ ، ص ٢٢٠ ، المرجع السابق ، عصمت عبد اللطيف دندش ، المرجع السابق ، ص ١٦٥ ، نعيم قداح : حضارة ، المرجع السابق ، ص ١٦١ المجلة التاريخية المغربية ، عدد ٧-٨ ، ص ٣٣ ،

Felix Dubois. op. cit. p. 322-324 ,

Joseph Cuog. op. cit. p. 209,217 ,

Berand Villars . op. cit. p. xxx ,

Trimingham. op. cit. p. 104 .

Paul Marty. op. cit. p. 86 ,

Terry Alford : Prince Among Sloves. p. 13 .

Cheik Anta Diop. op. cit. p. 132 .

Zakari Daramani I. op. cit. p. 251 .

على هذه المواد ، وانما لم نذكر هنا الا المواد المشهورة ، وان كان ذلك لاينفى وجود مواد اخرى غير ماذكرنا هنا .

فالكتب التى كانت متداولة بين الطلاب والتى كانت بمثابة المقررات الدراسية فى صنغاى والمراكز الثقافية فى المغرب والمشرق الاسلاميين من ناحية ، تعطينا فكرة واضحة عن مدى ماوصل اليه علماء صنغاى فى المستوى الثقافى من حيث النوعية والكيفية ، لأن الكتب التى كانت متداولة للتدريس ، هى نفس الكتب التى كانت تدرس فى المغرب الاقصى(١)، "وكادت مدارس صنغاى أن تكون مغربية بحتة ، كانها فى فاس او مراكش او القيروان ، نفس الاسلوب ونفس الحياة العلمية ، ونفس المثل ونفس الوسائل حتى طريقة الكتابة نفسها تاثرت بالطابع المغربى"(٢).

والمناهج والكتب المتداولة فى المناهج المغربية هى التى كانت تدرس فى مدارس تمبكتو ، وجنى ، وكانو ، وكاتسينا ، وبرنو ، وغاو ، وغيرها(٣) .

ويمكن القول بان بعض المؤلفات المغربية عرفت فى تمبكتو فى تلك الفترة ولم تعرف فى المشرق ، والتى كانت من بين المصنفات التى كان يتناولها المدرسون بالشرح لطلابهم فى مساجد تمبكتو ، فى حين كانت كتب المشارقة عرفت كلها

---

(١) احمد بابا : نيل الابتهاج ، ص ٣٤١-٣٤٢ المصدر السابق امين عوض الله : المرجع السابق ، ص ١٧٧،١٩٦،١٩٧ .

(٢) السعدى : ص ٣٦-٥٦ المصدر السابق ، حسن أحمد محمود : المرجع السابق ، ص ٢٤٤ ، المجلة التاريخية المصرية ، عدد ٢٠ ، ص ١٠١ .

(٣) السعدى : ص ٢٩-٣٧ المصدر السابق ، حسن احمد محمود : المرجع السابق ، ص ٢٤٤ .

سواء في المغرب او في السودان الغربي(١)كانت من بين اهم واشهر الكتب التي ورد تناولها في المناهج الدراسية او لدى اوساط الناس في منغاي(٢)في فترة البحث . انظر الملحق في نهاية البحث .

---

(١) مثل كتاب جامع المعيار للونشريسي ، وارجوزة المغيلي في المنطق .
احمد بابا : نيل الابتهاج ص ٣٣٠ المصدر السابق ، نعيم قداح : افريقيا الغربية في ظل الاسلام ، المرجع السابق ص ١٤٥ ، حسن احمد محمود ، المرجع السابق ، ص ٢٤٩ ، المجلة التاريخية المغربية عدد ٧-٨ ، ص ٣٣ .

(٢) احمد بابا : نيل الابتهاج ، المصدر السابق ، ص ٣٤١ ، حسن احمد محمود : المرجع السابق ، ص ٢٤٩،٢٤٤ ، نعيم قداح : افريقيا ، المرجع السابق ، ص ١٤٥ ، امين عوض الله : المرجع السابق ، ص ١٩٧،١٩٦،١٧٧ ، دراسات افريقية عدد ٣ ، ص ٣٤،٣١ ، المجلة التاريخية المغربية ، عدد ٧-٨ ، ص ٣٣ ، المجلة التاريخية المصرية ، عدد ٢٠ ، ص ١٠١ .

(٨) **الاجازات العلمية في منغاى فى فترة البحث :**

من اهم ملامح الحياة العلمية فى منغاى خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين ، نظام الاجازات العلمية التى كانت تتم بين المدرسين والطلاب . وقد كشفت هذه الاجازات مدى عمق ارتباط الطلاب بالعلماء والعلاقات المميزة التى يجرى بها العمل اثناء التدريس والمدة التى كان يقضيها بعض الطلاب فى حلقات العلم ، والدراسة ، والتتبع المستمر لسلوك الطلاب ، والوقوف على مدى تحصيلهم العلمى كان من ضمن اهتمامات الاساتذة المربين .

فقد عرف المدرسون والطلاب فى منغاى فى تلك الفترة نظام الشهادات ، كما عرفته البلاد الاسلامية الاخرى ، وكان الاساتذة يمنحون الاجازات العلمية لبعض الطلاب بعد التاكد من تمكنهم من المواد التى يدرسونها لهم (١)، فقد حرص هؤلاء الاساتذة كل الحرص فى العبارات التى كانوا يكتبون بها الاجازات للطلاب ، بحيث ينحصر محتواها فى نطاق المعلومات التى يتقنها الأستاذ المدرس ولايتجاوزها لغيرها (٢)، ومعظم الاجازات التى كانت تعطى كانت فردية ان لم تكن كلها ، بحيث تتضمن الاجازة التى تعطى من الأستاذ لطالبه بالمواد التى يتقنها ذلك الاستاذ ويقوم بتدريسها عندما يكون الطالب قد اطلع على معظم المؤلفات فى تلك الموضوعات ، واجاد تحصيل

---

(١) احمد بابا : نيل الابتهاج ص ٣٤٢ المصدر السابق .
، Cheik Ana Diop. op. cit. p. 133 .
المجلة التاريخية المغربية ، عدد ٧-٨ ، ص ٣٦ .

(٢) السعدى : ص ٢٠-٦٠ ومابعدها ، المصدر السابق ، مجلة المؤرخ العربى ، عدد ١٤ ، ص ٢٢٤ .

المعلومات الموجودة بها (١).

اما طريقة الاجازة فكانت بسيطة ولكنها دقيقة لتتلاءم مع الطريقة التي تعتمد على تاكد الأستاذ بان الطالب قد احرز التمكن الكافي في مادة بعينها ، واطمان الأستاذ على مدى الكفاءة التي يكون الطالب قد حصل عليها (٢).

ومن هنا كان الطلبة الذين لازموا مجلس الأستاذ لفترة طويلة ، واصبحوا حجة في المواد التي يدرسها استاذهم ، هم الذين تعطى لهم الاجازة في تلك المواد ، وبعض الذين اعطيت لهم شهادات علمية ، كانوا قد بلغوا درجة كبيرة من الفهم والتحصيل والتمكن (٣).

لقد وضح لنا أحمد بابا عن أستاذه الذى أجازه بخط يده حيث قال : "لازمته اكثر من عشر سنين فقرات عليه بلفظى مختصر خليل (٤)، وفرعى ابن الحاجب (٥) قراءة بحث وتحقيق وتحرير ختمتها عليه ... وحضرت عليه التوضيح (٦) كذلك ..

---

(١) السعدى : ص ٤٦ المصدر السابق ، المجلة التاريخية المغربية ، عدد ٧-٨ ، ص ٣٦ .

(٢) احمد بابا : نيل الابتهاج ص ٣٤٢ ، المصدر السابق .
Felix Bubois. op. cit. p. 324 .
مجلة المؤرخ العربي ، عدد ١٤ ، ص ٢٢٢ .

(٣) احمد بابا : نيل الابتهاج ص ٣٤١-٣٤٢ المصدر السابق .

(٤) انظر ص ١٣٧.

(٥) انظر ص ١٦٢ .

(٦) واسم الكتاب بالكامل هو : التوضيح فى الجمع بين المقنع والتنقيح ، لأحمد الشويكى .

وختمت عليه الموطا (١) قراءة تفهّم، وحضرته كثيرا فى المنتقى (٢)، والمدونة (٣)، والفية العراقى (٤) فى علم الحديث مع شرحها ... وختمت عليه تلخيص المفتاح بمختصر السعد (٥)، وصغرى السنوسى (٦) مع شرح الجزيرى (٧)، وحضرت عليه الكبرى (٨)

---

(١) انظر ص ٦٦٢.

(٢) وهو شرح موطا امام دار الهجرة مالك بن انس رضى الله عنه للقاضى ابى الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن ايوب ابن وارث الباجي الاندلسى، من اعيان الطبقة العاشرة من علماء السادة المالكية المولود سنة ٤٠٣هـ، المتوفى ٤٩٤هـ رحمه الله ورضى عنه .

(٣) انظر ص ١٣٥.

(٤) فى مصطلح الحديث لعبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن ابى بكر بن ابراهيم العراقى ٧٢٥-٨٠٦هـ، ويسمى الكتاب ايضا بالتبصرة والتذكرة .
ابن النجار : المرجع السابق، ج٢، ص ٥٠٩ .

(٥) التلخيص للقزوينى والمفتاح للسكاكي، وقد اختصرهما العلامة سعد الدين التفتازانى . معظم المطبوعات العربية والمعربة، ج١، ص ٦٣٥-٦٣٨، ج٢، ص ١٥٠٩-١٥١٠، مطبعة سركيس بمصر ١٣٤٦هـ/١٩٢٨م .

(٦) نسبه الى عبد الله محمد بن يوسف الحسنى السنوسى به عرف التلمسانى ت ٨٩٥هـ، محمد بن محمد مخلوف : المرجع السابق، ص ٢٦٦ .

(٧) ولم اقف على ترجمة الجزيرى بعد .

(٨) كلاهما فى التوحيد والعقائد .

وشرحها ، وقرأت عليه حكم ابن عطاء الله (١)مع شرح زروق (٢) عليه ، ونظم ابن مقرع (٣)والهاشمية فى التنجيم (٤)مع شرحها ومقدمة التاجورى (٥)فيه ، ورجز المغيلى (٦)فى المنطق والخزرجية (٧)فى العروض بشرح الشريف (٨)، وكثيرا من تحفة

---

(١) نسبة الى عبد الكريم بن عطاء الله الاسكندرى .

(٢) هو احمد بن احمد بن محمد بن عيسى البرنسى الفاسى ٨٤٦-٨٩٩هـ .
احمد بابا : نيل الابتهاج ص ٣٤٢ المصدر السابق ، محمد ابن محمد مخلوف : شجرة النور ص ٢٦٧ رقم ٩٨٨ المرجع السابق ، الزركلى : الأعلام ، ج١ ، ص ٩١ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، الطبعة السادسة ، تشرين الثانى – نوفمبر ١٩٨٤م .

(٣) او ابو مقرعة ، هو ابو محمد القاسم بن فيره بن ابى القاسم خلف بن احمد الرعينى الشاطبى : وفيات الأعيان ج٤ ، ص ٧١ ، طبقات الشافعية ، ج٤ ، ص ٢٩٧ ، غاية النهاية ، ج٢ ، ص ٢٠ ، نيل الابتهاج ، ص ٣٤٢ ، الفكر السامى ، ج٢ ، ص ٢٢٨ ، شجرة النور الزكية ،ص ١٥٩ ، رقم ٤٩١ .

(٤) ولم اقف على هذا الكتاب وكذلك مؤلفه بعد .

(٥) انظر ص

(٦) احمد بابا : نيل الابتهاج ص ٣٤٠ المصدر السابق .

(٧) نسبة الى ابن عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن عبد الحق الخزرجى . البرتلى : المرجع السابق ، ص ١٩٥ .

(٨) الشريف السبتى . البرتلى : المرجع السابق ، ص ٣٢ .

الحكام لابن عاصم (١) فى الأحكام مع شرح ولده (٢) عليها ، وسمعت بقراءته هو كثيرا من البخارى (٣)، ومسلم (٤) كله ، ودولا من مدخل ابن الحاج (٥)، ودروسا من الرسالة (٦)، والألفية (٧) وغيرهما وجامع المعيار للونشريسى (٨) كاملا ... وباحثته كثيرا فى المشكلات ، وراجعته طويلا فى المهمات ، وبالجملة فهو شيخى واستاذى ... واجازنى فى جميع مايجوز له وعنه ،

---

(١) هو قاضى الجماعة ابو بكر محمد بن محمد بن عاصم الغرناطى ٨٢٩هـ ، محمد بن محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص ٢٤٧ .

(٢) هو كذلك قاضى الجماعة ابو يحيى محمد بن ابى محمد بن عاصم ، كان بالحياة سنة ٨٥٧هـ . محمد بن محمد بن مخلوف : المرجع السابق ، ص ٢٤٨ .

(٣) انظر ص ٩٢ .

(٤) انظر ص ١٥٠ .

(٥) هو ابو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدلى ت ٧٣٧هـ ، من كتابه المدخل ، ج١ ، ص ٢ ، طبع دار الحديث ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

(٦) لأبى زيد القيروانى ، فى الفقه المالكى .

(٧) لابن مالك فى النحو .

(٨) هو ابو العباس احمد بن يحيى الونشريسى التلمسانى ثم الفاسى ، حامل لواء المذهب فى زمنه ، ت ٩١٤هـ .
وجامع المعيار هو كتاب الفتاوى والتراجم لعلماء المالكية .
محمد بن محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص ٢٧٤ .

وكتب لي بخطه في ذلك"(١)، وهذا من اروع الأمثلة في هذا الباب وامثاله كثير(٢).

ومن ناحية اخرى حمل معظم علماء منغاى الذين رحلوا الى المغرب او مشرق العالم الاسلامى ، إمّا لطلب العلم او لغرض الحج والزيارة ، فالتقوا بمشاهير علماء الأمصار ، وجلسوا في مجالس العلم وحضروا مناقشات علمية ومناظرات مما جعلهم يرجعون الى بلادهم ومعهم اجازات علمية ، مما يدل على اعتراف علماء الأمصار الاسلامية بهم اعترافا واسع النطاق بكفاءة علماء منغاى وتحصيلهم الكبير لفنون العلوم المختلفة (٣).

---

(١) احمد بابا : نيل الابتهاج ، المصدر السابق ، ص ٣٤١ ، عبد القادر زبادية : المرجع السابق ، ص ١٤٧ ، مجلة المؤرخ العربى ، عدد ١٤ ، ص ٢٢٣ .

(٢) ذكر احمد بابا في بعض كتبه ـ نيل الابتهاج ، وكفاية المحتاج ـ كثيرا من هذا النوع ، وكذلك السعدى في كتابه تاريخ السودان وغيرهما .
واكثر الطلبة السودانيين الذين رحلوا الى طلب العلم رجعوا ومعهم اجازات علمية من علماء الأمصار الاسلامية ، وفضلا من الذين درسوا في منغاى ولم يسافروا حمل معظمهم على هذه الاجازات العلمية ، سواء من العلماء الذين يدرسون في منغاى ، او الذين في خارج منغاى .
السعدى : المصدر السابق ، ص ٤٠-٤٣ ، عبد القادر زبادية : المرجع السابق ، ص ١٤٧-١٥٠ .

(٣) من أشهر هؤلاء العلماء : احمد بن احمد بن عمر آقيت ، ارتحل لطلب العلم ولقي جماعة من العلماء كالناصر =

....

= اللقانى ، والشريف يوسف الأرميوطى ، وجمال الدين ابن الشيخ زكرياء ، والشيخ التاجورى ، والأجهورى ، فى مصر .

وفى مكة وطيبة : امين الدين الميمونى ، وابن حجر المكى ، والملائى ، وبركات الخطاب ، وعبد العزيز اللمطى ، وعبد المعطى السخاوى ، وعبد القادر السخاوى وعبد القادر الفاكهانى ، وابو المكارم محمد البكرى ، وغيرهم واجازه معظم هؤلاء .

* العاقب بن محمود بن عمر ، رحل لطلب العلم ولقى العلماء واجازه بعضهم .

* محمد بن احمد التازختى : اجازه علماء من مكة منهم ابو البركات النويرى ، وابن عمه عبد القادر ، وعلى ابن ناصر الحُجازى ، وابو الطيب البستى وغيرهم .

* ابو العباس احمد بابا : ومن اشهر اساتذته الذين كتبوا له الاجازات العلمية احمد بن احمد بن عمر ، العاقب بن محمد بن عمر ، محمد بن محمود بن ابى بكر الونكرى ، يحيى بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن الحطاب المكى مكاتبة .

احمد بابا : نيل الابتهاج ، المصدر السابق ، ص ٩٣،٩٤، ١١٥،٢١٨،٢٣٥،٢٣٧،٢٤١،٣٦٠ ، السعدى : المصدر السابق ، ص ٤٠-٤٣ ، عبد القادر زبادية : المرجع السابق ، ص ١٤٧-١٥٠ ، مجلة المؤرخ العربى عدد ١٤ ، ص ٢٢٢-٢٢٤.

الفصل الرابع

حركة التصنيف في صنعاء في فترة البحث

(أ) العلوم الشرعية :

(١) القراءات والتفسير

(٢) الحديث وعلومه

(٣) الفقه واصوله

(ب) العلوم اللغوية :

(١) علم النحو

(٢) الادب والشعر

(ج) العلوم الاجتماعية :

(١) علم التاريخ والتراجم

(٢) علم الكلام

(٣) علم الاجتماع

(د) العلوم التجريبية :

(١) الطب والصيدلة

(٢) ممارسة مهنة الطب

(٣) علم الفلك والرياضيات

حركة التصنيف في صنغاى فى فترة البحث

يمكن القول هنا بان الحركة السياسية والاقتصادية نالت قسطا كبيرا لدى معظم الباحثين فى تاريخ السودان الغربى ، وغفلوا تماما عن الحركة الثقافية بادعاء انها معدومة ، او تعرض البعض بالحديث عنها حديثا موجزا اعتقادا بانها "غير ذات شان اصلا"(١)، وتجاهلوا عمدا دور الدعاة المسلمين الذين وصلوا الى هذه المنطقة ، ومابذلوه من جهد ، فضلا عن دور السلطات القائمة فيها ، وماقدموه للدعاة الافاضل من دعم مادى ومعنوى .

ويرجع السبب فى ذلك كله الى الخوف من الاعتراف بدور الاسلام ، ومانالــه من قبول لدى سكان المنطقة ، وماقدمه من حضارة راسخة وثابتة منذ ان وصل اليها فى وقت مبكر ، وسلكوا فى سبيل ذلك طرق التمويه والتشويه لصورة الاسلام فى كل انحاء العالم الاسلامى بصفة عامة ، وفى افريقيا السوداء بصفة خاصة ، ورموه مرة بالتاخر واخرى بالجمود .

ولكننى لاارى ماادعوه باى وجه كان ، فلو نظرنا الى دولة اسلامية بحتة كدولة صنغاى وبحكم موقعها النائى عن قلب العالم الاسلامى ، ومايحيط بها من بيئات غير اسلامية ، لراينا انه لاوجود للانكار او حتى التقليل من مدى ماحققته من ازدهار فى الحركة الثقافية فيها ، واهميتها حيث ان "الاساكى فى صنغاى رحبوا بالحركة العلمية وشجعوها واحترموا العلماء والفقهاء ، واسقطوا عنهم متطلبات السلطنة

---

(١) كما ذكر صاحب تاريخ افريقيا العام بذلك . انظر ج٤ ، ص ٢٩١ ، مرجع سابق .

وغراماتها ومنعوا عنهم اى ظلم (١)بحيث كان للاسكيا (٢)وحده حق النظر فى اية شكوى ضد اى عالم او فقيه "(٣)، وكذلك حذر كل من تعرض لهم بظلم او سوء من ذريته بسوء العاقبة . ووقد اباح لهم وذرياتهم ان يتزوجوا من شاءوا من مملكته كلها من كنت الى شبردك" ، وكانت النتيجة ان اتسع افق التفكير الاسلامى فى عهدهم وارتفع عدد المدارس والمدرسين وكثر العلماء والطلاب ونضج مستوى التعليم واعطى ثماره منذ القرن التاسع الهجرى ، الخامس عشر الميلادى(٤)ووفد اليها علماء بارزون فى الفكر الاسلامى ، ذوو تخصصات متعددة فى جميع الفنون واستوطنوها ، كما برز فيها علماء محليون ، لهم مكانتهم العلمية شاركوا اساتذتهم برفع المستوى الثقافى فيها بالتاليف والشرح والتعليق ، واضافوا اضافات حقيقية مهمة فى الكتب التى درسوها وساهموا فى اثراء مكتبات العالم الاسلامى بمؤلفاتهم (٥)، "سواء كتبت باللغة العربية أو باللغات الافريقية بالحرف العربى"(٦)،والتى يتمثل فيها اهم تراثهم الفكرى .

وقد بذل بعض المؤلفين والمتخصصين فى فترة مابعد انهيار دولة صنغاى جهدا للتقليل من قيمة واهمية الانتاج

---

(١) حرر حكام الأساكى وثائق متعددة فى هذا الغرض . الضع محمود كعت : المصدر السابق ، ص ٧٢ .

(٢) اى السلطان .

(٣) المصدر السابق ص٧٣،محمد الغربى : المرجع السابق،ص٥١٤

(٤) J.S. Triming ham .. op. cit. p. 60 .

(٥) المنظمة العربية : ندوة العلماء الأفارقة ومساهماتهم فى الحضارة العربية الاسلامية ، الخرطوم ، ص ١٤٨-١٥٤ ، ١٩٨٣م .

(٦) محيى الدين صابر : المرجع السابق ، ص ٩٣ .

الثقافى فيها قبل الغزو المغربى عام ١٥٩١م ، بهدف ابراز اثر حكم المغرب المباشر على التطور الفكرى والحضارى فى المنطقة ، الا ان بعضهم كان يضطر احيانا للاعتراف باهمية حركة التصنيف والتاليف وازدهارها فى صنغاى قبل الغزو المغربى لها .

لقد اورد صاحب بداية الحكم المغربى فى السودان الغربى(١)، تراجم بعض علماء السودان الغربى فى بداية العهد المغربى للبرهنة على استمرارية النهضة العلمية ، وابرازا للاهمية التى اصبحت للثقافة الاسلامية بتلك البلاد(٢) واما صاحب مملكة صنغاى(٣)، فقد حسم الامر حيث قال : "ان صنغاى مرت بطور الاخذ فى ميدان المعارف المدة الاولى فقط التى استمرت طيلة عهد الاسكيا محمد الاول(٤)، وعهد ابنه موسى(٥)، ثم دخلت فى طور الانتاج والتبادل الثقافى منذ سنة ١٥٣٠م ، واستمرت حتى بداية العهد المغربى سنة ٩٩٩هـ/١٥٩١م ففى خلال هذه الفترة الفت عدة شروح فى الفقه ، والمنطق ، والعروض ، والنحو ، والتاريخ وغيرها الفها علماء سودانيون"(٦).

---

(١) انظر ص ٢٣.

(٢) محمد الغربى : المرجع السابق ، ص ٥١٤ .

(٣) انظر ص٣٤.

(٤) حكم فيما بين ١٤٩٣-١٥٢٨م ، قد سبقت الاشارة اليه سابقا فى مواضع كثيرة ص ٣٩،

(٥) حكم بعد ابيه فيما بين ١٥٢٨-١٥٣١م .

(٦) عبد القادر زبادية : المرجع السابق ، ص ١٣٧ ، محيى الدين صابر : المرجع السابق ، ص ٩٣ .

واما الأوربيون فقد ذهلوا حين قابلوا افريقيين لهم اهتمامات بالدراسات العقلية والفلسفة ، وان بارث(١)

---

(١) وهو عالم المانى وكان من الرحالة الذين زاروا القارة الافريقية وكتبوا عنها ، قام بزيارة منطقة السودان الغربى ، وبلاد الحوصا فى فترة مابين ١٨٥٣-١٨٥٤م قادما من الجزائر ، وكتب كل ماأشار انطباعه ، ولأمير آهير رسالة الى امير دورى فى بلاد الحوصا للتوصية بهذا الرحالة بارث Barth الذى يسمى "عبد الكريم" فى هذه الرسالة . ونصها :

"بسم الله الرحمن الرحيم . صلى الله على النبى الكريم .

من امير اهير عبد القادر ابن السلطان محمد الباقر الى امير دورى ابن المرحوم امير دورى اسحاق رحم الله السلف وبارك فى الخلف آمين . بازكى التحيات ، واسنى التسليمات اليك . وبعد فلباعث ... قادم الينا والى امير المؤمنين اسمه عبد الكريم منى اليك أن تحفظه وتكرمه لئلا يؤذيه احد باذية من المحاربين والظالمين ماله وعرضه حتى يصل الى امير المؤمنين . كتبنا اليك هذا لأجل المحاربين ان تكون حافظا غاية الحفظ والسلام وهو صاحب كتاب :

Travels and Discoveries in North and Central Africa (London 1858) Vol. IV pp.403 and 408 .

وقد ترجم هذا الكتاب الى اللغة الفرنسية .

ابراهيم على طرخان : امبراطورية البرنو الاسلامية ، ص ٢٠٥ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

(Barth) قابل عالما من قبائل الفولة (١) كانت عنده ترجمة لبعض تعاليم افلاطون وارسطو (٢).

وما يمكن التنبه اليه هنا أن طريقة الاختصاص لم يكن معمولا بها في تلك الفترة في منفاى ، وانما طريقة الموسوعة (٣) كانت هي السائدة فيها وجارية الاستعمال لدى العلماء في التدريس والتاليف ، والشرح ، والتعاليق كما سبقت الاشارة الى ذلك .

وسنورد فيما ياتي ما امكن الوقوف عليه من مشاهير هؤلاء العلماء وماضلعوا فيه من مواد سواء في التدريس او التاليف ما امكن ذلك .

---

(١) انظر ص ١٦ .

(٢) شوقي عطا الله الجمل ، مجلة المناهل عدد ٧ ، سنة ٤ نوفمبر ١٩٧٦م ، ص ١٥٥ ، شوقي الجمل : تاريخ كشف افريقيا واستعمارها ، ص ٤٩٨ .

(٣) هو جمع عدة فنون من فنون العلم في آن واحد ، أو العكس باختصاص فن واحد .

(أ) العلوم الشرعية .

* القراءات والتفسير :

لما كان القرآن الكريم هو مصدر العقيدة والمعرفةلدى المسلمين حرصوا على مداومة قراءته ليلا ونهارا صغارا وكبارا وخاصة ان تعليمه من احسن القربات التى يتقرب بها الفرد المسلم الى الله تعالى لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : "خيركم من تعلم القرآن وعلمه"(١)، ولذا اهتم علماء المسلمين بقراءته حتى اصبح علم القراءات علما مهما بين علوم القرآن خاصة والدراسات الشرعية عامة (٢).

نشطت علوم القراءات فى صنغاى وظهر عدد من علمائها كان لهم الفضل بعد الله والشهرة فى انتشارها :

* فكان من مشاهير القراء سيدى ابن عبد المولى الجلالى(٣)، حامل لواء فن القراءات فى زمانه ومدرسها وخاصة روايتى ورش وقالون (٤).

* من مشاهير القراء ايضا ابو عبد الله محمد بابا بن

---

(١) البخارى : فتح البارى ، ج٩ ، ص ٧٤ ، حديث رقم ٥٠٢٧ ، رواه الامام البخارى فى صحيحه .

(٢) مريزن عسيرى : الحياة العلمية فى العراق فى العصر السلجوقى ، ص ٣١٥ ، مكتبة الطالب الجامعى ، مكة المكرمة .

(٣) الجلال . عند صاحب فتح الشكور فى معرفة اعيان علماء التكرور ، ص ١١١ .

(٤) السعدى : المصدر السابق ، ص ٢١٨ .

محمد الامين بن حبيب ٩٨١ ـ ١٠١٤هـ(١) البارع فى كثير من الفنون منها القراءات ، وكان من ابرز طلاب سيدى عبد المولى الجلالى المتقدم ذكره ، واخذ عنه روايتى ورش وقالون دراية وبرع فيهما (٢).

* ومن مشاهير القراء محمد بابا قستر بن الفقيه اندغمحمد ت ١٠٠٢هـ المعروف بالمصلى بمدينة جنى ، كان فقيها عالما جليلا مقرئا بارعا فى القراءات وكان الفقيه عبد الله بن احمد برى يستمع لقراءاته خارج الدار حيث كان فى تمبكتو (٣).

ومنهم سيدى عبد الرحمن بن الفقيه القاضى سيد على بن عبد الرحمن الانصارى المسنانى ت ١٠٠٨هـ ، كان فقيها مؤدبا زاهدا مقرئا ، واشتهر بذلك ودفن فى مقابر الجامع الكبير بتمبكتو (٤).

كما برز من القراء عبد الله بن أحمد برى بن أحمد الفقيه اندغ محمد الجد ت ١٠١٠هـ ، برع فى الفنون وكان فقيها متفننا فى زمنه متواضعا قارئا اشتهر فى زمنه بعلم

---

(١) السعدى : ص ٢١٧ المصدر السابق ، المنظمة العربية للتربية والفنون : ندوة العلماء الافارقة ومساهماتهم فى الحضارة العربية الاسلامية ، ص ١٥٠ .

(٢) السعدى : المصدر السابق ، ص ٢١٧ ، البرتلى : المرجع السابق ، ص ١١١ .

(٣) السعدى : المصدر السابق ، ص ٢١٢ .

(٤) المصدر السابق ص ٢٤٠، ٢٥٠ .

القراءة والتوثيق ، بالاضافة الى النحو ، واللغة والفتوى(١).

ومن مشاهير القراء البارزين ايضا الفقيه ابراهيم الزلفى(٢)، المقرىء عالم التجويد ، كان من اشهر المدرسين فى مدرسة الفقيه ابى القاسم التواتى الواقعة قبالة المسجد الجامع فى تمبكتو(٣)، كما سبقت الاشارة الى ذلك ص ١٤٨.

ومن شيوخ القراء فى سنكورى الفقيه احمد بن الفقيه ابراهيم(٤).

واما فى مجال التفسير فقد برز علماء أجلاء خلال فترة البحث كان لهم دورهم فى ابراز هذا الفن .

وكان من مشاهير المفسرين فى صنغاى الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلى ت ٩٠٩هـ(٥)، وقد برز فى علوم كثيرة منها التفسير ، وقد تخرج على يده كوادر من علماء صنغاى وغيرها وقد الف كثيرا فى جميع الفنون منها البدر المنير فى علوم

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢١٨،٣٠ ، البرتلى : فتح الشكور ، المرجع السابق ، ص ١٥٨ .

(٢) ذكره البرتلى فى كتابه : فتح الشكور لمعرفة اعيان علماء التكرور ، ولم يذكر تاريخ وفاته ، ص ٧١ .

(٣) السعدى : المصدر السابق ، ص ٥٨ ، البرتلى : المرجع السابق ، ص ٧١ .

(٤) السعدى : المصدر السابق ، ص ٣٦ ، البرتلى : المرجع السابق ، ص ٣٩ .

(٥) احمد بابا : نيل الابتهاج ص ٣٣٠ ، المصدر السابق ، يوسف فضل حسن : المنظمة العربية للتربية والعلوم ، المرجع السابق ، ص ١٤٨ .

التفسير ، وتفسير فاتحة الكتاب(١)وغيرهما .

كما برز من العلماء المفسرين عبد الرحمن بن على بن احمد القمرى ثم الفاسى السفيانى ٩٥٦هـ ، الذى وصل الى بلاد السودان الغربى ، ومكث بها للتدريس وخاصة فى مدينة كانو ، واشتهر ببراعته فى فن التفسير ، اضافة الى علوم الحديث مع رواية الكتب الستة (٢)، قيد كثيرا من الفوائد فى مختلف الفنون (٣).

ومن العلماء البارزين فى التفسير احمد بن محمد بن عثمان بن عبد الله التمبكتى ، من اهل سنكورى كان عالما فقيها متقنا ومتفننا فى التفسير اضافة الى علوم أخرى ، وكان من كبار المفسرين والمدرسين فى سنكورى(٤).

كما كان من مفسرى العصر ومدرسيه شيخ الشيوخ محمد بن محمود بن ابى بكر الونكرى ت ١٠٠٢هـ ، من خيار الصالحين والعلماء العاملين ، محبا للعلم وملازما تعليمه ودرسه صرف

---

(١) ابن مريم : البستان فى ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ص ٢٥٤-٢٥٦ .

(٢) المعروفة بالصحاح فى الحديث وهى : صحيح البخارى ، وصحيح مسلم ، وسنن ابى داود ، وسنن ابن ماجه ، وسنن الترمذى ، وسنن النسائى .

(٣) احمد بابا : نيل الابتهاج ، المصدر السابق ، ص ١٧٦ ، كفاية المحتاج ، المصدر السابق ، ص ١٣٣ .

(٤) قد برع فى فنون كثيرة منها : النحو ، واللغة ، والأدب والاشعار ، السعدى : المصدر السابق ، ص ٣٦ ، البرتلى المرجع السابق ، ص ٣٩ .

اكثر وقته خاصة فى التفسير ، ومن ابرز طلابه ابو العباس احمد بابا ، الذى قرا عليه معظم الكتب ومنها كتب التفاسير (١)وغيرها ، كما سبقت الاشارة الى ذلك فى مبحث الاجازات العلمية .

اما العلامة ابو العباس احمد بابا ت ١٠٣٦هـ(٢)، صاحب التصانيف المشهورة فى انواع العلوم فقد كان مبرزا فى التفسير فى عصره اخذ عنه خلق كثير ، من ابرز طلابه الحاج احمد بن الحاج محمد فهدى التواتى ، قال عنه : "لما فتح الله تعالى على بملاقاة عالم الدنيا ومعلمها ، حامل لواء الاحاديث ومفهمها العلامة ابى العباس جعل الله ايامه للخير اسبابا وفتح به الى العلوم ابوابا فلازمت بابه اياما وشهورا واعواما ، فقرات عليه رحمه الله تعالى القرآن العظيم بتفسير ذى الجلالين المحلى والسيوطى فى عامين مرتين قراءة تحقيق وتفهم وتدقيق ، وغيره من الكتب والفنون"(٣).

وبرز من مفسرى تلك الفترة ، سيدى احمد بن آك ، الشيخ ابن الشيخ السوقى رحمهما الله تعالى ، كان بارعا فى الفنون كالتفسير واللغة والحديث ، متفننا فيها وكان من ابرز تلاميذ العلامة المحدث والمفسر سيدى محمد بغيغ الونكرى التمبكتى بعد العلامة احمد بابا المتقدم ذكره آنفا ، واخذ عنه الشيخ احمد علم التفسير اضافة الى علم الحديث وعلم

---

(١) احمد بابا : نيل الابتهاج ، المصدر السابق ، ص ٣٤١ ، البرتلى : المرجع السابق ، ص ٣٢ .

(٢) البرتلى : ص ٣٢ ، المرجع السابق ، ندوة العلماء الافارقة ، المرجع السابق ، ص ١٥٢ .

(٣) البرتلى : فتح الشكور ، المرجع السابق ، ص ٣٠-٣٣ .

الحكم وعلم الأصول والمنطق والبلاغة (١).

الحديث النبوي الشريف وعلومه :

علم الحديث النبوى الشريف من أعظم العلوم الشرعية وأشرفها بعد القرآن الكريم ، وثانى مراتب المعرفة ومصادرها لدى المسلمين ، ومصدره الوحى من الله سبحانه وتعالى لقوله سبحانه : {وماينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى} (٢) ، ومن هنا أصبح جل اهتمام علماء المسلمين مركزا وموجها الى دراسته وتدوينه وتنقيته وتمييز صحيحه من حسنه وضعيفه من غريبه ، حتى تطور علمه وتفرع عنه جملة من العلوم الخاصة بالمصطلح (٣).

وهكذا عنى المسلمون بالحديث النبوى عناية عظيمة ووضعوا له قواعد وضوابط .

وكان فى دولة صنغاى عدد من مشاهير العلماء برعوا فى هذا العلم بالتدريس والتأليف .

ويعتبر الشيخ عبد الله بن أحمد بن سعيد بن يحيى الزمورى (٤) ، من رواد هذا العلم كان فقيها عالما متفننا حافظا مؤرخا ، وكان ممن نزل بمدينة ولاته (٥) ومكث فيها حيث كان يقوم بالتدريس ، واقرأ أهل صنغاى وتخرج على يده كوادر

---

(١) المرجع السابق ، ص ٥٠ .

(٢) سورة النجم : آية ٣

(٣) مريزن عسيرى : المرجع السابق ، ص ٣٢٧ .

(٤) أحمد بابا : نيل الابتهاج ص ١٦١ المصدر السابق ، ندوة العلماء الأفارقة ، المرجع السابق ، ص ١٤٩ .

(٥) انظر ص ٣٧.

من العلماء واجاز كثيرين منهم ، ولقى هنالك فقهاءها فاثنى عليهم بالعلم ، وتلقى العلم على يده علماء اجلاء ، وكان اديبا فيلسوفا من مؤلفاته ، شرحه على كتاب الشفا للقاضى عياض(١)، اعتنى بضبط الفاظه وتحرير لغاته وتعريف رجاله سماه "ايضاح اللبس والخفا عن الفاظ الشفا" ، قال أحمد بابا : رايته فى مجلد كبير بخطه ، وكان حيا سنة ٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م (٢).

اما الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلى(٣)، ت ٩٠٩هـ العالم المدرس والداعى كان من رواد هذا الفن ومدرسيه ومؤلفيه ، ومن مؤلفاته فى هذا المجال ، مفتاح النظر فى علم الحديث ، قال ابن مريم (٤)، وفيه ابحاث مع النووى فى التقريب(٥).

---

(١) وهو القاضى ابى الفضل عياض اليحصبى ت ٥٤٤هـ . الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، دار الفكر ، المقدمة ، ط/الأخيرة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

(٢) احمد بابا : نيل الابتهاج ، المصدر السابق ، ص ١٦١ ، كفاية المحتاج ، المصدر السابق ، ص ١١٣ ، محمد الغربى : المرجع السابق ، ص ٥١٥ ، البرتلى : المرجع السابق ، ص ١١٣ .

(٣) قد سبقت الاشارة اليه سابقا فى مواضع كثيرة ص٢٥، كذلك ندوة العلماء الأفارقة ، المرجع السابق ، ص ١٤٨ .

(٤) مؤلف كتاب البستان فى ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان.

(٥) ابن مريم : البستان فى ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان طبعة ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية ، ص ٢٥٤-٢٥٦ .

ومـن رجـال الحديث فى فترة البحث فى منغاى ، محمد بن احـمد بن ابى محمد التازختى(١) ت ٩٣٦هـ ، كان عالما فقيها محدثا متفننا متقنا قرا فى بلاده على علمائها ثم رحل الى المغـرب والمشرق لطلب العلم فاخذ عن علمائهم علم الحديث ، وسـمع وروى وحـمل وداب حـتى تميز فى فنونه ، وصار فى عداد المحـدثين واجـازه علمـاء مكـة ، واجتهد حتى صار من محصلى العلمـاء بعـد رجوعـه فـنزل ببلـدة كاتسـينا ولـى القضاء والتـدريس فيهـا ، ولقـى سادات العلماء ، وله من المصنفات تقاييد وطرر(٢)على مختصر الشيخ خليل(٣).

ومنهم ايضا العلامة المحدث الفقيه احمد بن الحاج احمد ابـن عمـر بـن مـحـمد آقيـت ت ٩٩١هـ ، كان فصيحا بارعا فى العلـوم وخاصة فى علوم الادب والفقه والحديث ، مادحا لرسول اللـه صلى اللـه عليـه وسـلم ، مدرسا(٤)للصحيحين فى مسجد

---

(١) قد سبقت الاشارة اليها سابقا ص ١٤٠.

(٢) طـرر جـمع ومفرد طر ، وهى الحاشية . المعجم الوسيط ، ص ٥٥٤ .

(٣) احـمد بابا : نيل الابتهاج ، المصدر السابق ، ص ٣٣٥ ، السـعدى : المصـدر السـابق ، ص ٣٩ ، تـاريخ افريقيـا العـام ، ج٤ ، المرجـع السـابق ، ص ٢٩٥ ، احـمد محمد كـانمى : المرجـع السابق ، ص ٤١ ، محمد بلو : المصدر السابق ، ص ٥١ .

(٤) هو الاقراء .

سنكورى فى رجب وشعبان ورمضان نحو خمس وعشرين سنة الف فى الفقه والمنطق وغيرها (١).

واشتهر كذلك الشيخ الأمين بن احمد المجتهد من مواليد تمبكتو ت ١٦٣١م ، وكان ممن اشتهر بالعلم والتدريس فى العلوم والفنون ، وله حظ وافر فى معرفة الصحابة وطرق الأسانيد ، اضافة الى كونه فقيها نحويا وتصريفيا لغويا (٢).

اما العلامة ابو عبد الله محمد بابا بن محمد الأمين بن حبيب ٩٨١-١٠١٤هـ(٣)كان رحمه الله مشاركا فى الفنون ، له محاولة جيدة وعبارة محددة ، برع فى العلم ودرس والف فى معظم الفنون واخذ عن معظم الشيوخ وحضر معظم المجالس وقرا معظم الكتب وخاصة فى حلقات الدرس فى المساجد ، ولى القضاء والاقراء فى مسجد سنكورى وخاصة فى علم الحديث وامهات مصادره ، ومن تواليفه فى الحديث ، تكملة البخارى على اللامية ، وله أيضا حاشية على البخارى ، بالاضافة الى تواليفه فى النحو والأدب(٤)وغيرها ، وقد ذكرناه سابقا فى مبحث التفسير .

ومنهم أيضا ابو حفص القاضى عمر بن القاضى محمود بن عمر ت ١٥٩٤م ، الذى درس فى تمبكتو عن علمائها وجلس للتدريس ثم ولى القضاء والافتاء ، كان رحمه الله فقيها

---

(١) السعدى : المصدر السابق ، ص ٣٣ ، امين عوض الله : المرجع السابق ، ص ٢٠٥ .

(٢) السعدى : ص ٢٤٦-٢٤٧ المصدر السابق ، محمد الغربى : المرجع السابق ، ص ٥٢٦ .

(٣) السعدى : ص ٢١٧ المصدر السابق ، ندوة العلماء الافارقة ، المرجع السابق ، ص ١٥٠ .

(٤) السعدى : المصدر السابق ، ص ٢١٧ ، البرتلى : المرجع السابق ، ص ١١١ .

صالحا بارعا فى علم الحديث والسير اضافة الى التاريخ وايام الناس ، واعترف علماء صنغاى وغيرها بفضله وبراعته فى الفتوى(١)، وقد سبقت الاشارة الى ذلك ،ص٥٥.

ومن رجال علم الحديث الشيخ محمد بن محمود بن ابى بكر الونكرى ٩٣٠-١٠٠٢هـ(٢)، كان رحمه الله بارعا فى معظم العلوم والفنون منها علم الحديث ، اشتهر بقدرته على التدريس وتبحره فى فنون العلم حيث ارتحل لطلب العلم واخذ عن اشهر العلماء وتخصص فى علم الحديث والفقه والبيان والمنطق وغيرها ، وكان الى جانب دروسه مؤلفا ومحشيا على بعض امهات كتب الحديث والفقه ، وحرر عدة فتاوى وقد جمع تلميذه احمد بابا مؤلفاته فى مجموعة مستقلة(٣).

اما الشيخ محمد بن محمد بن ابى بكر التواتى ، كان ممن اخذ علم الحديث عن علماء صنغاى خاصة العلامة محمد بن ابى بكر بغيغ ، واندغ محمد التازختى ، والقلقشندى(٤)، وعن ابن حجر(٥)، وتبحر فى علوم الحديث ومهر فيه وكان له

---

(١) السعدى : المصدر السابق ، ص ٣٤ ، محمد الغربى : المرجع السابق ، ص ٥٢٣ .

(٢) احمد بابا : نيل الابتهاج ص ٣٤١ المصدر السابق ، ندوة العلماء الافارقة ، المرجع السابق ، ص ١٥٠ .

(٣) احمد بابا : نيل الابتهاج ، المصدر السابق ، ص ٣٤١ ، محمد الغربى : المرجع السابق ، ص ٥٢٣ .

(٤) هو ابو العباس احمد بن على القلقشندى ت ٨٢١هـ ، صبح الاعشى فى صناعة الانشا ، المصدر السابق ١/١ .

(٥) هو احمد بن على ابن حجر العسقلانى ٧٧٢-٨٥٢هـ ، فتح البارى فى اول الصفحة ، الجزء الأول .

سند صحيح ورواية ، وسماع صحيح اضافة الى علوم اخرى(١).

ويمكن الاشارة هنا الى الشيخ عبد الرحمن بن على بن احمد القصرى ت ٩٥٦هـ/١٥٤٩م الذى ارتحل الى المشرق هو الآخر لأخذ العلم وخاصة علم الحديث وبرع فيه فحصل له رواية واسعة حيث تصدر علماء فاس وغيرهم فيه .

وقد دخل بلاد السودان الغربى فترة ازدهار هذا الفن فاكب على رواية الحديث واقرائه ، كان رحمه الله يدرس الموطا والكتب الستة المعتمدة فى علم الحديث ، له عدة تاليف فى علم الحديث بالاضافة الى علوم اخرى كالتفسير(٢) والطب وغيرها .

الفقه والأصول :

يعتبر علمى الفقه والأصول اكثر فروع العلم تطورا واوسعها قبولا فى اوساط العلماء والطلاب فى عهد دولة صنغاى سواء فى ميدان التدريس أو التاليف .

كان منبع هذا الفن لأهل صنغاى من علماء المغرب والاندلس ، وآخر رحلتهم لطلبه الى مصر والحجاز لاغير .

واقتصرت على مذهب واحد هو مذهب المالكية غالبا ، قال

---

(١) العباس بن منصور ، الاعلام بمن حل بمراكش ، ج٥ ، ص ١٧٩

(٢) احمد بابا : نيل الابتهاج ، المصدر السابق ، ص ١٧٦ ، كفاية المحتاج ، المصدر السابق ، ص ١٣٣ ، محمد الغربى : المرجع السابق ، ص ٥١٦ .

ابن خلدون ت ٨٠٨هـ(١) : "واما مالك رحمه الله تعالى ت ١٧٩هـ(٢)، فاختص بمذهبه اهل المغرب والاندلس وان كان يوجد في غيرهم الا انهم لم يقلدوا غيره الا فى القليل ... كما ان رحلتهم غالبا الى الحجاز وهو منتهى سفرهم .. واهل المغرب جميعا مقلدون لمالك"(٣)، فاذا كان هذا امر المغاربة فاهل صنغاى صدى لأهل المغرب في هذا الأمر ، ولعدم ظهور مذاهب اخرى فى حلبة المنافسة ، كما ان الجدال والمناظرات والتعصب للمذاهب او المشايخ من شيوخ المذاهب الأخرى كان معدوما تماما فى صنغاى ، وخاصة نقل عن الامام مالك رأيه فى ذلك بقوله : "الجدال فى الدين ليس بشىء"(٤).

ومن هذا المنطلق كان التنافس منحصرا على التوسع والشهرة فى المجالس والمدارس وكثرة الطلبة ، او التوسع فى فنون العلم ، ويمكن القول بانه كان فى صنغاى خلال عهد الأساكي علماء اجلاء فى الفقه واصوله كان لبعضهم ابحاث رائعة ودراسات جليلة فى دراسة الفقه الاسلامى :

---

(١) هو عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمى : المقدمة ، ص ٣-٤ .

(٢) ولد بالمدينة المنورة سنة ٩٣هـ . احمد بابا : نيل الابتهاج ، المصدر السابق ، ص ٢٨،١٨ ، محمد بن محمد مخلوف : المرجع السابق ،ص ٥٥ .

(٣) ابن خلدون : المصدر السابق ، ص ٣٩٢ .

(٤) احياء علوم الدين ، الغزالى ، ج١ ، ص ٤٦ ، دار الفكر الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

منهم الامام العلامة محمد بن عبد الكريم المغيلي ت ٩٠٩هـ/١٥٠٢م المتقدم ذكره امام المحققين تاج الدعاة والمدرسين والرحالة القدوة ، وقد اخذ عنه جماعة من علماء المغرب والسودان الغربي منهم العاقب الانصمني(١)، والفقيه ايد أحمد ، ومحمد بن عبد الجبار الفجيجي وغيرهم(٢).

لم تر بلاد السودان الغربي مثله في العلم والفضل كانت له مكانته في حياة الامة وآثاره قائمة بعده .

ووقعت له امور(٣)مع فقهاء وقته في المغرب ثم رحل الى بلاد السودان الغربي ، ودخل الى بلدة تكده(٤)واجتمع بسلطانها وقرا عليه أهلها ، وانتفعوا به ثم دخل بلاد كاتسينا وكانو(٥)، واجتمع بسلطان كل منهما واستفادوا منه ، وتولى القضاء والتدريس فيها وكتب رسالة لأمير كانو

---

(١) كان حيا في عام الخمسين وتسعمائة . احمد بابا : نيل الابتهاج ، المصدر السابق ، محمد الغربي : المرجع السابق ، ص ٥١٧ .

(٢) ابن مريم : المرجع السابق ، ص ٢٥٦ ، أحمد بابا : نيل الابتهاج ص ٣٣٢ المصدر السابق .

(٣) وخاصة فيما يتعلق باليهود في توات ، ومعاملتهم مع المسلمين .

(٤) هي من مدن السودان الغربي زارها ابن بطوطة ، ووصفها بان ديارها مبنية بالحجارة الحمر وماؤها يجري على معادن النحاس فيتغير لونه وطعمه بذلك ، ولاشغل لأهل تكدة غير التجارة ولهم رفاهية وسعة حال . تحفة النظار ص ٦٧٨ ، المرجع السابق .

(٥) انظر ص ٢٥ .

فـى امـور السـلطنة ، يحضه فيها على اتباع الشرع ، ثم رحل الـى بـلاد التكـرور (١)، فوصل الى غاو (٢)، واجتمع بسلطانها اسكيا محـمد الأول (٣)، وجـرى على طريقته من الأمر بالمعروف والنهـى عـن المنكر ، والف له تاليفا اجابه فيه عن عدد من المسـائل ، وقـد الـف فى فنون شتى واهمها التفسير والحديث والفقـه والمنطـق والأدب وغيرها ، وقد سبقت الاشارة الى ذلك ومن اهم مؤلفاته فى الفقه هى :

مصبـاح الأرواح فى اصول الفلاح كتاب عجيب فى كراسين (٤) قرظـا (٥)علـيـه السنوسى (٦)، وابن غازى (٧)، وشرح مختصر خليل عـلى طريقـة المـزج سـماه مغنـى النبيل ، وحاشية على خليل سـماها اكليل مغنى النبيل ، وقطعة على البيوع سماها مفتاح الكنـوز ، وايضـاح السـبيل فـى بيوع آجال خليل ، وله ايضا تنبيـه الغافلين عن مكر الملبسين بدعوى مقامات العارفين ، وشـرح بيـوع الآجـال من ابن الحاجب ، وتاليف فى المنهيات ،

---

(١) انظر ص ٥٠

(٢) انظر ص ١١٥.

(٣) انظر ص ٣٩ .

(٤) مخـطوط بمكتبـة البحـث العلمـى بجامعة ام القرى بمكة المكرمـة ، رقـم ٤٩ ، مجلـة كليـة الآداب والعلـوم الانسانية بفاس عدد خاص (٥) السنة ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م .

(٥) اشادوا به وامتدحوه .

(٦) قد سبقت الاشارة اليه ص ١٨٨.

(٧) قد سبقت الاشارة اليه ص ١٤٨.

ومختصر تلخيص المفتاح وشرحه (١).

ومن علماء العصر المشهورين سيدى احمد بابا بن الحاج احمد بن الحاج احمد بن عمر الماسنى ت ١٠٣٦هـ رحمهم الله جد واجتهد فى بداية امره فى خدمة العلم حتى فاق جميع معاصريه ولايناظره فى العلم الا اشياخه ، وشهدوا له بالعلم واشتهر فى المغرب امره ، وانتشر ذكره ، وسلم له علماء الامصار فى الفتوى ، وكان وقوفا عند الحق ولو كان من ادنى الناس ولايداهن فيه احدا ولو كان من الأمراء او السلاطين ، وبيته بيت علم وصلاح ، فشا فيهم العلم ، ترجم حياته كثير من المؤرخين ، منهم ابو عبد الله محمد بن يعقوب الادريسى المراكشى(٢)فى فهرسته ، قال : كان اخونا احمد بابا من اهل العلم والفهم والادراك التام الحسن ، حسن التصنيف كامل الحظ من العلوم فقها وحديثا وعربية واصولا وتاريخا محبا للاهتداء لمقاصد العلماء مثابرا على التقييد والمطالعة ، مطبوعا على التاليف ، الف تواليف مفيدة جامعة ، فيها ابحاث عقلية ونقلية .. وسمعت عليه اكثر من كتاب من امهات الكتب فى الحديث والفقه والشعر وغير ذلك .. واجازنى ، وذاكرته فى الأسانيد والرجال والتاريخ وكان من اوعية العلم رحمه الله تعالى(٣).

---

(١) احمد بابا : نيل الابتهاج ، المصدر السابق ،ص ٣٣٠ ، ندوة العلماء الافارقة ، المرجع السابق ، ص ١٤٨ .

(٢) لم اقف على ترجمته بعد ولافهرسته .

(٣) البرتلى : فتح الشكور فى معرفة اعيان علماء التكرور ص ٣٣ ، المرجع السابق .

قال عن نفسه : الفت عدة كتب تزيد على الاربعين تاليفا (١)، ومن اهم هذه المؤلفات فى الفقه هى :

نيل الأمل فى تفضيل النية على العمل ، فى شرح نية المؤمن ابلغ من عمله ، وغاية الأمل فى تفضيل النية على العمل (٢)، وشرح مختصر خليل من الزكاة الى النكاح فى سفرين وسماه المقصد الكفيل بحل مقفل خليل ، وحاشية عليه سماها منن الرب الجليل فى تحرير مهمات خليل فى سفرين (٣)، وافهام السامع بمعنى قول خليل فى النكاح بالمنافع ، وفتح الرزاق فى مسالة الشك فى الطلاق (٤)، وانفس الأعلاق فى فتح الاستغلاق من كلام خليل فى درك الصداق (٥)، والزند الورى فى مسالة تخيير المشترى (٦)، ودرر الوشاح بفوائد النكاح ، وهو مختصر

---

(١) ذكر صاحب فتح الشكور فى معرفة أعيان علماء التكرور ، منها تسعة وثلاثين مؤلفا ، دون الاشارة الى المخطوط والمطبوع منها او مكان وجودها . البرتلى : المرجع السابق ، ص ٣١-٣٧ .

(٢) مخطوط يوجد نسخة منه فى مكتبة تمكروت بالمغرب رقم ٢٩٩٩ع .

(٣) مخطوط يوجد نسخة منه فى مكتبة هارون بن الشيخ سيدى ، موريتانيا ، رقم ١٥،١٩ .

(٤) مخطوط يوجد نسخة منه فى مكتبة تمكروت بالمغرب رقم ٢٩٩٩ع .

(٥) مخطوط يوجد نسختان منه فى مكتبة تمكروت بالمغرب رقم ٢٩٩٩ع ، ٢٥٣٨ع .

(٦) مخطوط يوجد نسختان منه فى مكتبة تمكروت بالمغرب رقم ٢٩٩٩ع ، ٢٥٣٨ع .

كتاب الوشاح للسيوطي ، تنبيه الواقف على قول خليل (١) ، تقييد على قول خليل في الصداق (٢) ، تقييد على قول خليل ولايومر ان شك هل طلق أم لا (٣) ، وسيلتي وشافعي في ثبوت الاستدلال بالفاظ الامام الشافعي (٤) ، النكت اللوامع في مسألة النكاح بالمنافع (٥) ، جلب النعمة ودفع النقمة (٦) ، وغيرها من الكتب سنذكرها في مكانها .

ومن علماء السودان الغربي الذين نبغوا في علوم الفقه في فترة البحث العاقب بن عبد الله الانصمني المتوفى ت ١٥٤٣م (٧) ، من أهل اكدز (٨) ، كان رحمه الله فقيها نبيها

---

(١) مخطوط يوجد ثلاث نسخ منه في مكتبة تمكروت بالمغرب رقم ٢٩٩٩ع ، ٢٥٣٨ع ؛ وتطوان رقم ٦١٢ .

(٢) مخطوط يوجد نسختان منه في مكتبة تمكروت بالمغرب رقم ٢٩٩٩ع ، ٢٥٣٨ع .

(٣) مخطوط يوجد نسختان منه في مكتبة تمكروت بالمغرب رقم ٢٩٩٩ع ، ٢٥٣٨ع .

(٤) مخطوط يوجد نسخة منه في مكتبة تمكروت بالمغرب رقم ٢٩٩٩ع .

(٥) مخطوط يوجد نسخة منه في مكتبة تمكروت بالمغرب رقم ٢٩٩٩ع .

(٦) مخطوط يوجد نسخة منه في مكتبة تمكروت بالمغرب رقم ٣٢٥٨ع .

(٧) ورد ذكره سابقا ص ١٩٠ ، كان حيا قرب ٩٥٠هـ . محمد الغربي : المرجع السابق ، ص ٥١٧ .

(٨) بلدة قريبة من بلاد السودان عمرها صنهاجة . احمد بابا نيل الابتهاج ، المصدر السابق ، ص ٢١٧ .

ذكى الفهم حاد الذهن وقاد الخاطر مشتغلا بالعلم فى لسانه حدة اخذ العلم عن علماء بلده منهم الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلى(١)، وارتحل الى مصر والحجاز لطلب العلم فحج وزار ولقى سادات العلماء وأخذ عنهم العلم من اشهرهم الامام السيوطى(٢)، ثم رجع الى بلاد السودان الغربى ، واشتغل بالتدريس وله عدة تواليف من أهمها :

الجواب المحدود عن أسئلة القاضى محمد بن محمود بن عمر ، وأجوبة الفقير عن أسئلة الأمير ، أجاب فيها اسكيا الحاج محمد الاول ، وكتاب فى وجوب الجمعة فى قرية انمدن ، وغيرها من الكتب(٣).

ومن فقهاء فترة البحث احمد بن سعيد سبط سيدى الفقيه محمود بن عمر ت ٩٧٦هـ، كان عالما بالفقه مطلعا عليه حافظا مدرسا حضر على جده لأمه فى الرسالة (٤). ومختصر خليل (٥) مدة ثم اخذ عن غيره المختصر والمدونة (٦)، وجلس للتدريس من عام ستين الى وفاته عام ست وسبعين وتسعمائة الهجرى ، وتزاحم

---

(١) ابن مريم : المصدر السابق ، ص ٢٥٦ ، كذلك ذكر سابقا فى مواضع كثيرة ص ٥٢، ٣٩.

(٢) قد سبقت الاشارة اليه سابقا ص ١٣٨.

(٣) احمد بابا : نيل الابتهاج ، المصدر السابق ، ص ٢١٧ ، كفاية المحتاج ، المصدر السابق ، ص ١٨٨ ، محمد بلو . المصدر السابق ، ص ٤٠ ، محمد الغربى : المرجع السابق ص ٥١٧ .

(٤) انظر ص ١٣٦.

(٥) انظر ص ١٣٧.

(٦) انظر ص ١٣٥.

عليه الناس وانتفعوا به واكثر التدريس للموطا والمدونة ومختصر خليل وغيرها ، وله استدراكات فى الفقه ، وحاشية لطيفة على خليل اعتنى فيها بالنقل واعتمد على نقل البيان والتحميل (١).

ومن الفقهاء ايضا الفقيه سيدى محمد بن احمد بن بكر السودانى(٢)، كان ممن اخذ عن علماء بلده ثم ارتحل الى طلب العلم فحج وزار ، ثم رجع وجلس للتدريس والتاليف فى الفنون وخاصة فى الفقه ، ومن اهم كتبه شرحه على مختصر خليل فى مجلدين سماهما : موهوب الجليل بشرح خليل (٣)، فسمى بالمجمع قال صاحب فتح الشكور فى معرفة أعيان علماء التكرور (٤) فيه نكت(٥)عجيبة ، ومسائل مفيدة ونقول صحيحة (٦).

ومن علماء العصر الذين اشتهروا فى بلاد السودان الغربى الشيخ النجيب بن محمد شمس الدين التكداوى الانصمنى ويعتبر رحمه الله من شيوخ العصر المتفقهين حيث اشتغل بالعلم والدريس والتاليف فى الفنون وله من المصنفات : شرح مختصر خليل بشرحين كبيرين اودعهما فى اربعة أسفار ، وآخر

---

(١) احمد بابا : نيل الابتهاج ، المصدر السابق ، ص ٩٥ .

(٢) كان حيا عام ثلاثة وثلاثين وتسعمائة الهجرى . البرتلى ص ١١٢-١١٣ المصدر السابق .

(٣) وهذا الكتاب مطبوع ومتداول فى الأسواق .

(٤) وهو ابو عبد الله الطالب محمد بن ابى بكر الصديق البرتلى الولاتى ت ١٢١٩هـ .

(٥) اى فكرة لطيفة ومؤثرة فى النفس او المسائل العلمية الدقيقة يتوصل اليها بدقة ، المعجم الوسيط ، ص ٩٥٠ .

(٦) البرتلى : المرجع السابق ، ص ١١٢ .

فى سفرين(١)، وله تعاليق على تخميس عشرينيات الفزارى لابن مهيب(٢)فى مدحه صلى الله عليه وسلم (٣).

اما الفقيه احمد بن محمد بن سعيد من مواليد مدينة تمبكتو ، ت ١٥٦٨م ، اخذ العلم عن علمائها وابرزهم جده القاضى محمود بن عمر آقيت(٤)، الذى درس عليه العلوم وخاصة الفقه والاصول واشتهر بتمكنه من كتب الشيخ خليل ورسالة (٥) ابى زيد القيروانى ، وبما فى الموطأ (٦)، والمدونة (٧)، وتولى التدريس فى مدارس تمبكتو ومساجدها عام ١٥٥٣م ، واستمر فيها لممارسة التدريس والتاليف ، ومن اهم مؤلفاته دراسة على مختصر خليل اعتمد فيها على البيان والتحصيل (٨) وغيره .

ومن مشاهير علماء صنغاى فى الفقه والاصول محمد بن محمود بن ابى بكر الونكرى ت ١٠٠٢هـ ، كان رحمه الله من خيار الصالحين تاج العلماء ، محبا للعلم والتعلم والتدريس صرف اكثر وقته فيه ، وكان جماعا للكتب اخذ العلم عن علماء

---

(١) محمد بلو : انفاق الميسور ص ٤١ المرجع السابق ، احمد محمد كانمى : المرجع السابق ، ص ٢٧ .

(٢) نظم فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم .

(٣) محمد بلو : المرجع السابق ، ص ٤١ .

(٤)-(٧) انظر الصفحات التالية من هذا البحث : ٥٥، ١٣٦، ١٦٢، ٣٥٠، ٩

(٨) السعدى : المصدر السابق ، ص ٣٤ ، البرتلى : المرجع السابق ، ص ٢٨ ، محمد الغربى : المرجع السابق ، ص٥١٨

بلده وجلهم من أسرته ثم ارتحل الى مصر والحجاز لطلب العلم ولقى سادات العلماء واخذ عنهم من امثال الناصر اللقانى(١) والتاجورى ، ومحمد البكرى(٢).

واجازه بعضهم فحج وزار ثم رجع الى تمبكتو لمتابعة التدريس فى تخصصه الفقه والحديث والبيان والمنطق وغيرها .

كان يجلس للتدريس من صلاة الصبح الى العشاء عدا أوقات الصلاة وتناول الطعام ، كما سبقت الاشارة الى ذلك .ص ٦٠.

وكان الى جانب دروسه محشيا ومؤلفا على بعض امهات كتب الفقه والحديث وغيرها ، وله من المصنفات : تعاليق وطرر(٣) نبه فيها على هفوات(٤)لشراح مختصر خليل وغيره ، وكذلك تتبع شرح التتائى الكبير من اوله الى آخره ، فبين مافيه

---

(١) هو ابو عبد الله محمد بن حسن اللقانى الشهير بناصر اللقانى ، وهو شيخ علماء الأفارقة ، منه محمد بغيغ واخوه احمد ، ومحمد الونكرى ، والعاقب بن محمود ، واحمد بن عمر التمبكتى ، واحمد بن احمد والد احمد بابا ، واحمد بن سعيد بن محمود التمبكتى ، وغيرهم ، وتوفى سنة ٩٥٨هـ .
احمد بابا : نيل الابتهاج ، المصدر السابق ، ص ٣٣٦ ، محمد بن محمد مخلوف ، المرجع السابق ، ص ٢٧١ .

(٢) هو محمد بن ابراهيم بن على ، بدر الدين البكرى الصديقى المالكى ت ٩١٣هـ .
الزركلى : المصدر السابق ، ج٥ ، ص ٣٠٢ .

(٣) قد سبق شرحه ص ٢٣٢ .

(٤) هفوات مفرده هفوة ، وهو السقطة او الزلة .
المنجد فى اللغة والاعلام ، المصدر السابق ، ص ٨٦٨ .

من السهو نقلا وتقريرا ، قال تلميذه احمد بابا ، وهى فى غاية الافادة ، وله فتاوى عديدة مدونة ، وقد جمعها احمد بابا فى عدة كراريس تاليفا مستقلا (١).

ومن ائمة الفقهاء العلامة الفقيه المحدث احمد بن الحاج احمد بن عمر آقيت ت ٩٩١هـ ، والد احمد بابا كان رحمه الله عالما محدثا اصوليا بيانيا منطقيا اخذ العلم عن علماء بلده اكثرهم من أسرته وارتحل الى مصر والحجاز لطلب العلم واخذ عن سادات العلماء منهم الناصر اللقاني(٢)، والشريف يوسف(٣)تلميذ الامام السيوطى ، والشيخ زكرياء (٤)، والشيخ التاجورى(٥)، والشيخ الأجهورى(٦)فاستفاد منهم واجازه بعضهم ولازم ابا المكارم محمد البكرى(٧)، ثم رجع الى بلاده فقعد للتدريس والافادة ، وكان مدرس الصحيحين فى مسجد سنكورى وله من المصنفات : حاشية لشرح خليل يبين فيها

---

(١) احمد بابا : نيل الابتهاج ، المصدر السابق ، ص ٣٤١ ، محمد الغربى : المرجع السابق ، ص ٥٢٣ .

(٢) انظر ص ٢٤٥ .

(٣) هو الشريف يوسف الأرمونى ، البرتلى : المرجع السابق ، ص ٢٩ .

(٤) الأنصارى ت ٩٢٦هـ .

(٥) ياتى ذكره ص

(٦) هو عبد الرحمن بن يوسف ، ابو الفيض زين الدين الأجهورى ت ٩٦١هـ .
الزركلى : المرجع السابق ، ج٣ ، ص ٣٤٣ .

(٧) انظر ص ٢٤٥ .

مواضع السهو(١)، وله ايضا شرح منظومة المغيلى فى المنطق(٢)وغيرهما .

ومن علماء الفقه الفقيه صالح بن محمد اند عمر المعروف بصالح ، اشتغل بالتدريس واخذ عنه جمع غفير من طلاب العلم وله من المصنفات : شرحا على مختصر خليل(٣) وغيره .

ومن العلماء البارزين فى صنغاى الشيخ محمود بن عمر آقيت ت ٩٥٥هـ ، وكان رحمه الله عالم التكرور وصالحها ومدرسها وفقيهها وامامها ولايعرف له نظير فى وقته فى صنغاى مع ملازمة التدريس للفقه ، اخذ العلم عن علماء بلده فانتفع به كثيرون ، واحيا العلم وكثر طلبته ودرس نحو خمسين سنة ، وكان يدرس امهات الكتب فى الفقه والنحو وغيرها كمدونة الامام سحنون(٤)، ورسالة ابى زيد القيروانى(٥)، والفية ابن مالك(٦) ، عين قاضيا وهو ابن خمس وثلاثين سنة ، وارتحل الى الحج ، ومر بمصر ولقى العلماء وجادلهم وناقشهم فى مسائل

---

(١) السعدى : المصدر السابق ، ص ٣٣ ، امين عوض الله : المرجع السابق ، ص ٢٠٥ .

(٢) المرجعان السابقان ، نفس الصفحات .

(٣) السعدى : المصدر السابق ، ص ٣٦ ، محمد الغربى : المرجع السابق ، ص ٥١٥ ، ندوة العلماء الافارقة ، المرجع السابق ، ص ١٤٨ .

(٤)-(٦) انظر الصفحات التالية فى هذا البحث : ص ١٣٦، ١٦٠ .

كثيرة ومن بينهم ابراهيم المقدسي(١)، والقلقشندي(٢)، وعاد الى بلاده ليزاول التدريس ، ويعتبر اول من بدا بتدريس مختصر خليل في صنغاى ، والف في ذلك كتابا من جزئين(٣)، وقد سبقت الاشارة الى ذلك ، ص ٥٥ .

ومن العلماء البارزين ايضا الفقيه سعيد بن محمد بن محمد ، كان رحمه الله نبيها فقيها مميزا في علمه ومتمكنا في فنه حتى يكاد ينفرد في نهجه عن معاصريه وكيفية استنباطه الأحكام من الأصول والفروع ، اشتغل رحمه الله بالتدريس والتاليف(٤)، وله من المصنفات : تاليفا في القضاء والأحكام .

---

(١) ولم اقف على تاريخ وفاته بعد .

(٢) قد سبقت الاشارة اليه سابقا ص ٢٤٣.

(٣) السعدى : المصدر السابق ، ص ٣٨ ، محمد الغربي: المرجع السابق ، ص ٥١٦ .

(٤) البرتلي : المرجع السابق ، ص ٢١١ .

(ب) العلوم اللغوية في صنغاى في فترة البحث :

اقترن انتشار الاسلام والعلوم الاسلامية بانتشار اللغة العربية وعلومها في صنغاى ، اذ سارت الدعوة الاسلامية جنبا الى جنب مع اللغة العربية والعلوم العربية على اختلافها (١) وقد اولى اهل صنغاى اهتماما كبيرا للادب والعلوم والتدوين بعد ان تمكن الاسلام فيهم وتعلموا اللغة العربية (٢)بغية معرفة الأحكام الشرعية في العبادات والمعاملات ، اذ لايتم معرفة الدين وممارسة العبادة الا بها ، وقد اشار ابن خلدون (٣) الى ذلك بقوله : "معرفة اللسان العربي ضرورية على اهل الشريعة ، اذ ماخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة وهي بلغة العرب ونقلها عن الصحابة والتابعين عرب وشرح مشكلاتها من لغاتهم فلابد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة "(٤).

وهكذا نرى أن طائفة كبيرة جليلة القدر من علماء اللغة والأدب قد اجتمعوا في صنغاى خلال عصر الأساكي وتركوا آثار واضحة على اعمال اسلافهم بالتذييل والشرح والتعليق والنقد كما ان بعضهم حاول في الابداع على الأقل احيانا .

---

(١) ابراهيم على طرخان : دولة مل ، المرجع السابق ، ص ٦٠

(٢) جمال عبد الهادى : افريقيا التي يراد لها ان تموت جوعا ، ص ٢٧ .

(٣) قد سبق ذكره سابقا ص ٢٣٦ .

(٤) ابن خلدون : المقدمة ، المصدر السابق ، ص ٥٠١ .

ومن هذه العلوم علم النحو :

لقد شهد عمر الاساكى فى منغاى ، وجود طائفة كبيرة من العلماء الأجلاء اشتهروا بتمكنهم فى اللغة والنحو حتى لقبوا بذلك وداوموا على تدريسها .

ومنهم : ابو عبد الله اندغ محمد بن الفقيه المختار النحوى ، وكان رحمه الله عالما تقيا ورعا متواضعا واثقا بالله مشتهرا فى علم العربية لطول باعه فيه والمادح لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وامام مسجد سنكورى ، والمدرس لكتاب الشفا للقاضى عياض فى رمضان فى المسجد رحمه الله (١)

ومن ائمة علماء اللغة ابو العباس الفقيه احمد بن اندغ محمد بن محمود الزكى الفطن العالم بفنون العلم من النحو والأشعار اضافة الى اللغة (٢)، وغيرها رحمه الله تعالى .

ومن علماء العمر فى اللغة والنحو الحاج أحمد بن عمر ابن محمد آقيت التمبكتى ت ٩٤٢هـ/١٥٣٦م . اخذ العلم عن جده لأمه والنحو عن خاله الفقيه مختار المشهور بالنحوى ثم ارتحل للشرق فحج ولقى سادات العلماء منهم الامام السيوطى ، وخالد الأزهرى(٣)، ثم آب الى بلاده فجلس للتدريس فاخذ عنه جماعة منهم الفقيه القاضى محمود بن عمر(٤)اخوه ، وكان

---

(١) السعدى : المصدر السابق ، ص ٢٩ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣٠ .

(٣) هو خالد بن عبد الله بن ابى بكر بن محمد بن احمد ٨٣٨-٩٠٥هـ .

(٤) قد سبقت الاشارة اليه سابقا فى مواضع كثيرة . انظر ص ٥٥ ، احمد بابا : نيل الابتهاج ص ٣٤٣ المصدر السابق،ندوة العلماء الافارقة ، المرجع السابق ، ص١٤٨

رحمه الله قاضيا على تمبكتو وولاته ، واشتهر بطول باعه فى الفقه والنحو والعروض محصلا بارعا حافظا معتنيا بتحصيل العلم ونسخ كتبه ، كتب بخطه عدة دواوين ، وجمع كثيرا من الفوائد والتعاليق ، ولم يزل دؤوبا مجتهدا فى تعليم العلم وتحصيله ، حتى توفى(١)، كما سبقت الاشارة الى ذلك .ص ٦٧.

اما احمد بن محمد بن عثمان بن عبد الله التمبكتى ، من اهل سنكورى كان رحمه الله عالما نحويا لغويا متفننا فى علوم الادب والاشعار بالاضافة الى الفقه والتفسير وغيرها ، شهد له بالعلم وطول باعه فى ذلك جماعة من شيوخ العلم فى عصره ومن اتى بعده (٢).

ومن ائمة اللغة والنحو فى منغاى احمد بن دنبسل الفلاتى ت ٩٩٥هـ/١٥٨٧م ، كان رحمه الله مشتهرا بحبه اللغة والنحو وتمكنه فيهما وكان نساخا ومحشيا ومعلقا فى الفنون وخاصة فى اللغة اضافة الى الفقه والحديث ، واشتهر بتمكنه من كتاب المحكم فى اللغة لابن سيدة الاندلسى(٣)، المجلدات العشر الاخيرة اضافة الى امهات الكتب الاخرى مثل رسالة ابى

---

(١) احمد بابا : نيل الابتهاج ، المصدر السابق ، ص ٨٨ ، السعدى : المصدر السابق ، ص ٣٧ ، البرتلى : المرجع السابق ، ص ٢٧ ، محمد الغربى ، ص ٥١٧ .

(٢) السعدى : المصدر السابق ، ص ٣٦ ، البرتلى : المرجع السابق ، ص ٣٩ .

(٣) هو على بن اسماعيل الاندلسى ٣٨٩-٤٥٨هـ . وفى رواية اخرى ٤٤٨هـ .

زيد القيرواني(١)، وكتاب الشفا للقاضي عياض(٢)، والجامع الصحيح للامام مسلم (٣)، وغيرها (٤).

ومنهم محمود بن محمد الزغراني التمبكتي ت ١٠١١هـ ، ينسب لقبيلة الزغرانيين في غرب منغاى ، نشا في مدينة تمبكتو ، وتعلم الفقه على علماء بلده منهم احمد بن محمد سعيد ، وعبد الله بن محمود آقيت ، واخذ علوم اللغة عن كبار اساتذة عصره ، ومهر في النحو واللغة واصبح مدرسا لهما ، وكان يعرف بالنحوى ، وتصدر للتدريس وكان رحمه الله اماما في جامع التواتيين في تمبكتو ، حتى نهاية القرن السادس عشر الميلادى(٥).

وبرز في علم اللغة والنحو احمد بن اندغ محمد بن احمد ابن احمد التمبكتي رحمهم الله ، كان رحمه الله لغويا نحويا فقيها وقاضيا له حظ في معرفة الاصول والبلاغة مشتهرا بها مما يدل على سعة باعه في العربية وكثرة اطلاعه على دقائقها وله فيها من المصنفات ، شرحه على الأجرومية ، سماه الفتوح القيومة(٦)، قال صاحب فتح الشكور في معرفة أعيان

---

(١)-(٣) انظر الصفحات التالية في هذا البحث، ص ١٣٦، ١٦١، ١٥٠.

(٤) ذكره السعدى في كتابه ص ٢١٥ المصدر السابق ، مجلة دعوة الحق ، عدد ١ ، سنة ١١ نوفمبر ١٩٦٧م ، ص ٨٦ .

(٥) السعدى : ص ٢١٥ المصدر السابق ، ندوة العلماء الافارقة ، المرجع السابق ، ص ١٥١ ، محمد الغربى : المرجع السابق ، ص ٥١٨، ٥٢٧ .

(٦) يوجد اربع نسخ منه في مكتبة تمكروت برقم ٣٠٥٩ وهو مخطوط .

علماء التكرور(١) المتقدم ذكره ، فيه فوائد مهمة ، وفروع وتتمات يتشوق(٢) لها عالي الهمة ، وكان حيا عام واحد والف للهجرة (٣)، ومن كتبه ايضا شرح المختصر(٤)، وجامع المنافع في تقصير منافع فتح الجليل(٥).

ومن برز ايضا في علم اللغة والنحو في تلك الفترة عبد الله بن سيدي احمد بن محمد بن محمد الولاتي ت ١٠٣٧هـ ، كان رحمه الله نحويا اديبا فقيها ، له من المصنفات ، شرح الاجرومية ، شرحا حسنا مختصرا ، وله ايضا قصيدة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم مطلعها :

خير حمدي للاله   وهو باق لن يزالا (٦)

ومن علماء العصر الوافدين الى صنغاي ، الامام محمد بن عبدالكريم المغيلي ، المشار اليه سابقا ومن مساهماته في اللغة والنحو ، شرحه على خطبة المختصر ، ومقدمته في اللغة العربية ، وفهرسة مروياته ، وكتابه الفتح المبين بالاضافة

---

(١) قد سبقت الاشارة اليه ص ٣١.

(٢) معناه طلب معالي الأمور : المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، للرافعي ، ج٢،١ ، ص ٣٨٨ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

(٣) البرتلي : المرجع السابق ، ص ٣٩ .

(٤) مخطوط يوجد منه اربعة عشر نسخة في مكتبة تمكروت برقم ٢٣٥٤ ، وخزانة الرباط برقم ١٣٦٠ ، وخزانة جامع الكتبية ، مكناس برقم ٢٣٦/٤٩/٢٦ .

(٥) وهو مخطوط يوجد منه نسختان في مكتبة تمكروت برقم ٢٧٩٠ .

(٦) البرتلي : المرجع السابق ، ص ١٥٩ .

الى مؤلفاته الكثيرة فى فنون اخرى(١)، وقد سبق ذكر اغلبها
ومنهم ايضا عالم العمر سيدى احمد بابا المذكور سابقا ت ١٠٣٦هـ ، وقدم مساهمات كثيرة فى مجال اللغة والنحو الى جانب فنون اخرى كما سبقت الاشارة الى بعضها ، ومن مصنفاته فى هذا المجال اهمها : له تعاليق على أوائل الالفية ، وآخر سماه النكت الوافية بشرح الالفية ، وآخر سماه النكت الزكية لم يكملا ، وغاية الاجادة فى مساواة الفاعل للمبتدا فى شرط الافادة ، والتحديث والتانيس فى الاحتجاج بابن ادريس يريد بالفاظه في العربية في ورقات(٢)، وتقييد في صحة تركيب قام رجل وتكلم رجل(٣)، وغيرها من الكتب المهمة ، وغيرها فى هذا المجال كثير .

---

(١) احمد بابا : نيل الابتهاج ، المصدر السابق ، ص ٣٣٠ ، ابن مريم : المصدر السابق ، ص ٢٥٤-٢٥٦ ، حسن عيسى عبد الظاهر : المرجع السابق ، ص ١١٧ .

(٢) البرتلى : المرجع السابق ، ص ٣١-٣٧ ، محمد الغربى : المرجع السابق ، ص ٥٤٢ .

(٣) مخطوط يوجد نسخة منه فى مكتبة تمكروت فى المغرب رقم ٢٩٩٩ع .

الأدب والشعر :

يقول محمد الغربي[١] : "ان المغاربة وجدوا عند حلولهم بالسودان الغربي نمطا من الآداب شعرا وقصصا وطرفا[٢] يستمد اصالته من الحكايات الافريقية وقصص البطولات والحروب ولكن لم يكن مكتوبا بل يلقى في حلقات القصاصين بالأسواق ويدار في المجالس ، وينقل بالرواية من مكان الى آخر ومن شخص لأشخاص آخرين[٣].. ثم تابع قوله وقال ولكن كانت هناك محاولات سجلت على الورق ... الا انها لم تتجاوز بعض المدن السودانية "[٤].

ومن هذا المنطلق يمكن القول بان لسكان دولة صنغاى لغتهم الخاصة على مستوى العامة غير اللغة العربية تغذى اذواقهم في جميع الفنون الادبية من موسيقى وشعر وحكايات شعبية وقصص البطولات وغيرها ، ولم تكن اللغة العربية يوما من الايام منذ أن دخل الاسلام في صنغاى الى الوقت لغة

---

(١) صاحب كتاب بداية الحكم المغربي في السودان الغربي ، في القرن العاشر الهجري ، السادس عشر الميلادي .

(٢) طرف جمع ومفرده الطرفة : الملحة ، وهو الحديث الجديد المستحسن ، المنجد في اللغة والاعلام ، مادة طرف ، ص ٤٦٤ .

(٣) وقد زودنا كل من محمود كعت ، واحمد بابا ، والسعدى في مؤلفاتهم لهذه الفكرة ، وهي من الأسباب الرئيسية التي دفعتهم الى التاليف اتباعا لسنة من قبلهم من آبائهم واجدادهم .

(٤) السعدى : ص ٢١٨ المصدر السابق ، محمد الغربي : المرجع السابق ، ص ٥٤٢-٥٤٣ .

التخاطب على مستوى الخاصة والعامة . بل ظلت لغة الثقافة والادارة والدين على مستوى الخاصة ، لم تتعد الى عامة الناس حتى تغذى عقول العامة وتتحكم فى اذواقهم فى مجال الفنون والآداب المختلفة ، ومع ذلك لايمكن اتهام ثقافتهم الاسلامية بانها كانت سطحية او بعدم التمكن من اصول اللغة العربية وقواعدها (١)، يقول صاحب كتاب مملكة صنغاى(٢)، فنحن نجد فى المدن الكبيرة التى كانت ترتكز حولها ميادين النشاط الثقافى والتعامل التجارى ، مثل تمبكتو ، وغاو ، وجنى ، وولاته وسواها علماء ومفكرين وقضاة قد تمكنوا من دراسة العربية والاسلام ، حتى اصبحوا ينتجون فى ميادينهما المؤلفات المختلفة ، بالشروح والكتابات التاريخية والفقهية ، على النمط الذى كان عند العرب فى المشرق والمغرب على السواء "(٣).

ويمكن القول هنا بان أهل صنغاى ركزوا اهتمامهم بالاخذ من لسان العرب على مايغذون به شعورهم الدينى والادارى بكل فن من فنون هذه العلوم ، وماعداه لم يلق اهتماما كبيرا .

اتخذ الحكام دواوين مكتوبة بالعربية وصدروا رسائل ووثائق حرمه للعلماء (٤)وللقضاة واصحاب الشان فى الدولة باللغة العربية ، واما العلماء فكان جل اهتمامهم بالدراسة والشرح او التعليق على الكتب التى كانوا يقومون بتدريسها .

---

(١) محمد الغربى : المرجع السابق ، ص ٥٤٥ .

(٢) عبد القادر زبادية : صاحب كتاب مملكة صنغاى فى عهد الاسيكيين ، قد سبقت الاشارة اليه سابقا ص ٣٤ .

(٣) عبد القادر زبادية : المرجع السابق ، ص ١٥٤ .

(٤) انظر الملحق بآخر البحث .

وهكذا كان الادب وخاصة الشعر ماخوذا من الكتب العربية او قصائد المدح لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

واما أسلوب الكتابة فكانت مطابقة لما في المغرب العربي ، وكان كتاب الدواوين معظمهم من العرب وخاصة في بداية الدولة الى ان ظهر من أهل البلاد من يتولى ذلك وكان بعضهم من بين الأسرة الحاكمة نفسها كما سبقت الاشارة الى ذلك .ص ١٢٢، ١٤٤، ١٤٨.

ففي ميدان الشعر تخصص بعض العلماء وتفننوا فيه وان كان معظمهم فقهاء وعلماء كبار ولم يكن هدفهم الأساسي هو قرض الشعر في قصائدهم كما برعوا في علوم اخرى الا ان بعضهم ركزوا اهتمامهم على كتب هذا الفن بالشرح او التعليق حتى قرضوه احيانا اخرى .

ويطالعنا من امثال هؤلاء العلماء في فترة البحث العالم الشيخ يحيى التادلسي ت ٨٦٦هـ(١)، في رثائه القاضي محمد الكابري ، عدد ابياتها اثنان وعشرون بيتا ذكرها السعدي(٢)في كتابه (٣)، منها :

تذكر ففي التذكار خير الفوائد
وفي طيه ورد على خير وارد
الم تر سفر الحث بالفضل حصموا
وسفر ذوى الافكار احظى بزائد

---

(١) البرتلي : المرجع السابق ، ص ١١٢، ١١٣، ٢١٧ .

(٢) قد سبقت الاشارة اليه سابقا ص ١٤، ٦٦ .

(٣) تاريخ السودان ، وهو من اهم المصادر في تاريخ بلاد السودان الغربي ، في القرن السادس عشر الميلادي ، العاشر الهجري .

تفيء لب المرء طيبة الصبا
فيلحق فتيانا ويقوى لساعد

فياعجبا هل بعده من مبين
ويا عربا هل بعده من مجالد

فلولا التعزى بالنبى وصحبه
واعلام علم الدين منه وراشد

لحق لدمع العين سيح على الولا
لافناء اشباح واطفاء واقد

عليه من الرحمن ذى العز والعلى
سلام بالطاف عزيز الفوائد

وصلى اله العرش ربى بمنه
على خير مبعوث وافضل شاهد

محمد المختار للختم رحمة
بتميم اخلاق كرام المعاهد (١)

وكان لعالم العصر أحمد بابا بن الحاج أحمد بن الحاج احمدت ١٠٣٦هـ مساهمات قيمة فى هذا الفن حيث زخرفه بكتاباته المتعددة ، واوردت المصادر قصيدة له قالها فى مراكش وهو يتذكر وطنه ويحن اليه عدد ابياتها ثمانية وهى :

ايا قاصدا غاو فعج نحو بلدتى
وزمزم لهم باسمى وبلغ احبتى

سلاما عطيرا من غريب وشائق
الى وطن الأحباب رهطى وجيرتى

---

(١) السعدى : المصدر السابق ، ص ٤٩، ٢١٧ ، محمد الغربى : المرجع السابق ، ص ٥٤٤ .

وعنـــدى اقـــارب هنـــاك اعـــزة
على السادة الالى دفنت بغربتى
ابى زيدهم شيخ الفضائل والهـــدى
ومنـــو ابى عمى واقرب اسرتـــى
وسيفى فسيف البين ســل لفقدهـــم
على وهل الموت ركنى وعمدتـــى
ولاننسى عبدالله ذا المجد والندى
فقد مد حزنى فقد قوتى وعشرتى
وشبان بيتى سارعوا عـن اخيرهـــم
الى ملك الأملاك فى وقت غربتـــى
فـــوا اسفـــا منهـم وحزنـــى عليهـــم
فيارب فارحمهم بواسع رحمتـــى(١)

ومـــن شعـــرا صنغـــاى محـــمد بابا بن محمد الأمين بن حبيب اللـــه التمبكتى ت ١٦٠٥م ، كان رحمه الله مشاركا فى الفنون لـــه فيهـــا محاولـــة جيدة وعبارة محددة ، برع فى العلم ودرس والـــف واخذ عن معظم الشيوخ وحضر معظم المجالس ، وقرا معظم الكـــتب وخاصة فىالمساجد ، له مشاركات فعالة فى ميدان الأدب ولـــه فيـــه مـــن المصنفـــات : شـــرح ملفقات شواهد الخزرجية فى العـــروض(٢)، وتكملـــة البجـــائى على اللامية ، وله حاشية على البجـــائى لـــم تكمـــل ، ولـــه قصائد جياد فى الأمداح ، له قبل

---

(١) اليفـــرانـــى : نزهة الحادى باخبار القرن الحادى ص ٩٨ ، مكتبة الطاب ، الرباط ، محمد الغربى : المرجع السابق ص ٥٤٤ ، المجلة التاريخية المغربية ، عدد ٧-٨ ، ص ٣٦ عبد القادر زبادية : المرجع السابق ، ص ١٥٨ .

(٢) وقد سبقت الاشارة اليه سابقا ص ٢١٥، ١٦١ .

وفاته بخمس سنين او ازيد فى كل مولد قصيدة فصيحة التزمها ورشا بعض اشياخه منهم الفقيه محمد الونكرى ، والفقيه عبد الرحمن بن محمود بقصيدتين (١)، وانشا مقامة على شاكلة مقامات الحريرى (٢)وخاض فى ميدان الشعر ، ومنها قصيدته فى المدح والترحيب على احد اشياخه وهو محمد يحياى الولاتى ، حين ورد من المغرب ، منها :

نيل الرباح او النجاح السرمدى
والسير فى النهج القويم السرمدى
فازت به ـ تمبكتو ـ دون مغارب
ومشارق من كل قطر ابعد
فتباشرت ايامها وتشامخت
اعلامها من راسيات ركد
ويحبها من فضله ارجاؤها
محمول سر الوحى نور المهتدى (٣)

ومن شيوخ علم الأدب فى منغاى فى فترة البحث الحاج احمد بن الحاج أحمد والد احمد بابا ت ٩٩١هـ ، وكان رحمه الله عالم متفننا ومشاركا فى فنون العلم جماعا للكتب وافر الخزانة ، متقنا بارعا فى الادب وتصدر للتدريس واخذ عنه علماء العصر منهم العالمان محمد واحمد ابنا محمود بغيغ (٤)

---

(١) ذكرهما السعدى ولم يثبتهما ولم يشر الى عدد ابياتهما السعدى : المصدر السابق ، ص ٢١٧-٢١٨ .

(٢) عبد الرحمن السعدى : المصدر السابق ، ص ٢١٨ .

(٣) السعدى : المصدر السابق ، ص ٢١٧ ، البرتلى : المرجع السابق ، ص ١١١ ، محمد الغربى : المرجع السابق ، ص ٥٢٥،٥٤٤ .

(٤) قد سبقت الاشارة اليهما سابقا ص ٦٦٥.

وابنه احمد بابا ، وله مشاركات مهمة فى علم الأدب وفنه ، وله فيه من المصنفات : شرح العشرينيات الفزارية فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم ، وشرح منظومة المغيلى فى المنطق ، وعلق مواضيع السهو منه ، وشرح جمل (١) الخونجى(٢) بالاضافة الى مؤلفاته فى الفنون الأخرى فى الأصول والتوحيد ، كتعليقه على صغرى السنوسى ، وكذلك القرطبية (٣).

ومنهم ايضا العلامة الفقيه ابو بكر الباركوم ، المعروف بالشيخ الطاهر بن ابراهيم الفلانى ، نشا فى موضع يقال له ذات البقر فى منطقة ماسينا ، اخذ العلم عن علماء بلاده ثم ارتحل ولقى الشيخ البكرى واخذ عنه العلم ، ثم رجع الى بلده .

كان رحمه الله نسيج وحده عالما بالمنقول والمعقول ، صالحا تقيا بارعا ، بلغ مبلغ الرجال ، وتصدر للتدريس وهو من العلماء الذين اثروا الحياة العلمية والاجتماعية والسياسية ، كان كثير الارتحال والتنقلات من مكان الى آخر وفى اثناء تجواله لقى احد سلاطين برنوا فحمله على حصنه وابتنى له دارا فيه وولاه الخطبة فى الجامع وله كثير من المصنفات أهمها :

نظمه على الكبرى وشرحه ، ونظمه على الحكم ايضا ، وكذلك نظمه الدرر اللوامع ومنار الجامع فى علم التصريف ، وله قصيدة فى النصح للسلطان من سماع اقوال الوشاة

---

(١) الجمل هو اختصار نهاية الأمل ، لابن مرزوق التلمسانى .

(٢) هو محمد بن ناماور بن عبد الملك الخونجى ت ٦٤٦هـ .
الزركلى : المصدر السابق ، ج٧ ، ص ١٢٢ .

(٣) البرتلى : المرجع السابق ، ص ٢٩ .

والسعاية ، وقصيدة اخرى(١)عن اهل كانو يهجوهم(٢)فيها .

ومن شيوخ العلم والفنون ابراهيم بن عبد الجبار الودغيرى الفجيجي ت ٩٥٨هـ ، تلقى العلم فى زوايا ومدارس عدة منها : زاوية اسرته اخذ عن ابيه عبد الجبار ، وبزاوية الونشريشيين بالحمام اخذ عن محمد بن محمد الونشريشى ، وابنه سليمان ، وبالزاوية الكبيرة بقمر بنى سكون اخذ عن شيخ الجماعة بها عبد الحق بن محمد ، وفى زوايا قصر الود غير اخذ عن القاضى محمد بن محمد الرشيدى ، وغيرهم .

فاخذ بجامع القرويين عن كبار علمائه كابن غازى(٣) والونشريشى(٤)، وتردد مرات متعددة على تلمسان(٥)فانتفع

---

(١) ذكر صاحب انفاق الميسور منها ستة ابيات :

ان كانورين كانوا	اهل قهر واعتلاء
فالاراجيف لديهم	كاراجيز الشناء
والاساطير اليهم	ذو اساطين البناء
والاكاذيب اليهم	من اكاذيب الجناء
والاساطير اراجيز	بساتين الفناء
يابنى كانور هذا	من فنون الازدراء

(٢) محمد بلو : المصدر السابق ، ص ٣٥-٣٧ ، احمد محمد كانمى : المرجع السابق ، ص ٢٢ .

(٣) هو ابو عبد الله محمد بن احمد بن غازى العقبانى المكناسى ثم الفاسى شيخ الجماعة بها ت ٩١٩هـ .
محمد بن محمد مخلوف : المرجع السابق ، ص ٢٧٦ .

(٤) قد سبقت الاشارة اليه، ص ١٨٨ .

(٥) قد سبقت الاشارة اليها ايضا ص ١٩٠ .

بمشيختها كالشيخ السنوسي والمغيلي(١)، وابن مرزوق(٢)، والعقباني(٣)والتنسي(٤)، وكان يطيل المقام في تلمسان للتدريس وخصوصا في شهر رمضان فاستفاد منه هناك خلق كبير، ورحل للشرق خمس مرات فلقي بمصر والحجاز عددا لايحصى من العلماء والادباء والمؤرخين كالامام اليسوطي، والبساطي(٥)، وابن النجار(٦)،والسخاوي(٧)،

---

(١) ذكر سابقا ص ص ٢٣٨ .

(٢) هو ابو عبد الله محمد بن احمد بن محمد بن الخطيب بن مرزوق، ت ٩١٨هـ .
محمد بن محمد مخلوف : المرجع السابق، ص ٢٧٥ .

(٣) هو محمد بن احمد بن قاسم بن سعيد العقباني ت ٨٧١هـ .
الزركلي : المرجع السابق، ج٥، ص ٣٣٤ .

(٤) هو ابو عبد الله محمد بن الجليل التنسي التلمساني ت ٨٩٩هـ .
الزركلي : المرجع السابق، ج٦، ص ٢٣٨، محمد بن محمد مخلوف : المرجع السابق، ص ٢٦٧ .

(٥) هو محمد بن احمد بن عثمان الطائي البساطي ٧٦٠-٨٤٢هـ
الزركلي : المرجع السابق، ج٥، ص ٢٣٢ .

(٦) هو محمد بن احمد بن عبد العزيز الفتوحي تقي الدين ابو البقاء الشهير بابن النجار ٨٩٨-٩٧٢هـ .
الزركلي : المرجع السابق، ج٦، ص ٦ .

(٧) هو ابو محمد عبد المعطي بن احمد بن محمد السخاوي المدني، ولقيه والد الشيخ احمد بابا بالمدينة المنورة، كان بالحياة قرب ٩٦٠هـ .
محمد بن مخلوف : المرجع السابق، ص ٢٧٩ .

والأشموني(١)، واللقاني(٢)، وله من الجميع اجازات علمية .

وكان رحمه الله فقيها كبيرا وعالمامتضلعا في العلوم الاسلامية والآداب العربية ، وشعره ونثره يشهدان بمكانته فيها ، وولي القضاء والتدريس في شبابه ولم يمنعه ذلك من الاشتغال بالفلاحة وتعاطي الصيد بالصحراء ، هاجر من فجيج سنة ٩٢٠هـ ، استنكارا لمقتل شيخه القاضي عبد الحق السكوني واصحر قاصدا بلاد السودان الغربي ومر في طريقه بتوات والقى عصى التسيار بمدينة جني ، فاستقر بها مع صحبه من اهل واولاد يدعوا الى الله وينشر الاسلام ويبث العلم الى ان وافاه أجله بعد أن هدى الله على يديه خلقا كثيرا ، وله مصنفات في الفنون اهمها : في الصيد وآدابه قصيدة عينية شهيرة عدد أبياتها مائتان وأربعة عشر بيتا سماها روضة السلوان ، شرحها ابن أخيه أبو القاسم بن محمد بن عبد الجبار ، ومطلعها :

يلومونني في الصيد والصيد جامع

لأشياء للانسان فيها منافع

وله ارجوزة في العقائد والعبادات والأخلاق سماها المفيد عدد ابياتها ثمانمائة وسبعة عشر بيتا اولها (٣):

---

(١) هو على بن محمد بن عيسى ، أبو الحسن نور الدين ت نحو ٩٠٠هـ .

الزركلي : المصدر السابق ، ج٥ ، ص ١٠ .

(٢) قد سبقت الاشارة اليه سابقا ص ٢٤٥ .

(٣) عبد الوهاب بن منصور : اعلام المغرب العربي ، ج١ ، ص ١٤٤ ، المرجع السابق .

يقول راجى رحمة الغفار
ابراهيم بن عابد الجبار
الحمد لله الذى بحمده
ينل مزيد فضله فى وعده
وبعد فالقصد بهذا الرجز
نظم نفائس بلفظ موجز
من درر المفروض والمسنون
وماله يحتاج كل حين

وله ايضا الفريد فى تقييد الزيد وترميد الوليد ، ومنها ايضا قصيدة طنانة ، ردا على اهل توات وشيخهم العصنونى التلمسانى بما راى من تعظيم اليهود (١)، وغير ذلك .

من اهل العلم ايضا سيدى عمر الملقب بالشيخ ، كان رحمه الله من اجل وابرز تلاميذ الامام المغيلى محمد بن عبد الكريم ، واشهرهم ، وهو جد الكنتى ولازم استاذه كثيرا فى حله وترحاله وشاركه لخدمة الدعوة الاسلامية فى جنوب الصحراء الكبرى ، فحج وزار وله كثير من المصنفات اهمها :

تاليف فى اهل الذمة فى نحو كراس ، ويحتوى هذا الكتاب على ثلاثة فصول (٢)، وله فى المدينة المنورة قصيدة مشهورة

---

(١) عبد الوهاب بن منصور : المرجع السابق ، ج١ ، ص ١٤٤ .

(٢) وهى : ف١ : فيما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار

ف٢ : فيما يلزم اهل الذمة من الصغار والجزية .

ف٣ : فيما عليه اليهود فى هذا الزمان فى اكثر البلدان من الجراة والطغيان والتمرد على الأحكام الشرعية بتولية ارباب الشوكة وخدمة السلطان . =

بشراك ياقلب هذا سيد الأمم
وهذه حضرة المختار في الحرم
وهذه الروضة الغراء طاهرة
وهذه القبة الخضراء كالعلم
وقبر المصطفى الهادي وحجرته
وصحبه وبقيع دائر بهم
فطب وغب عن هموم كنت تحملها
وسل تنل كل ماترجوه من كرم
ياسيدي يارسول الله خذ بيدي
فالعبد ضيف وضيف الله لم يضم

وكان النجيب محمد الوالي بن سليمان الفلاني ت ١٠٠٩هـ أعجوبة الزمان العالم العلامة ، كان رحمه الله عالما متضلعا في فنون العلم وله آثار تدل على وفور علمه وكثرة احاطته وتضلعه بالعلوم ، وله من المصنفات مايلي : نظمه على النقاية للسيوطي في علوم عديدة ، منها المنهل في علم التوحيد ، ومنها قصائد واشعار ، اهمها : انكاره على اهل بلده لاعتنائهم ببعض فنون العلم كعلم الأوفاق (١)،والحروف(٢)

= عبد الوهاب بن منصور : المرجع السابق ، ج١ ، ص ٤٤ ، عباس بن ابراهيم المراكشي : المرجع السابق ، ج٥ ، ص ١١٠ .

(١) وهو فرع من فروع علم أسرار الحروف سياتي ذكره ص ٦٠٦.

(٢) وهو علم يبحث عن خواص الحروف افرادا وتركيبا وموضوعه الحروف الهجائية ومادته الأوفاق والتراكيب ، وصورته تقسيمها كما وكيفا ، وتاليف الأقسام والعزائم ومايتنتج منها مفاعلة المتصرف وغايته التصرف على وجه يحصل به =

وعلم النجوم (١)، مستغرقين فيه فى طلبها حريمين على ذلك حتى هجروا علم الكتاب والسنة والشريعة ، رغبة فى الدنيا .
فقال فيهم :

تركوا علم الكتاب المنزل   وحديث جابه هادى البشر
وعلوم الشرع والفقه التى   تنفع المرء وتحميه الخطر
صرفوا الهم الى مكسبهم   لحطام زائل لايستقر
اثروا الدنيا على اخراهم   لم يبالوا مايؤديهم لضر
وعلى وفق رووه حيلة   لاكتساب الحال والجاه المضر (٢)

= المطلوب ايقاعا وانتزاعا ، ومرتبته بعد الروحانيات والفلك والنجامة .
وقال ابن خلدون فى المقدمة عن علم أسرار الحروف وهو المسمى لهذا العهد بالسيمياء لايوقف على موضوعه ولايحاط بالعدد مسائله .
كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون لحاجى خليفة ، ج١ ص ٦٥٠ ، دار الفكر ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، ابن خلدون : المقدمة ، ص ٦٦٤ ، المصدر السابق .

(١) هو العلم الذى يبحث فى احوال الشمس والقمر وغيرهما من النجوم من حيث يمكن ان تعرف بها احوال العالم . ابن خلدون : المقدمة ، ص ٣٢ ، المصدر السابق ، المعجم الفلسفي ، د. جميل مليب ، ج٢ ، من ط الى ى ص ٤٥٩ ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٧٣م .

(٢) ذكر صاحب انفاق الميسور فى تاريخ بلاد التكرور ستة عشر بيتا منها ، ولاادرى غيرها . محمد بلو : المصدر =

وقصيدة اخرى نحو أربعين بيتا (١).

ومن البارزين فى علوم الادب والشعر فى فترة البحث الشيخ العلامة رمضان بن احمد ، وكان رحمه الله اصله من فزان(٢) اخذ العلم عن علمائها ومن أبرز شيوخه الشيخ هارون الزكزكى ، ثم ارتحل الى بلاد السودان الغربى واستوطن زنفر ومارس التدريس والدعوة وانتفع به كثير من طلاب العلم وكان عالما متضلعا فى العلوم ومتفننا وله عدة قصائد وتواليف ، ومن أهم مصنفاته :

نظمه على رواة البخارى اى رواية الفروع عن الاصل .

ومنها الجوهرة فى ذم علم النجوم ، وغيرها (٣).

= السابق ، ص ٣٠ ، آدم عبد الله الالورى : الاسلام فى نيجيريا ، المرجع السابق ، ص ٦٠ .

(١) آدم عبد الله الالورى : المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(٢) منطقة كبيرة جدا وتجاور كلا من اكدز وصحراء ليبيا . الحسن الوزان : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ١٤٦ .

(٣) محمد بلو : المصدر السابق ، ص ٥٢ .

(ج) العلوم الاجتماعية في صنغاى فى فترة البحث :

تميزت دولة صنغاى عن الممالك الاسلامية التى سبقتها فى السودان الغربى بان ظهر فى عهدها علماء مؤلفون فى العلوم والفنون ومنها العلوم الاجتماعية بانواعها وان كانت منحصرة فى ذاتها حيث لم يتعد نطاقها عن دور الحكام وعلماء الأعيان واكابر الناس والوقائع الكبرى حتى تصل الى عامة الناس وايامهم وتصرفاتهم اليومية ويمكن القول بان مردها الى عدة امور .

منها ماجرى من اتخاذ قصص القرآن الكريم عند كتاب المسلمين القدماء ، قال صاحب كتاب تاريخ الفتاش فى اخبار البلدان(١) : "... فلما كان ذكر قصص الانبياء والسلاطين والملوك واكابر البلدان من عادة الحكماء والعلماء الأعيان اقتداء بسنة القرآن الكريم وتذكيرا لما غبر من الزمان .. من الله علينا بان ظهر لنا فى زماننا هذا الامام ـ اسكيا محمد الأول ـ فانفسح له بحمد الله البلدان شرقا وغربا كذا اردت أن اجمع من أحواله الحلوان مع ذكر سن على(٢) .. ماسهل على اليد واللسان"(٣).

ومنها جريا على العادات القديمة عند نقلة الروايات الشفوية لعديد من المجتمعات بافريقيا الغربية والأحداث التاريخية فى شكل اغانى وقصص تروى ابا عن جد فى اسر

---

(١) الفع محمود كعت .

(٢) قد سبقت الاشارة اليه سابقا ص ٤٩ ،

(٣) الفع محمود كعت : تاريخ الفتاش فى اخبار البلدان ، ص ١٠ ، المصدر السابق .

الشعراء واغلب هذه القصص متصلة بالتاريخ السياسي ، ومنها يستمد اغلب المؤرخين معلوماتهم (١)، وقال عبد الرحمن السعدي (٢): "فقد ادركنا اسلافنا المتقدمين اكثر مايتحدثون به في مجالسهم ذكر الصحابة والصالحين رضي الله عنهم ثم ذكر اشياخ بلادهم وملوكها وسيرهم وقصصهم وايامهم وهو احلى مايروون واشهى مايتذاكرون حتى انقرض ذلك الجيل" (٣).

وهذا من اقدم المصادر في تاريخ شعوب السودان الغربي وربما في تاريخ الانسان ككل .

وهكذا ظهر علماء في السودان الغربي الفواعن حكام صنغاي منذ عهد سن على ؛ واستمروا الى نهاية هذه الدولة في مختلف النشاطات ، فقد وصلنا معلومات غير متكملة عن بعضهم واهم اعمالهم وضاع منا القسط الأكبر منها .

ومن ابرز علماء التاريخ الذين ساهموا في التدوين عن دور صنغاي السياسي العلامة الشيخ بابا كور بن الحاج محمد ابن الأمين (٤)، تتبع الأحداث السياسية والحربية ودون عن أهم الوقائع في صنغاي وحكامها كسن على واسكيا محمد الكبير (٥)، وبعض ابنائه من بعده وانتهى في عهد الباشوات المراكشيين ودخولهم في صنغاي ، وله في ذلك كتب ومصنفات ، ومن أهم

---

(١) يونسكو : تاريخ افريقيا العام ، ج٤ ، ص ٢٨٨ ، المرجع السابق .

(٢) انظر ص ١٤، ٢٦

(٣) السعدي : تاريخ السودان ، ص ١ ، المصدر السابق .

(٤) وهو من علماء القرن العاشر الهجري ، السادس عشر الميلادي .

(٥) انظر الصفحات التالية : ٣٩

مصنفاته : كتابه درر الحسان فى اخبار بعض ملوك السودان ، وله ايضا كتاب آخر سماه جواهر الحسان ، واعتمد صاحب تاريخ الفتاش عليهما فى معظم ماكتبه عن دولة منغاى(١).

وممن كتب عن منغاى الفقيه الامام ابن بكر سن بن عمر(٢)، وله كتاب فى تاريخ منغاى ، وكتب عن اسكى اسحاق وعن الحروب التى جرت بينه وبين الباشوات من اهل مراكش ، وقد نقل عنه صاحب كتاب تاريخ الفتاش(٣)المتقدم ذكره ايضا حيث قال : ورايت بخط الفقيه ... ان القتال بين اسكى اسحاق واهل مراكش فى سنكى طرف تنديبى ... عام تسع وتسعين وتسعمائة (٤).

ومنهم ايضا مؤلف مجهول ذكره اليفرانى فى كتابه نزهة الهادى باخبار ملوك القرن الحادى عشر وسماه بالامام التكرورى(٥)ولم يذكر شيئا عنه غير ذلك .

وقد يذكر اليفرانى ان هذا المؤلف الذى دعاه بالامام كتب عن آل اسكيا وحج اسكيا محمد الكبير ولقائه مع الامام السيوطى بمصر ، وكذلك عن ولده اسكيا داود وسيرته الحسنة ، واخيرا عن اسكيا اسحاق والاحداث فى عهده .

---

(١) الفع محمود كعت : المصدر السابق ، ص ٢٤،٨٤،،٨٥،١٥٥، ١٨٢ .

(٢) وهو من علماء القرن العاشر الهجرى ، السادس عشر الميلادى .

(٣) قد سبقت الاشارة اليه ص ٢٤.

(٤) الفع محمود كعت : المصدر السابق ، ص ١٥٢ .

(٥) وهو من علماء القرن العاشر الهجرى ، السادس عشر الميلادى .

وقدر دولة صنغاى عن مسيرة ستة اشهر على الاقل ، وله مصنفات كثيرة من اهمها كتابه : نصيحة اهل السودان(١).

ومن مؤلفى تاريخ السودان الغربى عقبل ولد عودار(٢)، وهو من اهل القرن التاسع الهجرى ، الخامس عشر الميلادى ، وقال احد المؤرخين فى العصر الحديث(٣): له كتاب "اجناس افريقية"(٤)، ويحتوى هذا الكتاب على كثير من تاريخ ساى ، اى دولة الموشى(٥)، ويمكن ان تكون قد استمرت هذه الدولة خمسة قرون على الاقل(٦).

ومن علماء العلوم الاجتماعية فى هذه الفترة :

جد القاضى محمود بن الحاج المتوكل(٧)، الف فى التاريخ هو الاخر واعطى معلومات كثيرة عن سن على وغزواته ولم يذكر اسم كتابه حفيده الفع محمود كعت(٨)، اكتفى بقوله "نقلت هذا كله من كتاب الجد القاضى محمود بن الحاج

---

(١) اليفرانى : المرجع السابق ، ص ٨٩ ، الناصرى : المرجع السابق ، ص ١٥١ .

(٢) وهو من مشاهير علماء القرن التاسع الهجرى ، الخامس عشر الميلادى ، ومن مؤلفيه .

(٣) تاريخ افريقيا العام ، ج٤ ، ص ٩ .

(٤) والكتاب مخطوط ومكتوب باللغة العربية ، ويرجع تاريخه الى القرن التاسع الهجرى ، الخامس عشر الميلادى .

(٥) استولى عليها سن على الكبير .

(٦) تاريخ افريقيا العام ، ج٤ ، ص ٢٢٦ .

(٧) وهو ايضا من علماء القرن التاسع الهجرى ، السادس عشر الميلادى .

(٨) الفع محمود كعت : قفد سبق الاشارة اليه ص ٢٤

المتوكل "(١).

ومن برز فى اسره آل كعت فى العلوم الاجتماعية فى هذه الفترة والد القاضى محمود ، الحاج المتوكل(٢)، وهو الآخر من علماء تاريخ سنغاى ولايستبعد ان يكون قد اخذ العلم من اسرته وخاصة ابيه الذى الف فى علم التاريخ ، وقد نقل عنه ابنه من كتاباته كثيرا عن سن على وشئون مملكته وخاصة عن اولاده ، ومنهم مربنكن وشجاعته وحذقه فى فن الحرب واختراعاته فى هذا الميدان ، وقال : "كذا نقلت عن شيخى ووالدى رحمه الله "(٣).

ومنهم ايضا خاله الفقيه يوسف كعت بن الفع محمود كعت(٤)، استمد صاحب كتاب الفتاش معلوماته عن خاله فيما جرى بين اسكى اسحاق وبلمع صادق فى امور السلطنة ولم يذكر اسم المؤلف وانما اكتفى بقوله : "ورايت بخط خالنا الفقيه .. المذكور ، ومن خطه ايضا قال : وكانت هذه الفتنة من اولها الى آخرها اربعة أشهر"(٥).

ومن اشهر العلماء فى أسرة آل كعت القاضى محمود بن الحاج المتوكل كعت ت ١٥٩٣م ، ولد هذا المؤرخ فى منطقة كورما غرب غاو ، وعاصر فى بداية شبابه الاسكيا محمد الأول ،

---

(١) الفع محمود كعت : المصدر السابق ، ص ٤٨ .

(٢) وهو من علماء القرن التاسع الهجرى ، الخامس عشر الميلادى .

(٣) الفع محمود كعت : المصدر السابق ، ص ٨٤ .

(٤) وهو من علماء القرن العاشر الهجرى ، السادس عشر الميلادى .

(٥) الفع محمود كعت : المصدر السابق ، ص ١٤٢ .

ورحل الى مدينة تمبكتو ، وتلقى العلم على علمائها وفقهائها ، وبرع فى الأدب والفقه معا تقلد منصب القضاء ، واحبه الاسكيا وقربه اليه وجعله فى زمرة مستشاريه وحج معه وله مؤلفات كثيرة ، ومن اهمها : "تاريخ الفتاش فى اخبار البلدان والجيوش واكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الأمور وتفريق انساب العبيد من الأحرار"(١).

ويعتبر هذا الكتاب ذخيرة مهمة فى تتبع التطور الحضارى والثقافى والاقتصادى فى عهد دولة صنغاى وماقبلها وجزء من حكم المغرب فى صنغاى . ومن اهم ماتميز به هذا الكتاب انه ملخص لعدة مصادر كتبها مؤلفون قبله فى نفس المادة ، وجميع هذه المصادر تعتبر فى عداد المصادر المفقودة حتى الآن(٢).

واما العالم والرحالة الحسن الوزان من مشاهير علماء المغاربة فى التاريخ والجغرافيا والطب ، وقد كثر تردده فى صنغاى ومكث فيها مدة من الزمن كما قام بالتجول فى ارجاء البلاد ، ودون كل ماوصل اليه من معلومات مفيدة ويعتبر كتابه وصف افريقيا من اهم المصادر لدولة صنغاى حتى الآن .

ولاتمام الفائدة اتى المؤلف عبد الرحمن بن عبد الله

---

(١) وقد نشر هذا الكتاب فى باريس فى بداية هذا القرن المستشرق هوداس بمساعدة المؤرخ دولافوس ، ثم اعيد طبعه بدون تغيير عامى ١٩٢٣ ، ١٩٦٤م .

(٢) الفع محمود كعت : المصدر السابق ، ص ١٦، ١٧ ، محمد الغربى : المرجع السابق ، ص ٥٣١ ، عبد القادر زبادية المرجع السابق ، ص ١٦٠ .

ابن عمران السعدى(١)، فى بداية عهد المغربى واخذ العلم عن علماء بلده وخاصة تمبكتو ، وظهر عليه الاهتمام بالتاريخ منذ شبابه ومهر فيه بالتدريس والتاليف وتولى الامامة والقضاء فى مدينة تمبكتو ، وله مصنفات من اهمها : "تاريخ السودان"(٢)، وسبقه الفع محمود كعت فى تدوين احداث تاريخ ملوك صنغاى ، ومدنها ولخص بعض كتابات احمد بابا عن علماء صنغاى والحركة الثقافية والسياسية والاقتصادية ، ويعد كتابه هذا من احسن الكتب فى تاريخ صنغاى وحكامها (٣)، ومن مصادرها الاساسية .

ومن المصنفات التى لايستغنى عنها كتاب تذكرة النسيان فى أخبار ملوك السودان(٤)، مؤلفه مجهول وان كان يرى بعض

---

(١) كان حيا عام خمسة وستين والف من الهجرة . البرتلى : المرجع السابق ، ص ١٧٦ .

(٢) وطبع هذا الكتاب هو الآخر على يد السيد هوداس بباريس فى اوائل هذا القرن ، ثم اعيد طبعه مرة أخرى عام ١٩٨١م بباريس .

(٣) عبد القادر زبادية : المرجع السابق ، ص ١٦١ ، محمد الغربى : المرجع السابق ، ص ٥٣٣ .

(٤) وقد تكلم فيه مؤلفه على بعض رجال المغرب وعلى أهل شنقيط والسودان ممن كان لهم وظائف بالمغرب اواخر الدولة السعدية واوائل الدولة العلوية ، وقد ذكر اكثر من تسعين ملكا من ملوك السودان ، وفى آخره نبذة فى تاريخ بلاد سكدت ، طبع هذا الكتاب عام ١٨٩٩م / ١٣١٤هـ على يد السيد هوداس بباريس ، عبد السلام عبد =

المؤرخين نسبته الى الشيخ موسى كمارا (١)، والكتاب عبارة عن تكملة لكتاب تاريخ السودان لعبد الرحمن السعدى المتقدم ذكره .

= القادر بن سودة : دليل مؤرخ المغرب الاقصى ، ص ٣٨ ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ١٩٦٥م .

(١) هو من مشاهير العلماء والمؤلفين الافارقة فى القرن الثامن عشر الميلادى ، وله مؤلفات عديدة .

التراجم :

بدا كتاب التراجم فى منفاى كافراد حيث كانوا يترجمون لاناس محدودين من الحكام البارزين ، او من كبار العلماء ، او من اعيان البلاد ، وعندما ظهر احمد بابا التمبكتى ت ١٠٣٦هـ ، ملأ الفراغ ووصل به الى ارفع مستوى حيث شارك من قبله فى تراجم علماء المالكية وطبقاتهم فى معظم انحاء العالم الاسلامى ، واصدر من ضمن مؤلفاته كتابين هما : "نيل الابتهاج بتطريز الديباج" وذيله بالديباج المذهب لابن فرحون ، وكفاية المحتاج لمعرفة ماليس فى الديباج (١)، وجمع فيهما عددا كبيرا من تراجم علماء المالكية ، ومما يزيد اهميتهما المعلومات المهمة التى احتوتها هذه الكتب من حيث المدارس والمؤلفات والحركة الثقافية فى عصر المؤلف وقدر لهذين الكتابين ان يكونا من احسن الكتب التى كتبت فى مادتهما ، وبالتالى من أهم مصادر التراجم فى طبقات المالكية فى العالم الاسلامى ، حتى الآن ، مما هو موجود فى متناول الأيدى .

ومن مشاهير كتاب التراجم فى فترة البحث الحاج احمد ابن عمر بن محمد آقيت ، جد احمد بابا ، وهو الذى بدا

---

(١) هذا الكتاب من اهم كتب التراجم فى طبقات المالكية ، وهو مخطوط وموجود فى معظم مكتبات المغرب العربى ، منها الخزانة العامة بالرباط ، ومركز احمد بابا بتمبكتو ، ومكتبة الحرم المكى ، تحت رقم ٤٩ .

كتابة التراجم ثم تبعه حفيده فى جمع تراجم علماء المالكية ونقل عنه فى كتابه نيل الابتهاج المتقدم ذكره ، فى تراجم بعض مشاهير علماء المالكية حيث قال : "... هكذا لخصت هذه الترجمة من خط جدى الفقيه "(١)، ولم يسم اسم الكتاب الذى نقل منه ، ومع ان اشاراته تفيد انه لخص بعض ماكتبه جده .

---

(١) جده هو احمد بن عمر بن محمد آقيت .
احمد بابا : نيل الابتهاج ، المصدر السابق ، ص ٣٢ .

علم الكلام :

وفد عدد كبير من العلماء الى صنغاى منذ القرن التاسع الهجرى ، الخامس عشر الميلادى ، وكان طبيعيا أن تشهد الدولة توسعا مضطردا فى العلوم والفنون الجديدة ، وكانت من ضمن العلوم التى وصلتها علوم الفلسفة والمتصوفة والعلوم البحتة بانواعها ، عن طريق العلماء والفقهاء الذين استقبلهم حكام صنغاى ، وان كان نموها وانتشارها لم يكن مضطردا حيث لم يلق قبولا سريعا ومشجعا لدى العلماء والدارسين من اهالى البلاد ، كما انها لم تقابل بالرفض بسبب حامليها ، لكونهم من ابرز العلماء الوافدين والمقربين من الحكام بالاضافة الى تضلعهم فى العلوم الشرعية واللغوية ، ومن هنا وجدت هذه الفنون اهتماما لدى عدد من العلماء دون ان تنافس العلوم الدينية ، والسبب الحقيقى لذلك يرجع الى نفوذ الفقهاء فى الدولة والاتجاه الدينى الذى التزمه حكام صنغاى دون ان تتسع آفاق اهتمامهم لمثل هذه العلوم ، ولكنها ظلت موجودة ومعروفة منذ ذلك الوقت ، وان كانت معرفتها اقل مستوى بكثير من العلوم السابق ذكرها ... من هذه العلوم علم الكلام ، فخلو التنافس المذهبى والآراء الفلسفية المتعددة من صنغاى جعل مجالس العلم فيها والمناظرات تخلو من الجدل فى تفسير الامور الاعتقادية وبالتالى منعت علم الكلام ان يظهر بشكل ملفت للانتباه .

وقد ظهر عدد من العلماء اشتهروا بتمكنهم وتضلعهم الكافى فيه ومن اهمهم :

* الامام محمد بن عبد الكريم المغيلى ت ٩٠٩هـ(١)،

---

(١) انظر ص ٢٥ .

ويعتبر استاذ علم الكلام فى دولة صنغاى حيث احضره معه عند قدومه الى صنغاى من توات(١)، ودرسه من ضمن مادرس من العلوم وتخرج على يده عدد من العلماء ، وصنف فيه ونالت كتبه بالدراسة والشرح والتعليق قبولا عند العلماء ، وله فى علم الكلام (٢)والمنطق مصنفات من اهمها : مقدمة فى المنطق ، ومنظومة فيه سماها منح الوهاب ، وثلاثة شروح عليها ، وشرح جمل الخونجى فى المنطق ، وله مراسلات مع الامام السيوطى ، حيث وقع بينهما نزاع فى علم المنطق(٣).

---

(١) كذلك ايضا اشير اليها سابقا ص ٨٦.

(٢) قال ابن خلدون من مشاهير هذه الطريقة الشيخ ابو الحسن الأشعرى امام المتكلمين ، وتلميذه ابن مجاهد والقاضى ابو بكر الباقلانى ، وامام الحرمين ابو المعالى ، ثم الامام الغزالى حجة الاسلام ، وتبعه الامام ابن الخطيب وجماعة .

ابن خلدون : المصدر السابق ، ص ٥٩٠ .

(٣) مما كتب للسيوطى فى ذلك قوله :

سمعت بامر ماسمعت بمثله
وكل حديث حكمه حكم اصله

ايمكن ان المرء فى العلم حجة
وينهى عن الفرقان فى بعض قوله

هل المنطق المعنى الا عبارة
عن الحق او تحقيقه حين جهله

معانى فى كل الكلام فهل ترى
دليلا صحيحا لايرد لشكله =

....

= ارينى هداك الله منه قضية
على غير هذا تنفها عن محله
ودع عنك ما ابدى كفور وذمه
رجال وان اثبت صحة نقله
خذ الحق حتى من كفور ولاتقم
دليلا على شخص بمذهب مثله
عرفناهم بالحق لا العكس فاستبق
به لابهم اذ هم هداة لأجله
لئن صح عنهم ماذكرت فكم هم
وكم عالم بالشرع باح بفضله
وغيرها ..
فاجابه الامام السيوطى بقوله منها :
حمدت اله العرش شكرا لفضله
واهدى صلاة للنبى واهله
عجبت لنظم ماسمعت بمثله
اتانى عن حبر اقر بنبله
تعجب منى حين الفت مبدعا
كتابا جموعا فيه جم بنقله
اقرر فيه النهى عن علم منطق
وماقاله من قال من ذم شكله
وسماه بالفرقان ياليت لم يقل
فذا وصف قرآن كريم لفضله
وقد قال محتجا بغير رواية
مقالا عجيبا نائيا عن محله =

ومن ابرز العلماء فى فن المنطق محمد بن محمود بن عمر آقيت ت ٩٧٣هـ ، ويعتبر العالم الثانى فيه بعد الامام المغيلى حيث تتبع مؤلفاته بالتدريس والشرح والتعاليق وغير ذلك ، واهم اعماله فيه مصنفاته ومنها : نظم ارجوزة على شرح منظومة المغيلى ، وله تعاليق وشرح على رجز الامام

= ودع عنك ما ابدى كفور وبعد ذا
خذ الحق حتى من كفور بختله
وقد جاءت الآثار فى ذم من حوى
علوم يهود أو نصارى لأجله
يجوز به علما لديه وانه
يعذب تعذيبا يليق بفعله
وقد منع المختار فاروق صحبه
وقد خط لو مابعد توراه أهله
وكم جاء من نهى اتباع لكافر
وان كان ذاك الأمر حقا باصله
اقمت دليلا بالحديث ولم اقم
دليلا على شخص بمذهب مثله
سلام على هذا الامام فكم له
لدى ثناء واعتراف بفضله

احمد بابا : نيل الابتهاج ، المصدر السابق ، ص ٣٣٠ ، ابن مريم : المرجع السابق ، ص ٢٥٤-٢٥٦ ، آدم عبد الله الالورى : موجز تاريخ نيجيريا ، المرجع السابق ، ص ٨٩ ، حسن عيسى عبد الظاهر : المرجع السابق ، ص ١١٧

المغيلى فى المنطق (١) .

وكان رحمه الله هو الآخر استاذا بارعا ومحققا للمنطق والبيان وتخرج على يده كوادر من العلماء ، ومن ابرزهم الشيخ عبد الله بن عمران السعدى ، والد عبد الرحمن السعدى صاحب كتاب تاريخ السودان (٢) .

ومنهم ايضا الفقيه احمد معيا ت ١٠٠٢هـ من علماء مدينة تمبكتو البارزين ومن مدرسيها المشهورين ومؤلفيها المعروفين ، تخصص فى الشرعيات وعلم الكلام ، واشتهر بذلك لمهارته واتقانه وافاد بعلمه جمعا كبيرا من الدازسين ، وقتل يوم نكبة العلماء بمدينة تمبكتو (٣) .

اما الشيخ الفقيه محمود سرى بن سليمان ت ١٦١٨م كان رحمه الله من مشاهير علماء تمبكتو يطلقون عليه الفع (٤) ، وقد اخذ العلم عن علماء مدينة جنى ، ثم انتقل الى تمبكتو وتولى التدريس فيها ، وعاد الى مسقط راسه فى آخر حياته وكان عالما محدثا ومنطقيا مشتهرا به (٥) .

---

(١) احمد بابا : نيل الابتهاج ، المصدر السابق ، ص ٣٤ ، محمد الغربى : المرجع السابق ، ص ٥٤٥،٥١٧ ، نعيم قداح : افريقيا الغربية ، المرجع السابق ، ص ٤٦ .

(٢) عبد الرحمن السعدى : المصدر السابق ، ص ٤٠ .

(٣) لم يملنا بعد ماقام به من اعمال بالتاليف ، السعدى : ص ٢١١ المصدر السابق ، محمد الغربى : المرجع السابق ص ٥٢٦ .

(٤) اى الفقيه ، او العلامة .

(٥) السعدى : ص ٢٤١ المصدر السابق ، محمد الغربى : المرجع السابق ، ص ٥٢٨ .

علم الاجتماع :

لم يكن التاليف فى منغاى يسير على المنهج التخصصى وانما كان ذلك على الطريق الموسوعى كما سبقت الاشارة الى ذلك فقد جمع العلماء والفقهاء أنواعا متعددة من الفنون للتدريس والتاليف فكان كل من اتقن مادة من المواد يحق له ان يدرسها ، واذا برع فى فروعه يمكن له أن يجمع فيها تاليفا .

من مشاهير العلماء الذين طرقوا هذا الفن الامام محمد ابن عبد الكريم المغيلى ت ٩٠٩هـ ، كان رحمه الله "ممن له بسط فى الفهم والتقدم متمكنا محبا للسنة يبغض أعداء الدين وقد وقع له بسبب ذلك مشقة كبيرة"(١)، وله فيها مصنفات اهمها :

رسالة الأمير كنو فى أمور السلطنة يحضه على اتباع الشرع والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وقرر له أحكام الشرع وقواعده ، وله تاليف آخر لاسكيا محمد الأول ، اجابه فيه عن مسائل فى السياسة الشرعية ، وكيفية ادارة الحكم على وفق الشريعة الاسلامية (٢)الذى سال عنها .

---

(١) ونازعه فى ذلك الفقيه العمنونى قاضى توات ، ووافقه فى ذلك الحافظ التنيسى ، والامام السنوسي وكتبا اليه ورحل الى آهير ، وتكده ، ثم دخل كانو ، وكاتسينا ، ثم الى بلاد التكرو فوصل الى غاو ، واجتمع بسلطانها اسكى الحاج محمد الأول .

(٢) احمد بابا : نيل الابتهاج ، المصدر السابق ، ص ٣٣٠ ، ابن مريم : المرجع السابق ، ص ٢٥٤ ، حسن عيسى عبد الظاهر : المرجع السابق ، ص ١١٧ .

ومـن علماء العصر فى علم الاجتماع فى منغاى ايفا سيدى احمد بابا بن الحاج احمد بن الحاج احمد ت ١٠٣٦هـ ، ذكر سابقا وله مساهمات فى العلوم والفنون فى التدريس والتاليف ومن مؤلفاته فى هذا الفن عدة كتب اهمها : الكشف والبيان فى حكم مجلوب السودان (١)، يتناول فيه قضايا اجتماعية مهمة منها ماكان يجرى التعامل به فى الساحة بين المغرب العربى والسودان الغربى ، كحكم بيع المسلم على المسلم واسترقاقه وفرق بين الاقاليم المسلمة وغيرها (٢)، وكذلك تحفة الفضلاء ببعض فضائل العلماء (٣)، وايضا جواب حول العبيد المجلوبين من السودان الغربى(٤)، وغير هذه الكتب فى مجالات اخرى .

ومن برز فى علم الاجتماع فى تلك الفترة ايضا ابراهيم ابن عبد الجبار الودغيرى الفجيجى ت ٩٥٨هـ ، المذكور سابقا وكان رحمه الله فقيها عالما ومتضلعا فى العلوم الاسلامية والآداب العربية ، ولى القضاء واشتغل بالتدريس ولم تمنعه ممارسة هوايته ، وهى الفلاحة وتعاطى الصيد بالصحراء من التاليف وله مساهمات فعالة فى الصيد وآدابه قصيدة عينية شهيرة عدد ابياتها مائتان واربعة عشر ، سماها روضة

---

(١) مخطوط بمركز احمد بابا رقم ٢٥ ، والخزانة العامة بالرباط رقم ١٧٢٤ المكتبة الوطنية بباريس رقم ١٨٩٣ .

(٢) البرتلى : المرجع السابق ، ص ٣١ ، محمد الغربى : المرجع السابق ، ص ٥٤٢ .

(٣) مخطوط يوجد نسخة منه فى الخزانة العامة بالرباط ، رقم ١٦٤١ .

(٤) مخطوط يوجد منه نسختان فى مكتبة تمكروت رقم ١٠٧٩ ، والخزانة العامة بالرباط رقم ١٩٨٥ .

السلوان ، وله ارجوزة فى العقائد والعبادات والأخلاق سماها المفيدة عدد ابياتها ثمانمائة وسبعة عشر ، وله ايضا الفريد فى تقييد الشريد وترصيد الولد (١).

ومنهم ايضا الفقيه الأمين بن أحمد بن أحمد المجتهد ويسمى الذاكر ت ١٠١٤هـ اخذ العلم عن علماء بلده وبرع فى العلوم ، وكان رحمه الله صاحب مدرسة فى حى سنكورى كما سبقت الاشارة الى ذلك ، ومما يدل على تضلعه فى التدريس وطول باعه انه الف فيه كتابه آداب المجالس(٢)، ودون فيه حكايات عن العلم وكيفية التدريس .

ولايفوتنا هنا ذكر شيخ الائمة والقضاة والفقهاء فى تمبكتو ، سيدى يحيى التادلسى كان رحمه الله مشتهرا بالعلم والصلاح ، عالما مدرسا ومؤلفا كما سبقت الاشارة الى ذلك ، ومن آثاره الطيبة ، قصيدته التى رثا فيها احد اساتذته وذكر شمائله وجمال صبره وحسن اسلوبه فى التدريس(٣).

---

(١) تقييد الشريد : اى قيد الطريد الذى لامأوى له .
ترصيد الولد : اى مراقبة الولد .
عبد الوهاب بن منصور : المرجع السابق ، ص ١٤٤ ، المعجم الوسيط ، ص ٧٦٩،٤٧٨،٣٤٨ ، المرجع السابق .

(٢) السعدى : المصدر السابق ، ص ٥٥،٤٨ .

(٣) وكان مما قاله فيها :
وبالقبض للنظار فى العلم قبضه
وفى ذلك انذار بقرب الشدائد
اطلاب علم الفقه تدرون ما الذى
يثير هموم القلب من كل وافد =

....

= يثير هموم القلب فقد سميدع
فقيه حليم حامل للفرائد
بحسن تعليم مقرب فهمه
وفتاق تهذيب حسن الفوائد
محمد الأستاذ مودب ذى النهى
رباطا صبارا أمره فى التزايد
فياعجبا هل بعد من مبين
وياعربا هل بعده من مجالد
عبد الرحمن السعدى : المصدر السابق ، ص ٤٨ .

(د) العلوم التجريبية في صنعاى في فترة البحث :

من العلوم التى درسها بعض علماء صنعاى ودرسوها العلوم التجريبية ، من طبيعة وهندسة وطب وفلك وغيرها بالممارسة او التجربة المتوارثة من الآباء الى الأبناء او من أسرة الى اخرى ، او ماوصل اليهم مباشرة من تاثيرات خارجية ، ويرجع ظهور هذه العلوم في صنعاى منذ زمن بعيد ، ولكن لم تنل حظا من التدوين فى اى وقت من الأوقات طيلة فترة البحث الا القليل النادر ، ومما يزيد الامر غموضا هو قلة المعلومات التى وردت بذكر هذه العلوم فى المصادر الاساسية التى اهتم اصحابها بتدوين العلوم الاخرى ، حتى منتصف القرن الحادى عشر الهجرى ، السابع عشر الميلادى ، عندما ظهرت جماعة كبيرة من المؤلفين قاموا بتدوين وتاليف المواد التى كانت تدرس يومئذ فى صنغاى ، ومع ذلك لايمكن التصور أن العلوم التجريبية لم تكن موجودة بل كانت موجودة ومعروفة ومتداولة بين اهل صنغاى ، شانها فى ذلك شان غيرها من العلوم الدينية واللغوية التى كانت لدى العلماء الوافدين والرحالة ، الذين وصلوا صنغاى ، وان كانت هذه العلوم اقل انتشارا بين الناس ، ولم يكن يهتم بها الا عدد قليل من الافراد او بعض الاسر ، وحتى فى المغرب لم تكن هذه العلوم محل اهتمام كبير لدى العلماء فى فترة البحث ، وانما كانت جانبية (١)، لايهتم بها الا القليل من العلماء

---

(١) مثلا عن الكيميائيين : قال الحسن الوزان ، كان عدد الذين يتعاطون دراسة هذا الفن الجنونى التافه كثير جدا ، وهم اكثر الناس قذارة وانتنهم رائحة بسبب الكبريت وغيره من المواد الكريهة الرائحة التى =

لاحتياجها الى جهد وعمل متواصل فى المعامل والمستوصفات .

ويبدو ان تمكن الفقهاء من تسيير دفة الأمور وجلب انتباه المجتمع حولهم وخاصة الحكام ، قد وقف سدا منيعا امام انتشار هذه العلوم وبالتالى منعها من الظهور فى حلبة المنافسة ، وبالرغم من ذلك كله ، وردت اشارات كثيرة فى المصادر الأساسية القديمة وكذا المراجع الحديثة تدل على وجودها وتثبت ذلك بادلة قاطعة تجعلنا نزداد اعتقادا باهميتها فى ذلك الوقت ، دون ادنى شك ، وسواء على مستوى بعض العلماء المحليين او العلماء الوافدين ، مما زاد اهميتها وجعل من الصعب الاستهانة بها باى وجه حتى قبل دولة صنغاى(١) .

ونعرض بعضا من هذه العلوم لأهميتها فى فترة البحث لكونها مصدر معلوماتنا الوحيد فى هذا المجال :

= يعالجونها بايديهم ، يجتمعون مساء كل يوم تقريبا فى الجامع الكبير ، ويتناقشون فى الكشوفات المزعومة ، وايضا محمد الاندلسى نزيل مراكش فى فترة البحث كان مولعا بالكيمياء والرياضيات والطب والهيئة والطبيعة سجن مرتين بعد ان صدرت عنه مقالات شنيعة تتعلق بهذه الفنون العلمية واخيرا ادى الى قتله عام ٩٨٠هـ .
الحسن الوزان : وصف افريقيا ، ج١ ، ص ٢٧٥ ، الأعلام ، ج٤ ، ص ٣١٨ ، عبد العزيز بنعبد الله : الطب والأطباء بالمغرب ، ص ٥٩ .

(١) M. Sandale : Medecins et Action Sanitaire en Afrique noire p. 15-29 , Presance Africaine. Editions, 1969, Paris .

الطــب :

منـذ وقـت مبكـر عرف اهل السودان الغربى الطب ودرسوه وزاولـوه خاصـة على ايدى اطباء مغاربة ومصريين قدموا اليه واستوطنوه قبل فترة البحث(١).

وعندمـا قـامت دولـة صنغاى وجدت بها مراكز صحية تقوم مقـام المستشفيات كان يتردد عليها المرضى لمقابلة الأطباء والممـرضين علـى حسب ماورد فى المصادر التاريخية ومن ذلك مـاحدث فـى معركة شبكت زن زن بين الباشا محمود بن زرقون ، واسـكيا اسحاق عندما اصيب بعض قواد اسكيا فارسلهم الى احد الأربطة فعولجوا هنالك(٢).

والـى جانب المراكز الصحية وجدت اربطة صحية اخرى تقع الـى جـانب بعض المساجد يمولها الائمة والأثرياء والقضاة ثم

---

(١) زار ابـن بطوطـة دولـة مـل وجـد فيها كثيرا من علماء المغاربـة والمصريين ، ومن بينهم اطباء يزاولون مهنة الطب .

ابـن بطوطة : رحلته ، ص ٦٨١ ، دار بيروت عام ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م ، زاهـر رياض : بوفيبل الممالك الاسلامية فى غرب افريقيـا واثرها فى تجار الذهب ، ص ١٢٧ ، ترجمة زاهر رياض ، المرجع السابق ، ص ١٢٧ ، ابراهيم على طرخان : المرجـع السابق ، ص ١٠٠، ١٥٤ ، محمد عبد الله النقيرة التـاثير الاسلامى : فى غرب افريقيا ، ص ٢٥٨ .

(٢) منهـم بلمـع محمد كاغ ابن اسكيا داود ، وغيره ، وقد حدث مثل ذلك ايضا مرة فى كاتسينا .

عبد الرحمن السعدى : المصدر السابق ، ص ١٠٣، ١٤٦ ،

D.T.Niane, op. cit. p. 255 .

الأمراء من اسرة الأساكى ، يتداوى فيها الجنود وعامة الناس مجانا (١).

وهناك ايضا بعض القرى التى هى عبارة عن مراكز صحية حيث يتجمع فيها الأطباء ، ويتم استقبال المرضى الذين يقصدون مثل هذه المجمعات كافراد ويعالجون فى أقصر مدة (٢)، ومثل هذه القرى كانت كثيرة الانتشار فى صنغاى . وكان بعض الأسر ، وبعض الأفراد ، فى صنغاى يحترف مهنة الطب التقليدى (٣) باستعمال العقاقير ويحظون باحترام الجماهير وتوقيرها (٤)، وكان العلماء يحاربونهم باعتبار كل من يزاول الطب التقليدى اما ان يكون كاهنا او قسا (٥)، ولايليق معاملتهم الا ان الأوربيين (٦)، لما جاءوا اعترفوا لهم بالفضل بمعرفة السر فى هذا الفن العظيم وخبرتهم العالية (٧).

---

(١) D.T.Niane. op. cit. p. 255 .

(٢) D.T.Niane. op. cit. p. 255 .

(٣) كان المغرب حتى بعد فترة البحث يعتمد على الطب التقليدى المنحصر على بعض الأسر ، أو الأفراد غالبا .

(٤) تاريخ افريقيا العام ، ج٤ ، المرجع السابق ، ص ٢١٩ .

(٥) القس بمعنى الكاهن ، والكاهن بلغة السريانية معناها الشيخ . المنجد ، المصدر السابق ، ص ٦٢٧ .

(٦) منهم السيد مسكراى مدير المعهد الفرنسى ، الذى ترأس وفد استكشافى بالجمعية الجغرافية التجارية فى باريس لرحلة الصحراء الكبرى لزيارة عدد من المدن السودانية والمغربية ، وله فى ذلك مؤلف :

(٧) السيد مسكراى : الصحراء المغربية ، ص ٨٣ .

اما الأطباء فقد كانوا على مستويات مختلفة ولكنهم كانوا يؤدون مهام اعمالهم تحت اشراف الدولة ، أو الأساكي(١) .

وكان للعلماء مساهمة كبيرة فى محاربة الأمراض على منهج ماوضعه السلف الصالح وعلماؤهم من كتب الطب الاسلامى ويضيفون الى ذلك ماتوارثوه عن اجدادهم فى هذه البلاد ، وكان هذا هو الشائع والمنتشر فيها فى فترة البحث(٢) .

---

(١) D.T.Niane. op. cit. p. 254 .

(٢) آدم عبد الله الألورى : الاسلام اليوم وغدا فى نيجيريا ص ٤٥ ، مطبعة المختار الاسلامى ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

الميدلة (١) :

عرف اهل السودان الغربى علم الميدلة قبل قيام دولة منغاى ، وكثر استعماله وتداوله بين الناس ، وتطور فى فترة البحث حيث كان يتمشى مع مهنة التطبيب عن طريق استعمال مجموعة من الاعشاب التى تستخدم لمعالجة الأمراض المختلفة ، وتتوفر مثل هذه الأعشاب كثيرا فى منغاى(٢).

ويعتنى اهل منغاى بصفة عامة بانواع النباتات التى تستعمل فى الاغراض الطبية .

ومصادر هذه الأعشاب كثيرة ومتنوعة منها ماينمو داخل البرك المائية وهذه النباتات لاتوجد فى مكان غير السودان الغربى ، ولذلك فان الحكام كانوا يلحون على اخراجها ، والمحافظة عليها لاستعمالها عند الحاجة اليها ، ومنها مايؤخذ من الحيوانات(٣)، ومايؤخذ من انواع من السمك معروف

---

(١) هى معرفة خاصية الاعشاب وطبائعها ، وكثيرا ماتعد الميدلة من فروع علم الطب .

(٢) قامت منظمة الصحة العالمية باحصاء الأعشاب الطبية الموجودة فى جمهورية مل وحدها فكانت اكثر من اربعمائة فصيلة ، من هذه الانواع النافعة .

(٣) وهو سم قاتل وتحمل كل اصناف السموم التى تؤخذ من الحيوانات الى خزائن الحكام ويتم منعها تحت اشرافهم ... الخ .

القلقشندى : صبح الأعشى ، ج٥ ، ص ٢١٧،٢٨٥،٢٨٧-٢٨٩

المصدر السابق .

عندهم (١) .

ويكاد يمتلىء شط نهر النيجر بالنباتات الطبية التى كانت كثيرة النفع لأهل البلاد (٢)، وقد كثر استعمال هذه النباتات فى تصنيع الأدوية وكذلك للمعالجة والتطبيب(٣) .

ولاشك ان بعض اهل صنغاى درسوا هذه الأعشاب وعرفوا طبائعها ، وحضروا العقاقير المفردة والمركبة منها وكانوا يقومون ببيعها ، وكان من العادات المتبعة عند الافارقة فى فترة البحث ، تخصيص مكان خاص فى السوق لبيع الأدوية المستخرجة من هذه النباتات حيث كانت معروفة عند الناس بفعاليتها ضد الأمراض ، وقد وصف الحسن الوزان (٤)هذا المظهر عندما زار صنغاى فى ذروتها ، وقال : "يوجد بها كثير من دكاكين الأطباء ... وأن المعارف التى يعالج بها أولئك الأطباء هى نفس المعارف التى عرفها العالم الاسلامى ، حتى ذلك الحين" (٥) .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٩١ .

(٢) ابو الفداء : تقويم البلدان ، ص ١٥٣ ، تحقيق رينود والبارون ، دار الطباعة السلطانية ، باريس ١٨٤٠م .

(٣) اصيب ابن بطوطة فى مل ، وطلب دواء من طبيب مصرى مقيم فيها ، فاتى بشىء يسمى "بيدر" وهو عروق نبات واخلطه بالانيسون والسكر ولته بالماء فشربه وتقيأ ، وعافاه الله من ضره .
ابن بطوطة : تحفة النظار ، ص ٦٨٠ .

(٤) الحسن الوزان : انظر ص ١٨، ٢٩.

(٥) الحسن الوزان : المصدر السابق ، ص ، عبد القادر زبادية : المرجع السابق ، ص ١٣٦ .

وكان الحسن الوزان من مشاهير علماء التاريخ والجغرافيا والطب ، وكان يمارس مهنة الطب(١).

وقد شملت الدراسات الطبية فى صنغاى ماكتبه العلماء المتقدمون ، وان كان عدد هذه الكتب بالنسبة لكتب الدين واللغة والادب قليل حتى ببلاد المغرب كانت تعد هذه الكتب على الاصابع ، وفى صنغاى اقل مما فى المغرب ، وكانت الكتب المعتمدة فى الطب والصيدلة فى مناهج الدراسة والاطلاع مايلى

* مؤلفات ابن سيناء (٢)منها : ارجوزته فى الطب(٣)، وكتاب الشفا (٤).

---

(١) عبد العزيز بنعبد الله : الطب والأطباء بالمغرب ، ص ٦٥ . نقلا عن المغرب فى السنوات الأولى للقرن السادس عشر ، لوحة جغرافية حسب ليون افريقى بقلم ماسينيون ، الجزائر ١٩٠٦م .

(٢) هو ابن على الحسين بن عبد الله بن سيناء ، ولد فى مدينة بخارى بآسيا الوسطى وتوفى عام ٤٢٨هـ/١٠٣٧م ، انظر القانون فى الطب ج٢ ، طبعة جديدة بالاوفست عن طبعة بولاق ، مكتبة المثنى ، بغداد ، الفاضل العبيد عمر : الطب الاسلامى عبر القرون ، ص ٣٨٠ ، دار المطبوعات الحديثة ، جدة ، الناشر : دار الشواف للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ/١٩٨٩م .

(٣) تضم كل مايتعلق بالطب فى قالب شعرى رصين .
احمد بابا : نيل الابتهاج ، المرجع السابق ، ص ١٧٧ ،
الفاضل العبيد عمر : المرجع السابق ، ص ٣٨٢ .

(٤) وفيه كثير من المعلومات فيما يتعلق بالطب النفسى ، وكان الامام الزمورى ، ت بعد ٨٨٨هـ ، من شارحه فى =

* مؤلفات داود الانطاكى ت ١٠٠٥هـ(١)منها : تذكرة اولى الالباب والجامع للعجب العجاب(٢).

* مؤلفات الامام عبد الرحمن السيوطى ت ٩١١هـ(٣)، منها : الرحمة فى الطب والحكمة ، وكذلك المنهج القوى والمنهل الروى فى الطب النبوى(٤).

= مجلد كبير ومدرسه فى مدينة ولاته .
احمد بابا : نيل الابتهاج ، المصدر السابق ، ص ١٦١ ، الفاضل العبيد عمر : المرجع السابق ، ص ٣٨٢ .

(١) من الأطباء البارزين ، له ابحاث عديدة فى طب الأطفال والصيدلة .
داود الانطاكى : تذكرة اولى الالباب والجامع للعجب العجاب ، المطبعة العثمانية المصرية ، جمادى الأولى ١٣٥٦هـ ، حاجى خليفة : كشف الظنون عن اسامى الكتب والفنون ٣٨٦/١ المصدر السابق ، الفاضل العبيد عمر : المرجع السابق ، ص ٣٧٧ ، آدم عبد الله الالورى : الاسلام اليوم وغدا فى نيجيريا ، ص ٤٥ ، مطبعة المختار الاسلامى ، القاهرة ، الناشر : مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

(٢) قد اشتهر هذا الكتاب فى بلاد السودان فى فترة البحث .

(٣) وهو من علماء القرن التاسع الهجرى ، وممن وصل الى بلاد السودان الغربى ، وشارك فى التدريس واقام مدة فى بلاد الحوصا ، ثم رجع الى بلاده .

(٤) من الكتب المشهورة تداولا بين الناس فى علم الطب فى صنغاى فى فترة البحث .
مجلة المؤرخ العربى ، عدد ١٤ ، ص ٢١٦ ، عبد العزيز بنعبد الله : الطب والأطباء بالمغرب ، ص ٩٩ .

* مؤلفات احمد بابا التمبكتى(١)، منها : اللمع فى الاشارة فى حكم طبغ ، وجواب فى استعمال الدخان(٢).

* مؤلفات ابن الحاج(٣)، منها : مدخل(٤) الشرع الشريف على المذاهب ، او المدخل الى تنمية الأعمال بتحسين النيات والتنبيه على بعض البدع والعوائد التى انتحلت وبيان شفاعتها وقبحها(٥).

---

(١) احمد بابا التمبكتى ت ١٠٣٦هـ ، قد سبقت الاشارة اليه فى مواضع كثيرة سابقة ص ٢٩ .

(٢) يتناول الكتاب عدة مواد منشطة منها التبغ منافعها ومضارها فى الصحة والآثار الجانبية التى تحدث بعد استعمالها وحكم استعماله من الناحية الشرعية ، ولايزال الكتاب مخطوطا ، ويوجد نسخة منه فى مكتبة تمكروت ، رقم ٢٩٩٩ع . السبرتلى : المرجع السابق ، ص ٣٦ .

(٣) ترجمه عدد من المؤرخين ، وهو أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدرى الفاسى المالكى الشهير بابن الحاج ت ٧٣٧هـ ، له مؤلفات نافعة من اجلها هذا الكتاب ويحتوى على اربعة أجزاء ، مجلدان ، المدخل ، ج١ ، ص ٢ .

(٤) هذا الكتاب مطبوع بمطبعة دار الحديث عام ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م .

(٥) نفس الكتاب المذكور ص ٦٠٢ ، المصدر السابق .

العلماء الذين مارسوا مهنة الطب وألفوا فيه في فترة البحث

كان العلماء يقومون بالتوعية الصحية فى منغاى بوسائل متعددة منها معالجة بعض المرضى وكان منهم أطباء مهرة اشتهروا بخبرتهم فى معالجة حالات متعددة من الامراض منها الأمراض الباطنية ، والعيون وأنواع الجروح وغير ذلك ، ومن اشهر هؤلاء :

* العلامة عبد الرحمن بن على بن أحمد القصرى ثم الفاسى(١)، كان رحمه الله ممن دخل بلاد السودان الغربى ومكث فى كانو وغيرها من مدنها ومارس التدريس بشتى أنواع أمهات الكتب فى الفنون منها فن الطب ، وكان يقرىء الفية ابن سيناء(٢) الى جانب كتب الحديث والتفسير كما سبقت الاشارة الى ذلك .

* ومنهم ايضا الامام عبد الرحمن السيوطى(٣)، ذكر عن نفسه بنفسه انه مهر فى الفنون منها الطب ، مارس التدريس والتاليف فيه وكان ممن وصل الى بلاد منغاى ، ومكث مدة لتدريس العلوم فيها ، ومنها مهنة الطب ، واشتهر كتابه (٤)

---

(١) وكان من مشاهير الأطباء فى عمره بالمغرب ، كما سبقت الاشارة اليه ص ١٧٦ .

(٢) أحمد بابا : نيل الابتهاج ص ١٧٦ ، المصدر السابق ، عبد العزيز بنعبد الله : الطب والأطباء بالمغرب ، ص ٥٧ .

(٣) قد سبقت الاشارة اليه سابقا ص ١٣٨ .

(٤) عبد الرحمن السيوطى : همع الهوامع فى شرح جمع الجوامع ، ج١ ، تحقيق وشرح د. عبد العال سالم مكرم ، وعبد السلام محمد هارون ، دار البحوث العلمية ، الكويت ١٣٩٤هـ/١٩٧٥م ، ص ٩ ، الشرح والتحقيق ، د.عبد =

بين الناس ، الرحمة فى الطب والحكمة ، وأيضا المنهج القوى والمنهل الروى فى الطب النبوى(١).

* ومن المهتمين بهذا العلم محمد بن محمود بن ابى بكر الونكرى التمبكتى(٢)، كان رحمه الله ممن عرف بتمكنه فى التدريس على معظم امهات الكتب منها كتاب المدخل لابن الحاج(٣)، وفيه معلومات كافية عن مهنة الطب والصيدلة من حيث آداب الطبيب والفرق بين الطبيب المسلم والكافر وانواع متعددة من الادوية وطرق تركيباتها ، ووصف حالات متعددة من الامراض كثيرة الانتشار بين الناس .

* ومن مؤلفى علم الطب فى فترة البحث احمد بابا التمبكتى الشهير بابى العباس(٤) الذى اعترف بنفسه بتمكنه فى العلوم والفنون وشهد له بذلك علماء عصره منها فى الطب بالممارسة والتدريس والتاليف ، واخذ عن أستاذه محمد بن محمود المتقدم ذكره آنفا فى معظم الفنون منها فن الطب ، وقرا عليه كتاب المدخل المتقدم ذكره وغيره من امهات الكتب فضلا عما ورثه من اسرته ، وله كثير من التاليف منها اللمع فى الاشارة فى حكم طبغ ، وكذلك جواب فى استعمال

= العال سالم مكرم ، الناشر : دار البحوث العلمية ، الكويت ١٣٩٤هـ/١٩٧٥م ، احمد محمد كانمى : المرجع السابق ، ص ٢٧ ، مجلة المؤرخ العربى ، عدد ١٤ ، ص٢١٦

(١) انظر ص ١٢٨.

(٢) احمد بابا : نيل الابتهاج ، المصدر السابق ، ص ٣٤١ .

(٣) الجزء الرابع منه .

(٤) انظر الصفحات التالية : ٢٩.

الدخان (١) .

* ومن الفقهاء الذين عرفوا الطب وزاولوه الفقيه كاتب موسى(٢)، ومما قام به فى هذا الفن انه وقع مرض فى تمبكتو فى وقت ما ، قل من سلم منه فقام واحضر نوعا من الاعشاب الى البلدة وباعها واستشفى بها الناس حتى برءوا من مرضهم (٣)باذن الله .

* وكذلك برز أيضا العالم ابراهيم السوسى(٤)، الذى استوطن فى كبار ميناء تمبكتو ، كان هذا العالم يعالج انواعا متعددة من الامراض منها مرض العيون ، وقد عالج هذا الطبيب احد اخوة السعدى(٥)من مرض لازم عينيه (٦).

ومن العلماء المهتمين بعلم الطب والتطبيب الحسن الوزان اضافة الى علمى التاريخ والجغرافيا كما سبقت الاشارة اليه ، وكان يمارس مهنة التطبيب فى بيمارستانات

---

(١) قد سبقت الاشارة اليهما سابقا . البرتلى : المرجع السابق ، ص ٢٩٧،٣٦

(٢) هو القاضى عبد الرحمن بن أبى بكر بن الحاج تولى القضاء بتمبكتو فى اواخر دولة مل المذكور سابقا ص٥٥.

(٣) احمد بابا : نيل الابتهاج ، المصدر السابق ، ص ٣٤٤ ، عبد الرحمن السعدى : المصدر السابق ، ص ٥٧ ، البرتلى المرجع السابق ، ص ١٥٨ .

(٤) لم اقف على ترجمته اكثر من هذا بعد .

(٥) عبد الرحمن السعدى : مؤلف كتاب تاريخ السودان ، المذكور سابقا ص٢٦،١٤ .

(٦) نعيم قداح : حضارة الاسلام ، المرجع السابق ، ص ١٦٣ ، افريقيا الغربية ، المرجع السابق ، ص ١٤٨ .

المغرب قبل أن يقوم بزياراته المتكررة الى صنغاى فى فترة البحث(١).

بالاضافة الى أطباء محليين كانوا يزاولون مهنة التطبيب امثال أحد الخميان الذى احترف الطب ونبغ فيه (٢)، فى غاو .

(١) عبد العزيز بنعبد الله : الطب والأطباء بالمغرب ، ص ٦٥ .

(٢) وسافر الى فرنسا مع احد الفرنسى الذى سكن فى غاو احد عشر عاما واستقروا فى تولوز ونجح هذا الطبيب الى حد انه عالج ولى العهد شارل السادس ١٣٦٨-١٤٢٢م الذى اصيب بالجنون على فترات بعد ١٣٩٢م ، حين كان مريضا الأمر الذى سبب كثيرا من الضيق لأطباء المدينة .
نقلا عن تاريخ الفتاش المكتوب باللغة الفرنسية .
E.W.Bovill الممالك الاسلامية فى غرب افريقيا واثرها فى تجارة الذهب ، ص ١٥٠ ، ترجمة زاهر رياض ، المرجع السابق.

من العلوم التجريبية التي ظهرت في فترة البحث في صنغاي علم الفلك والرياضيات :

عرف علماء صنغاى علم الفلك "او الهيئة "(١)ضمن ماعرفوه من العلوم التجريبية ذكر ذلك اكثر المؤرخين والباحثين فى السودان الغربى ، وقد وصلت درجة اهميته ان ادمج فى المناهج الدراسية ، فكان يدرس فى معظم المدارس الكبرى ، ويمكن القول بأن علماء صنغاى وطلابها ارتحلوا لطلبه خارج بلادهم حيث مست حاجتهم الى الاهتمام به وربما كان على المسلمين معرفته لأغراض معظمها دينية "كتعيين سمت القبلة وتحقيق الزوال ، ومعرفة أوائل الشهور القمرية وأواخرها ، لأن أوقات الصلوات الخمس تختلف من بلد الى بلد "(٢)، فضلا عن معرفة الحجاج طرق الحج ، وكذلك احتياج قوافل التجارة التى تجول بتجارتها من صنغاى واليها ، الى هذا العلم حتى لاتضل الطريق .

ومن أبرز العلماء الذين اشتهروا بمعرفة هذا العلم عبد الرحمن بن الحاج احمد المغربى الطرابلسى الشهير

---

(١) وهو علم ينظر فى حركات الكواكب الثابتة والمتحركة ، وله قوانين كالمقدمات والأصول فى معرفة الشهور والأيام والتواريخ الماضية وغيرها .
ابن خلدون : المقدمة ، المصدر السابق ، ص ٦٤١-٦٤٣ .

(٢) عباس العزاوى : تاريخ علم الفلك فى العراق وعلاقاته بالأقطار الاسلامية فى العهود التالية لأيام العباسيين ص ٢٨٧ ، مطبعة المجمع العلمى العراقى عام ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م ، مريزن عسيرى : المرجع السابق ، ص ٥٠٥ .

بالتاجورى المتوفى قريبا من ٩٦٠هـ(١)، وكان رحمه الله اعلم اهل زمانه فى علم الميقات على الاطلاق فى هذه الفترة، وتخرج على يديه كوادر من علماء صنغاى، منهم على وجه الخصوص والد احمد بابا (٢)، وشيخه (٣)، وحملوا علمه وكتبه الى صنغاى .

ومن اشهر علماء الفلك والرياضة فى فترة البحث محمد ابراهيم التتائى(٤)، الذى اشتهر بطول باعه فى الفرائض والحساب والميقات، وقد تتلمذ عليه بعض علماء صنغاى، واخذوا عنه، قال احمد بابا وجدته بخط بعض اصحابنا (٥)، وقد عرف علماء السودان الغربى مؤلفاته دراسة وتصحيحا .

اما الحساب فقد عرفوه ضمن ماعرفوا من العلوم، وبوصول الاسلام الى هذه البلاد تطورت القراءة والكتابة وتطور معهما معرفة الحساب .

ومن ابرز علماء الفلك والحساب الامام الزمورى(٦)، وكان رحمه الله ممن وصل الى بلاد ولاته واشتغل بالتدريس والتاليف، ولقى هناك فقهاءها فاثنى عليهم بالعلم ومن مؤلفاته فى علم الفلك والحساب ارجوزته فى وصف المنازل(٧).

---

(١) وكان رحمه الله من شيوخ الأفارقة، قد ذكر سابقا ص٦٦؟
احمد بابا : نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص ١٧٦ .

(٢) انظر ص ٧٦ .

(٣) وهو الشيخ محمد بن محمود الونكرى، شيخ احمد بابا واستاذه، وقد سبق الاشارة اليه ص ٧٧ .

(٤) احمد بابا : نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص ٣٣٥ .

(٥) احمد بابا : نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص ٣٣٥ .

(٦) انظرص ٢٣٠ .

(٧) احمد بابا : نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص ١٦١ ،
محمد حجى : الحركة العلمية فى عهد السعديين، ص ١٥٩.

ومن رواد العلماء الذين أحيوا علم الحساب فى صنغاى الامام ابن غازى(١)، الذى حضر الى بلاد الحوصا وتولى التدريس واشتغل بالتاليف ومن مؤلفاته كتاب منية الحساب(٢) وهو رجز فى مائتين وخمسين بيتا ، يشتمل على امهات علم الحساب شرح بها نظمه السابق(٣).

وكذلك العالم الحسن المشتوكى(٤) الذى برع فى علم الحساب والجبر واشتهر بهما وكان يدرس فى تغاز(٥)، ومن تاليفه شرح كشف الأسرار عن علم حروف الغبار ، لأبى الحسن

---

(١) انظر ص ١٣٨ .

(٢) يوجد منه مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم ٢٢٤٣ .

(٣) طبعت على الحجر بفاس فى ٢٤٨ صفحة . محمد حجى : المرجع السابق ، ص ١٥٧ .

(٤) ولم اقف على ترجمته أكثر من هذا بعد .

(٥) تغاز مدينة ماهولة فيها عدد من مناجم الملح التى تشبه مقالع الرخام ، تاتى اليها القوافل لاستخراج هذا الملح أو لشرائه ، وتقع هذه المدينة على حدود بين صنغاى ومراكش وتبعد عن مدينة تمبكتو على مسيرة عشرين يوما وكذلك عن مدينة درعة .

الحسن الوزان : وصف افريقيا ، ج٢ ، ص ١٠٨ ، المصدر السابق ، الشيخ امين عوض الله : العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربى ، ص ١٣٠ ، المرجع السابق ، محمد الغربى : بداية الحكم المغربى فى السودان الغربى ، ص ٦٧٠ ، المرجع السابق ، عبد الرحمن عبد الله الشيخ : دول الاسلام وحضارته فى افريقيا ، بحوث فى التاريخ الحديث ص ٧١ ، دار اللواء للنشر والتوزيع الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

القلمادي (١) .

ومما يدل على زيادة انتشار علم الحساب في عهد منغاى وكثرة اقبال الناس على تعلمه ان ادمج هو الآخر في المناهج الدراسية (٢)، ويبدأ تدريسه في المرحلة الابتدائية ، ويتمشى مع القراءة والكتابة جنبا الى جنب ، وهكذا اصبحت دراسته تنتشر بين الناس ، وهذا على عكس مايعتبره بعض المؤرخين (٣) في السودان الغربي من أن انتشاره نتيجة انتشار التعليم الانجليزي او الفرنسي في عهد الاستعمار .

وهناك فنون اخرى برع فيها علماء منغاى والبرنو (٤) ،

---

(١) هو على بن محمد بن محمد بن على القرشي البسطى الأندلسي ٨١٥-٨٩١هـ .

محمد بن الحسن الفاسي : الفكر السامي في تاريخ التشريع الاسلامي ، ج٢ ، ص ٢٦١ .

(٢) من ضمن الكتب المقرر تدريسها في الرياضيات هي : مقدمة التاجوري في علم الفلك والتوقيت ، والهاشمية في التنظيم مع شرحها ، ونظم ابي مقرع في حساب السنة وغيره .

احمد بابا : نيل الابتهاج ، المصدر السابق ، ص ٣٤١- ٣٤٢ .

(٣) منهم الشيخ آدم عبد الله الالوري ، موجز تاريخ نيجيريا ، المرجع السابق ، ص ٩٣ .

(٤) اقليم يتاخم وانكرة غربا ويمتد شرقا ، ويبعد بنحو مائة وخمسين ميلا عن منبع النيجر ، وهي من اقاليم النيجرية الشمالية الحالية ، الحسن الوزان : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ١٧٥ .

وهى : علم اسرار الحروف(١)، وعلم الجفر(٢)، وعلم الرمل(٣) والخوافى(٤)، والاوفاق(٥)، ولم تكن معرفتهم هذه الفنون معرفة سطحية وانما وصلوا الى درجة أن قصدهم العلماء من كل حدب وصوب لتعلم هذه الفنون مع العلم بان بعض العلماء قد نوهوا الى خطورة تعلم هذه العلوم لأنها تصرف الانسان عن العمل الاسلامى الصحيح(٦).

---

(١) هو من تفاريع علم السيمياء ، لايوقف على موضوعه ولاتحاط بالعدد مسائله .
ابن خلدون : المقدمة ، المصدر السابق ، ص ٦٦٤ ، الحسن الوزان : المصدر السابق ، ص ٢٧٢-٢٧٣ .

(٢) هو علم يبحث فيه عن المجهولات . المعجم الوسيط ، ص ٣٧٤ .

(٣) علم يبحث فيه عن الحروف من حيث دلالتها على أحداث العالم . المعجم الوسيط ، ص ١٢٦ .

(٤) هو من فروع علم أسرار الحروف ، التى سبقت الاشارة اليها ص ٦٦؟

(٥) انظر ص ٦٦؟

(٦) محمد بلو : انفاق الميسور ص ٣٠-٣١ المصدر السابق ، أحمد محمد كانمى : المرجع السابق ، ص ٢٢ .

الفصل الخامس

نهاية مملكة صنغاى

* الغزو المغربى وأثره على صنغاى .

* أثر الغزو المغربى فى النهضة الدينية .

* أثر الغزو المغربى فى السياسة .

* أثر الغزو المغربى فى التعليم والثقافة .

* أثر الغزو المغربى فى الاقتصاد .

الغزو المغربي واثره على صنغاى :

منذ ان تولى آل اسكيا حكم دولة صنغاى فى النصف الأول من القرن التاسع الهجرى ، الخامس عشر الميلادى ، على يد الحاج محمد بن أبى بكر التورى ، بنى حكمه على القواعد الشرعية وجرى على منهاج اهل السنة ، فاحيا طريق العدل ونصر السنة (١)، وتبعته ذريته واسباطه فى ذلك حتى نهاية القرن السادس عشر الميلادى ، فى النصف الثانى من القرن العاشر الهجرى ، وتوثقت العلاقات الثقافية والسياسية والاقتصادية بين دولة صنغاى وبين الحواضر الاسلامية والعربية وظلت مزدهرة حتى خضعت للحكم المراكشى(٢)فى عهد المنصور (٣)

وقد بلغت هذه الدولة قمة الازدهار الثقافى والسياسى والاقتصادى ، وقد وصف المؤرخون ذلك بدقة ، قال صاحب تاريخ الفتاش(٤)عن مدينة تمبكتو "قبل اجلاء أولاد القاضى محمود بن عمر (٥)وحفدته واسباطه انها مدينة فى غاية الحسن والجمال واقامة الدين واحياء السنة ، بها ماشئت من دين ودنيا فهى يومئذ ليس فيها حكم الا حكم متولى الشرع ولاسلطان فيها الا لكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، والقاضى هو الذى بيده الحل والربط وحده "(٦)، فذلك أمر واقع وحقيقى عن

---

(١) الوفرانى : المرجع السابق ، ص ٨٩ .

(٢) السعدى : ص ١٣٦-١٣٧ المصدر السابق ، جامعة الدول العربية : العلاقات العربية الافريقية ، المرجع السابق ص ٨٩ .

(٣) انظر ص ١٠٦ .

(٤) انظر الصفحات التالية : ٢٤ .

(٥) انظر الصفحات التالية : ٥٥ .

(٦) الفع محمود كعت : المصدر السابق ، ص ١٧٨ .

تلك الدولة (١)، وحتى الدول التى سبقتها (٢)كانت تدين بالاسلام وتحكم بشريعته ، وتواتر ذلك بين ابناء الأمة الاسلامية ومع هذا لم يعترف لهم بذلك كثير من حكام المسلمين وخاصة السعديين فى المغرب ، ورموهم بالكفر والوثنية والرق مادام لونهم اسود وحكموا عليهم بحكم الجاهلية الأولى ، وارادوا بذلك عرض الحياة الدنيا .

قال الناصرى(٣) : "من اخبار السودان الغربى ماكان عليه اهل تلك البلاد من اخذ بدين الاسلام من قديم وانهم من احسن الأمم اسلاما واقومهم دينا واكثرهم حبا للعلم واهله تحصيلا ومحبة ، وهذا الأمر شائع فى جل ممالكهم الموالية للمغرب كما علمت ، وبهذا يظهر لك شناعة ماعمت به البلوى بلاد المغرب من قديم من استرقاق أهل السودان مطلقا وجلب القطعان الكثيرة منهم كل سنة "(٤).

اما الناحية الاقتصادية بها فقد اهتم اسكيا اسحاق بن داود (٥)بالزراعة والتجارة والعمران حتى اصبحت غاو عاصمة دولته تضارع اكبر الاسواق فى السودان الغربى حينذاك ، وبلغت فى روعة البيان وكثرة السكان شاوا بعيدا .

اما مدينتا تمبكتو وجنى فقد بلغتا قمة الاتساع

---

(١) وهذا الأمر ينطبق على الدولة وليس لمدينة واحدة من مدنها . احمد بابا : نيل الابتهاج ص ٣٣١ المصدر السابق .

(٢) انظر ص ١٩ .

(٣) صاحب كتاب الاستقصا فى اخبار دول المغرب الأقصى .

(٤) الناصرى : المرجع السابق ، ج٥ ، ص ١٣١ .

(٥) اسحاق بن داود وفى عهده غزى المغرب دولة صنغاى .

والازدهار وتمتع سكانهما بقدر كبير من الرفاهية (١)، وكانت أرض السودان الغربي عموما حينذاك من أعظم ارض الله نعمة ورفاهية وأمنا وعافية وثقافة واطمئنانا (٢).

ولم يدرك اسكيا اسحاق ابدا ماكان ينتظره من قبل جيرانه من الشمال من قبل حكام دولة الاشراف في المغرب (٣) ظنا منه ان الأمر لايعدو ان يكون خلافات حدودية ومهما تطورت لاتصل الى جوهر حكمه .

أما جيرانه أعني السلطان أحمد المنصور فقد فاجا جميع رعاياه وعلى الأخص مجلس الشورى ورأى أن الظروف مواتية له ليوسع دولته ويقوى بنيتها على حساب دولة صنغاى الغنية باقتصادها ومعادنها وزراعتها وتجارتها خاصة وانها دولة ضعيفة من حيث العدة والعدد وأعلن ذلك على الملأ وأرسل الى اسكيا اسحاق للدخول في طاعته ، ولما ماطل اسحاق بالجواب قرر القضاء على حكام صنغاى وعلمائها ووجهائها (٤)، وأخذ ثرواتها بأى ثمن ، ثم جمع حاشيته والقى خطبته الشهيرة (٥)،

---

(١) الحسن الوزان : ص ١٦٠-١٦٢ المصدر السابق ، مجلة كلية الشريعة بالاحساء عدد ٢١٠ ، ص ٦٣٢ .

(٢) عبد الرحمن السعدى : المصدر السابق ، ص ١٤٢ .

(٣) أى دولة السعديين المعاصرة لدولة صنغاى في القرن السادس عشر الميلادى .

(٤) على الترتيب : ابتداء من الحكام ، ثم العلماء والوجهاء .

(٥) جمع المنصور أعيان دولته وأهل الرأى والمشورة فاجتمعوا وكان يوم اجتماعهم يوما مشهودا ، وقال لهم المنصور انى عزمت على منازلة امير غاو وصاحب السودان =

وتناسى ان هذه الدولة اسلامية لها حقوقها مهما كان وهناك من هو أولى بالغزو (١) :

= وبعث الجيوش اليهم لتجتمع كلمة الاسلام وتتفق ولأن بلاد السودان وافرة الخراج كثيرة المال يتقوى بها جيش المسلمين ويشتد بها ساعد كتيبة المؤمنين مع ان صاحب أمرهم والمتولي عليهم اليوم ملكهم معزول عن الامارة شرعا اذ ليس بقرشي ولا اجتمعت فيه شرائط السلطنة العظمى .
عارضه الجميع بحجة بعد المسافة واستحالة الأمر ، ومع ذلك فان دولة الموحدين ودولة بني مرين على قوتهم لم يطمحوا على ذلك فالصواب الاقتفاء لاثر تلك الدول ، فان المتاخر لايكون اعقل من الأول دائما ... قال المنصور فاعلموا ان المرابطين صرفوا عنايتهم لغزو الأندلس ومقاتلة الافرنج ومن بذلك الساحل من أمم ، والموحدون اقتفوا سبيلهم في ذلك مع حرب ابن غانية والمرينيون كانت غالب وقائعهم مع بني عبد الواد بتلمسان ونحن اليوم قد انسدت ابواب الأندلس باستيلاء العدو الكافر عليه جملة ، وانقضت عنا حروب تلمسان ونواحيها من الجزائر باستيلاء الترك عليها .. فان بلاد السودان انفع من افريقية فالاشتغال بها أولى من منازلة الاتراك لأنه تعب كثير في نفع قليل فهذا جواب ماعرض لكم .
الوفراني : المرجع السابق ، ص ٩٠-٩٢ ، الناصري : المرجع السابق ، ص ١١٢-١١٤ .

(١) الذين كانوا قد استولوا على الجزائر ، وأرادوا المغرب نفسها .

البرتغاليين (١)، الذين كانوا يعيشون فى الأرض فسادا ويهددون الحرمين الشريفين .

قال السلطان أحمد المنصور : "بلاد السودان وافرة الخراج كثيرة المال مع ان صاحب أمرهم والمتولى عليهم اليوم معزول عن الامارة شرعا اذ ليس بقرشي ولا اجتمعت فيه شرائط السلطنة العظمى ، وليس عندهم الآن من السلاح الا الرماح والسيوف وهى لاتقاوم هذه المدافع المستحدثة فمقاتلتهم سهلة وحربهم أسهل ، وان بلاد السودان انفع من افريقية فالاشتغال بها اولى من منازلة الاتراك لانه تعب كثير فى نفع قليل ، فهذا جواب ماعرض لكم" (٢).

وقد نسى المنصور انها بلاد مسلمة تضم شعبا مسلما طمع فى امواله وارضه فأراد الفتك به وافنائه والاستيلاء على كل مقدراته وانتهى الامر بان جهز المنصور جيشا قويا (٣)، وأرسله الى منازلة جيش صنغاى . وجعل جودر باشا (٤) قائدا وأميرا عليه وزوده باحدث أسلحة عصره من المدافع والبنادق وبكل مايحتاج اليه (٥)، وتوجهوا الى صنغاى ، فوصل الجيش

---

(١) منذ عام ١٥٧٨م حاولت البرتغال تحسين اوضاعها فى مراكش بهدف ضم مراكش واتخاذها قاعدة للهجوم على الاتراك وطردهم من سواحل شمال افريقيا ، كولين ماكفيدى ص ٣٣ ، المرجع السابق .

(٢) اليفرانى : المرجع السابق ، ص ٩١-١١٤ ، الناصرى : المرجع السابق ، ج٥ ، ص ١١٢-١١٤ .

(٣) لايقل عددهم على خمسة آلاف فارس مع اسلحة حديثة كالبارود والمدافع .

(٤) اسبانى الأصل .

(٥) من اناس اكفاء لتنفيذ المهمة ، وزاد تكفيهم .

المغربي الى "تنديبي"(١)، ودارت بين الجيشين معركة رهيبة لكنها غير متكافئة التسليح وانتهت بهزيمة جيش اسكيا اسحاق(٢)فولى هاربا مع من نجا من فرسانه وأمر اهل غاو بالخروج منها والعبور الى الضفة الغربية وتعقبهم الجيش المغربي ، وسار جودر باشا بجيشه الى عاصمة منغاى "غاو" فدخلها ووجدها خالية من سكانها سوى الضعفاء والمرضى وبعض الدعاة والمدرسين والطلبة ، ثم توجه الى مدينة تمبكتو ودخلها ، ولكن اسكيا اسحاق ارسل الى جودر يعلن له الولاء والدخول فى طاعة سلطان المغرب - احمد المنصور - ودفع جزية (٣)، على أن يعود الجيش المغربي الى بلاده ، وظن القائد المغربي انه مادام قد استولى على عاصمة منغاى ، ومدينة تمبكتو ، ودخل اسكيا اسحاق فى طاعة سلطان المغرب أن مهمته قد انتهت ، وكان هو الآخر مع أمراء جيشه يميلون الى الدخول فى الصلح وكتب تقريرا مفصلا عن حالة الجيش وماتم له من نصر عظيم ، ودخول اسكيا فى طاعة السلطان

---

(١) وصل الجيش المغربي الى تنديبي قريبا من غاو العاصمة فى حوالى جماى الاول من سنة ٩٩٩هـ/١٥٩١م .
عبد الرحمن السعدى : المصدر السابق ، ص ١٤٠-١٤١ ، الفع محمود كعت : المصدر السابق ، ص ١٤٨-١٥٢ ، مجلة كلية الشريعة بالاحساء عدد ٢١٠ ، ص ٦٣٨ . كذلك ص ٢٧٤ من هذا البحث .

(٢) انظر ص ٣٠٩ .

(٣) مقدارها مائة الف مثقال من الذهب ومئات من الخدم كل عام . عبد الرحمن السعدى : المصدر السابق ، ص ١٤١ ، الناصرى :المرجع السابق ، ج٥ ، ص ١٢٢ ، مجلة كلية الشريعة بالاحساء عدد ٢١٠ ، ص ٦٣٩ .

ورغبته فى الصلح ودفع الجزية مع هدية (١)، وبقى ينتظر رد سلطان المغرب ، ولكن الامر لم ينته الى هذا الحد لأن السلطان احمد المنصور لم يكن يريد فم منفاى والصلح مع الجزية فقط وانما كان يريد ان يقضى على حكامها وعلمائها ووجهائها قضاء تاما فغضب من جودر قائد جيشه وبعض أمراء الجيش حين قرا الكتاب الذى أرسله القائد اليه واستشاط غضبا وعزل جودر فى حينه وعين قائدا آخر بدله هو محمود بن زرقون باشا (٢)بعثه فورا الى بلاد السودان الغربى مع ثمانين

---

(١) كتب الى المنصور بخبر الفتح وبعث اليه بهدية فيها عشرة آلاف مثقال ذهبا ومائتان من خيار الرقيق وغير ذلك ، وكان مما كتبه السلطان لجودر على ظهر رسالته بخط يده : "اتمدونني بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لاقبل لهم ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون" .
اليفرانى : المرجع السابق ، ص ٩٤-٩٥ ، الناصرى : المرجع السابق ، ج٥ ، ص ١٢٢،١٢٣ ، عبد الرحمن السعدى المصدر السابق ، ص ١٤٤،١٤٥ ، امين عوض الله : المرجع السابق ، ص ٩٩-١١٣ ، مجلة كلية الشريعة بالاحساء ، عدد ٢١٠ ، ص ٦٣٩ .

(٢) وهو ثانى باشوات المغرب الى بلاد السودان الغربى .
تذكرة النسيان فى أخبار ملوك السودان ، ص ٣ ، تحقيق هوداس وبنوه ، نشره المكتبة الشرقية والأمريكية فى باريس عام ١٩٦٦م ، اليفرانى : المرجع السابق ، ص ٩٤-٩٥ ، الناصرى : المرجع السابق ، ج٥ ، ص ١٢٢،١٢٣ =

راميا ، وعلى يده كانت الطامة الكبرى على أهل صنغاى عموما ثم تبعه الباشوات الذين اتوا بعده بالتخريب والنهب والصلب والاعتداء على حرمات المسلمين وممتلكاتهم فى جميع انحاء البلاد ، ونبين هنا اثر أعمالهم على الحياة الثقافية والسياسية والاقتصادية فى صنغاى .

فقد نتج عن سياسة المغرب الاقصى مع دولة صنغاى تطورات سياسية واقتصادية وثقافية ودينية بعيدة المدى لابالنسبة لدولة صنغاى الاسلامية وحدها ، بل بالنسبة لمسلمى افريقيا بصفة عامة ، لايزال اثرها باقيا حتى الآن .

= عبد الرحمن السعدى : المصدر السابق ، ص ١٤٤،١٤٥ ، امين عوض الله : المرجع السابق ، ص ٩٩-١١٣ ، مجلة كلية الشريعة بالاحساء ، عدد ٢١٠ ، ص ٦٣٩ .

اثر الغزو المغربى فى النهضة الدينية :

لاشك ان الغزوة المغربية اضرت بمستقبل الاسلام والمسلمين ليس فى صنغاى فحسب بل فى افريقيا ككل ، حيث ان صنغاى قامت بجهد كبير فى نشر الاسلام فيما جاورها (١)، من مناطق كما سبقت الاشارة الى لك ، واستطاع الحكام الأساكى ان يمنعوا انتشار الوثنية ووسعوا رقعة الاسلام وحافظوا عليه من البرتغاليين والانجليز وغيرهما من الدول الصليبية التى اخذت تنشر النصرانية وتحارب تقدم الاسلام فى كل مكان (٢).

واما الحكومة السعدية فى المغرب التى كانت ترى نفسها احق من غيرها بالزعامة لما لها من قوة عسكرية وطمع فى التوسع الامبراطورى باسم الجهاد او توحيد صفوف المسلمين ، والاستعلاء بقوتهم واموالهم ضد اعداء الاسلام ، لم يظهر من ضمن اعمال حاكمها السلطان أحمد المنصور الهدف الواضح فيما يخص الجهاد بالسودان الغربى ذاته (٣).

لأن السلطان المنصور كان على علم "أنه سيواجه جيوشا اسلامية (٤)، وان المناطق التى يريد اخضاعها كلها ضمن مملكة

---

(١) الناصرى : الاستقصا فى اخبار دول المغرب الأقصى ص ١٢٩-١٣١ ، مجلة كلية الشريعة بالاحساء عدد ٢١، ص ٦٤١ .

(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(٣) سواء فى النصوص او الرسائل كما يقول صاحب بداية الحكم المغربى فى السودان الغربى .

ابراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ٣٠٧/٢ مرجع سابق

محمد الغربى : المرجع السابق ، ص ١٢٩ .

(٤) وفى معركة تنديبى حكمت فى رقاب جيش السودانيين سيوف جودر وجيوشه حتى كان اهل السودان ينادون نحن مسلمون نحن اخوانكم فى الدين والسيوف عاملة فيهم .

اليفرانى : المرجع السابق ، ص ٩٤ .

منغاى ، وهى اراضى تعود للمسلمين فى مجملها ، من حيث السكان وكانت تحكم وفق الشريعة الاسلامية بواسطة حكومة الاسكيا وعماله ، وقد توفرت المقومات الدينية الضرورية فى كل ذلك فالمساجد فى كل المدن والقرى ، وعلماء الدين لهم المقام الأرفع فى الدولة وينالون من الاحترام والتبجيل من الأساكى والمسئولين فى الدولة والعامة مايستحقونه من تقدير لمكانتهم الدينية والعلمية ، كما ذكرنا ذلك سابقا .

ذلك التقدير الذى لم يحظ به علماء الدين حتى فى المغرب نفسه (١)، ولذلك لازال الباحث يجهل الى الآن مدى الدور الذى يمكن ان يكون الجيش المغربى قد قام به فى ميدان نشر الاسلام بالسودان الغربى(٢).

وقد يتوقف معرفة هذا الدور ونوعيته عند استعراض نوعية الشخصيات الذين وكل اليهم بهذه المهمة ، قواد الحملة على منغاى . كانوا كلهم أجانب ، فجودر باشا اسبانى الأصل(٣)، وأخوه محمود باشا بن زرقون قائد جيش النار

---

(١) ومن ذلك الموظفون الدينيون من المفتى الى الامام ومعاونو عدل والعاملين فى المساجد وغيرها كانوا مرسمين فى وظائفهم ويأخذون رواتب عينية من بيت المال او من الأساكى .
احمد بابا : نيل الابتهاج ص ٢١٨-٢١٩ المصدر السابق ، محمد الغربى : المرجع السابق ، ص ١٢٩،١٣٠ .

(٢) حركات ابراهيم : المغرب عبر التاريخ ، ج٢ ، ص ٣٠٧ ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ١٩٧٨م .

(٣) من لاسى كويفاس القريبة من غرناطة ، تذكرة النسيان فى ذكر بعض ملوك السودان ص ٢ المرجع السابق .

اندلسى(١)، والفتى عمار باشا قائد جيش سوس(٢)، وبختيار باشا من المغول(٣).

والجنود اغلبهم من المطرودين من الأندلس قدموا للاستقرار بالمغرب، واما الصناع والعمال والاطباء والخدم الذين شاركوا الجيش فانهم لم يبرحوا مدن صنغاى الكبرى - مدينة غاو وتمبكتو وجنى - بينما عاد غيرهم الى المغرب بعد فترة قصيرة (٤).

وكان كل عملهم منافيا لتعاليم الاسلام ويعيثون فى الأرض فسادا، فبعد وصولهم الى صنغاى انتشرت المحرمات وتفشى علنا شرب الخمر ولعب الميسر وتعاطى المخدرات، وكان عبيد الباشا يزاولون ذلك علنا فى تمبكتو وكذلك الجنود الاندلسيون، اضافة الى مداهمة البيوت ودكاكين التجار ومصادرة ممتلكات أهلها المنقولة (٥).

---

(١) من مواليد اسبانيا أيضا .

(٢) ولد وترعرع فى البرتغال .

(٣) وهؤلاء وأمثالهم كثير .

(٤) وكل هؤلاء القادة والجنود واصحاب الحرف لم تكن لغتهم هى اللغة العربية، ولم تكن لالغتهم ولامعرفتهم بالدين او حماستهم للاسلام بالقدر الذى يؤهلهم للقيام بالدعوة الى تعلم الدين .

السعدى : تاريخ السودان ص ١٣٧، المصدر السابق، تذكرة النسيان فى ذكر بعض ملوك السودان ص ٢-٣٤٠٣، المرجع السابق، محمد الغربى : المرجع السابق، ص١٣١

(٥) تذكرة النسيان فى اخبار ملوك السودان، المرجع السابق، ص ٢٨،١٣، محمد الغربى : المرجع السابق، ص ١٣٤ .

ونشطت الحركة التبشيرية فى بعض الجهات الافريقية ، ولكن المنصور لم يوجه اهتمامه لمقاومتها حيث تسرب بعض المنصرين الى داخل الأراضى الصنغية انطلاقا من المراكز الساحلية التى تمركزوا فيها ، واستطاعوا اقناع بعض القبائل بدعواهم الباطلة .

وعلى هذا الأساس اشار كثير من الباحثين أن الغزو المراكشى لصنغاى وماتبعه من سقوط تلك الدولة كان سببا حقيقيا لما حل بتلك المنطقة من انهيار سياسى وتدهور اقتصادى وتخلف حضارى بل خلت مدينة "تمبكتو" التى عرفت عصرا علميا زاهرا من معظم مثقفيها . وكذلك الشان بالنسبة لمدينة "غاو"(١)، وكان نهاية لمجد الدولة الاسلامية السودانية الكبرى(٢)فى المنطقة ، قبل نهاية القرن العاشر الهجرى ، السادس عشر الميلادى .

---

(١) ابراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ٣٠٧/٢ المرجع السابق ، تاريخ افريقيا العام ، ج٤ ، المرجع السابق ص ٢٢٠ ، يوسف فضل حسن : المرجع السابق ، ص ٤٢٠٤١ .

(٢) واشبه مايكون بغزونا درشاه قوللى الافشارى شاه فارس للهند وتخريبه لدلهى نقطة البداية لانحلال سلطان المسلمين فى الهند ، وقد وقع الحادثان المؤسفان فى نفس الوقت وهو عصر نهاية الدول الاسلامية الكبرى التى سادت عالم الاسلام من اقصاه الى اقصاه خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين .
وهى على الترتيب من الشرق الى الغرب : سلطنة مغول الهند ، ثم دولتا الصفويين والافشاريين فى ايران ، ثم دولة سلاطين مماليك مصر والحجاز والمغرب الى حدود =

....

= المغرب الأقصى ، ثم دولة السعديين في المغرب الأقصى ، ثم دولتا مل وصنغاى في بلاد السودان الغربي .

وقد أكلت هذه الدول الاسلامية بعضها بعضا بينما كان اهل الغرب يجمعون صفوفهم للانقضاض على العالم الاسلامى .

حسين مؤنس : أطلس تاريخ الاسلام ، ص ٣٧٦ ، شارل اندرى جوليان : تاريخ افريقيا الشمالى ، ج٢ ، ص ٢٧٤ ، ترجمة محمد مزالى والبشير بن سلامة ، الدار التونسية للنشر عام ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

اثر الغزو المغربي في السياسة :

قام حكام الدولة السعدية بالمغرب بالاستيلاء على اكبر دولة مسلمة فى السودان الغربى وهى دولة صنغاى ، التى كانت تسيطر على معظم انحاء بلاد السودان الغربى فى ذلك الوقت ، وقامت بنشر الاسلام وحضارته فى ربوع تلك البلاد مئات السنين واقامت علاقات ودية مع معظم الدول الاسلامية (١).

وكان من مظاهر غزو المغرب فى عهد الدولة السعدية لصنغاى تدمير معظم جيشها (٢) الذى كان يهيمن على المنطقة فاضطرب الأمن فى جميع أنحاء البلاد ، مما ادى الى تمرد معظم القبائل والممالك الوثنية فى الأطراف الجنوبية ، والدويلات المجاورة لدولة صنغاى(٣)، وتسلطهم على المسلمين لاسترداد مافقدوه ، وقاموا بالقتل والنهب والأسر والتدمير لمظاهر الحضارة الاسلامية (٤)، فضلا عما هياه هذا الغزو للمستعمرين

---

(١) الناصرى : المرجع السابق ، ج٥ ، ص ١٢٢ ، مجلة كلية الشريعة بالاحساء ، عدد ٢١٠ ، ص ٦٤١ .

(٢) استسلم اسكى سليمان وجيشه ودخلوا فى طاعة المنصور طوعا ، مانجاهم ذلك من سطوة محمود بن زرقون ، وجودر باشا حيث جمعوا سليمان وجيشه وسجنوهم فى غاو مدة ثم قتلوهم جميعا ، وكان هؤلاء من خيار جيش صنغاى ، وعددهم مئات .

الفع محمود كعت : المصدر السابق ، ص ١٦٧ .

(٣) امثال دولة بنين أو داهومى ، ودولة موشى .

(٤) الفع محمود كعت : المصدر السابق ، ص ١٦٣، ١٦٨ ، مجلة كلية الشريعة عدد ٢١٠ ، ص ٦٤١ ، توماس وارنولد : المرجع السابق ، ص ٣٥٨ .

البرتغاليين بسهولة الاستيلاء على هذه الأماكن بعد ذلك .

اما الجيش المغربى فقد قضى على معظمه ولم يعد قادرا على تثبيت الأمن فى البلاد ، بل شارك فى النهب والسلب فى معظم المدن الكبرى التى وصل اليها (١) .

واما من جهة المغرب فكان من ابرز نتائج تلك الغزوة انها عجلت بزوال ملك السعديين واضطراب أحوال المغرب السياسية وتدهور اقتصاده (٢) .

قال احمد بابا التمبكتى ت ١٠٣٦هـ(٣)، المتقدم ذكره : "اخبره الأمير السلطان مولاى زيدان (٤) بن الأمير مولاى احمد - المنصور - أن نهاية الرجال الذين صرفهم والده فى المحلات من لدن جودر الباشا (٥) الى الباشا سليمان (٦) ثلاثة وعشرين الفا من خيار جيشه وهى مقيدة فى الزمام وقد أراه ذلك الزمام ، قال : اضاعهم الوالد باطلا ولم يرجع منهم احد لمراكش فيموت فيه الا نحو خمسمائة رجل (٧) .

---

(١) الفع محمود كعت : المصدر السابق ، ص ١٦٩ ومابعدها ، عبد الرحمن السعدى : المصدر السابق ، ص ١٤٣، ١٥٦ ومابعدها .

(٢) مجلة كلية الشريعة بالاحساء عدد ٢١، ص ٦٤٢ .

(٣) من ابرز المغربيين من صنغاى الى مراكش ، والراجع الوحيد الى صنغاى .

(٤) من ابناء أحمد المنصور وولى عهده .

(٥) انظر ص ٣١٧ .

(٦) من القواد المغاربة الى السودان الغربى .

(٧) عبد الرحمن السعدى : المصدر السابق ، ص ١٩١ .

اثر الغزو المغربي في التعليم والثقافة (نكبة العلماء) :

كان بنو آقيت(١) من اهل مدينة تمبكتو ، وممن لهم الوجاهة والرياسة والشهرة ببلاد السودان دينا ودنيا بحيث تعدد فيهم العلماء والائمة والقضاة وتوارثوا رياسة العلم مدة طويلة تقرب من مائتي سنة ، ولما فتح الجيش المغربي بلاد السودان وجدهم على هذه الحالة ، ولم يمض حكم المغاربة طويلا حتى كان اهل السودان قد سئموا حكمهم ، ورأوا منهم خلاف ماكانوا يعهدونه من سلاطينهم السابقين(٢)، وكانت آذانهم مع ذلك صاغية لآل آقيت فتخوف المنصور ـ سلطان المغرب ـ منهم فكتب الى عامله محمود بن زرقون(٣) بالقبض عليهم وتغريبهم الى مراكش(٤).

وكان محمود باشا بن زرقون مشغولا بمحاربة آل اسكيا ، ثم رجع من ارض "دند"(٥) الى مدينة تمبكتو لتنفيذ اوامر السلطان أحمد المنصور لنكبة علمائها ، واستئصال شأفة عائلة المقلي(٦) اولا مهما كانت النتائج ، ومن اجل ذلك فقد وجه

---

(١) قد سبقت الاشارة اليهم في المكانة الاجتماعية للعلماء .

(٢) آل اسكيا . انظر ص ٥١ .

(٣) انظر ص ٢١٧ .

(٤) انظر ص ٥٠ .

(٥) وتقع ولاية دندى الى الجنوب من غاو ، وكانت عاصمتها مدينة جوجيا .
محمود كعت : ص ٦٤ ومابعدها ، المصدر السابق ، أمين عوض الله : المرجع السابق ، ص ٧٠ .

(٦) قد سبقت الاشارة اليه في المكانة الاجتماعية للعلماء ، وفي اثناء حج اسكيا الاول طلب من امير مكة مولاي العباس ، واحدا من الاشراف اما اخاه او ابنه ليتبركوا =

الباشا محمود بن زرقون تعليمات السلطان كما وردت اليه الى حاكم (١)تمبكتو ، فاتخذ الحاكم الاحتياطات التى يقتضيها الحال قبل ان يلقى القبض على افراد تلك العائلة وفى مقدمتهم الشريفان محمد الشيخ وبابا عمر سبطى الشريف احمد المقلى ، فاقتادهما بنفسه الى سوق مدينة تمبكتو واصدر الأمر بقطع أيديهما وارجلهما بالفاس وتركهما على تلك الحالة حتى الموت(٢).

ومن هذا المنطلق عرف قاضي تمبكتو - ابو حفص عمر بن محمود - وغيره من العلماء انه سيصيبهم ما اصاب آل المقلى .

ثم أصدر الحاكم (٣)منشورا بانه سيجرى تفتيش جميع المنازل فى غده بحثا عن الأسلحة الا دور الفقهاء ، فهرب الناس اموالهم الى دور العلماء على وجه الوديعة (٤).

ثم اصدر منشورا آخر بان يجتمع الناس كلهم فى جامع سنكورى للحلف على بيعة السلطان أحمد المنصور فاجتمع جميع الناس ثم قسمهم على ثلاث دفعات ، للبيعة على ثلاثة أيام (٥)

= بوجوده على أرض التكرور ثم أمر مولاى العباس ابن أخيه مولاى الشريف الحسنى احمد المقلى ان ينزل اليه ، فنزل من بغداد الى تمبكتو ، ومن ثم الى غاو ، فى عام ٩٢٥هـ .

الفع محمود كعت : المصدر السابق ، ص ١٦-٣١ .

(١) القائد مصطفى التركى .

(٢) السعدى : ص ١٦٦ المصدر السابق ، محمد الغربى : المرجع السابق ، ص ٣٢٦ .

(٣) المذكور آنفا .

(٤) عبد الرحمن السعدى : المصدر السابق ، ص ١٦٨ .

(٥) عبد الرحمن السعدى : المصدر السابق ، ص ١٦٩ .

وفي اليوم الأول (١) جمع أهل مدينة توات (٢)، ومدينة فزان (٣) ومدينة وجلة (٤)، ومن جانسهم فحلفوا وبايعوا ثم تركهم، وفي اليوم الثاني (٥)، جمع أهل مدينة ولاته (٦)، ومدينة تاوديني ومن جانسهم فحلفوا وبايعوا ثم تركهم، وفي اليوم الثالث (٧)، قال لم يبق الا الفقهاء يحضر الناس لهم غدا حتى يحلفوا فجمع كافة الناس من اهل تمبكتو بالمسجد المذكور (٨)، واحضروا المصحف والبخاري ومسلم، فلما اجتمع الناس غلقت ابواب المسجد ووقف الرماة على الأبواب وعلى السطوح (٩) المجاورة وفي أركان الطرق المؤدية الى المسجد شاهرين أسلحتهم، واخرج الناس من المسجد الا الفقهاء وأصحابهم واتباعهم واسرهم، فكان من أمر الله ماكان مما لاينبغي ذكره، قبضهم جميعا الباشا محمود بن زرقون، وقتل

---

(١) وكان يوم الاثنين .

(٢) انظر ص ٨٦ .

(٣) انظر ص ٨٦ .

(٤) قد ذكر سابقا ص ٨٦ .

(٥) وهو يوم الثلاثاء .

(٦) انظر ص ٣٧ .

(٧) وكان يوم الأربعاء أربع وعشرين فاتح عام اثنين والف الهجرية .

(٨) أي مسجد سنكوري .

(٩) الفع محمود كعت : المصدر السابق، ص ١٧٣، عبد الرحمن السعدي : المصدر السابق، ص ١٦٨، ١٧٢، محمد الغربي : المرجع السابق، ص ٣٢٧ .

منهم خلقا كثيرا ، وكان من بين القتلى من اهل تمبكتو اربعة عشر نفسا (١)، وسجن البعض الآخر مع جميع اسرهم واتباعهم ، ثم دخل الباشا محمود بن زرقون دورهم فاخذ مافيها من الاموال والمتاع والاثاث من املاكهم واملاك سائر الناس من الودائع (٢).

وقد امضى بقية العلماء ستة اشهر فى السجون قبل تغريبهم ثم ارسلوا الى مراكش مكبلين بالسلاسل (٣)، ومعهم طائفة من اولادهم ومواليهم من النساء والرجال ومكتباتهم ويتجاوز عددهم مائة وسبعين عالما ولم يرجع منهم سوى احمد بابا بعد مامكث هناك عشرين سنة (٤)، وارسلهم محمود باشا بن زرقون مع هدية (٥) الى المنصور سلطان المغرب .

---

(١) الفع محمود كعت : المصدر السابق ، ص ١٧٣ .

(٢) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، عبد الرحمن السعدى : المصدر السابق ، ص ١٧٠ ، شارل اندرى جوليان : المرجع السابق ، ص ٢٧٦ .

(٣) غادرت الدفعة الأولى منهم من تمبكتو يوم السبت ١٨ مارس ١٥٩٤م مع عدد كبير من الدواب يحمل عدة آلاف من المخطوطات والتحف التى كانت تحتويها خزائنهم .
السعدى : ص ١٧١-١٧٢ المصدر السابق ، محمد الغربى : المرجع السابق ، ص ٣٢٨ ، احمد شلبى : موسوعة الحضارة ج٦ ، ص ١٩٦ .

(٤) الفع محمود كعت : المصدر السابق ، ص ١٧٤ ، امين عوض الله : المرجع السابق ، ص ١١٢ .

(٥) وملخصه : فلما وصل السلطان مراسيله مع الفقهاء وسمع مارفع من ديارهم من الأموال التى لاحصر لها ـ وهو ماكان يطمع به السلطان ـ ولم يبعث له منها الا مائة =

اثارت هذه الحادثة احتجاجا كبيرا فى السودان وفى المغرب على حد سواء ، فمعاملة الجيش المغربى القاسية لطبقة من اخيار العلماء قد ادى الى نوع من التعاطف مع علماء صنغاى فى المغرب(١).

واما فى صنغاى فقد ادت حادثة تمبكتو الى هروب معظم علماء صنغاى من وجه الحكم المغربى ، لجا بعضهم الى مدن المغرب(٢)، وبعضهم الى مصر والحجاز ، والبعض الآخر الى مناطق نائية فى اطراف حدود الدولة وحتى الى اماكن الوثنيين .

ولخطورة الموقف كان على محمود باشا بن زرقون أن يقدم سندا مبررا لاعماله المشينة والقاسية الى السلطان لتبرا ذمته على اثر تصرفاته مع هؤلاء العلماء بصفة خاصة ، وتثبت على أن ماقام به من اعمال كان لمصلحة المغرب لاغير .

وبعث رسالة الى السلطان احمد المنصور باسم بعض علماء تمبكتو ، واجبرهم على الشهادة بصحتها وهددهم بقطع يد كل من يأبى التوقيع عليها ومع ذلك استطاع بعضهم اثبات وجوده بقوة ايمانه بالله سبحانه وتعالى واختار الموت العاجل على شهادة الزور ، وابقاهم الله لدينه فعاشوا معززين

= مثقال ذهبا وهو جزء ضئيل بالنسبة الى ماجمعه من مال فازداد السلطان غضبا على غضب ، وبعث القائد منصور بن عبد الرحمن الى أرض السودان وأوكله بمهمة القبض على محمود باشا بن زرقون واهانته وقتله .

عبد الرحمن السعدى : المصدر السابق ، ص ١٧٤-١٧٥ .

(١) محمود كعت : ص ١٧٦-١٧٧ المصدر السابق ، محمد الغربى المرجع السابق ، ص ٣٢٩ .

(٢) محمود كعت : ص ١٧٤-١٧٥ المصدر السابق ،

مكرمين (١) .

---

(١) من هؤلاء العلماء الأبطال محمد بغيغ مما جرى له في هذا الصدد من ابتلاء مر عليه محمود باشا يوما فناداه الى مجلس سلطنته ودائرته وبين كواهيه وباشواته واقفين على رؤوس القياد والكواهي ولما وصل اليه الشيخ نهض وتلقاه وقبل أطراف يديه وأجلسه امامه واعطاه الوسادة ثم ناوله كتابا مطويا ومد له دواة وقلما فقال اكتب شهادتك فيه وفتح الشيخ الكتاب وتامله فاذا فيه ـ ماذكرناه سابقا ـ وقال له الباشا : اكتب شهادتك تحت هذا السطر ، وأشار الى الموضع من الكتاب الذى يضع شهادته فيه فتعوذ الشيخ بالله من ذلك ، فقال لابد من أن تكتب وكل من أبى عن التوقيع على الكتاب قطعنا يده من منكبه فتبسم الشيخ ضاحكا وقال قطعك اليد أفضل وأولى من كتاب شهادة الزور ، فالعياذ بالله فانا والله اختار قطع الراس عليه . فقال ايش هل انت افضل من هؤلاء الشهود الصالحين ، أو أنت أخير من القاضى ، قال لاشك فى ان كلهم خير منى ولكن لعلهم اطلعوا على فسادهم وعلى ماشهدوا عليه وأنا والله ما اطلعنى الله على ذلك وماعلمت به والشهادة لاتكون الا بالمعاينة والعلم والشهادة ، وانا ماعاينت وماعلمت وماشهدت ، فقال الباشا ونحن نعرف نيتك وانت مع القاضى فى فكره وكيده ، وماانت الا واحد من قومه ، ورأينا خطك فى كتابك الذى كتبته لاسكى نوح ، ثم التفت الباشا محمود الى اسكى الفع بكر لنبار وهو جالس عنده فى وسط الجالسين ، وقال يالفع بكر أما رايت الكتاب ، قال =

{ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون}(١).

وكان مما كتبه القائد محمود باشا بن زرقون الى السلطان أحمد المنصور : "وليعلم امير المؤمنين السلطان

= بلى رايته بخط يده ، وماالتفت الشيخ ولارفع راسه اليه ومارد له جوابا ووافق ذلك بين الظهر والعصر وماصلى الشيخ العصر حين خروجه وسكت الباشا طويلا ولم يتكلم منهم أحد ، بلا ، ولابنعم ، والشيخ مطرق الرأس ساكت ثم رفع الشيخ راسه الى السماء ينظر حال الغروب ووجده قد قرب وقام يصلى العصر وصلى بخشوع ووقار وطمانينة حتى أتمها ثم سلم ثم قام الى موضع جلوسه الذى قام فيه وأخذ الباشا بيده وقبلها ، وقال له ارجع الى دارك بالسلام كثر الله أمثالك ، ادع الله لنا وللسلطان الله ينصره بالنصر العزيز وخرج الشيخ رضى الله عنه فلما رجع الى داره اتاه اسكى الفع بكر لنبار المذكور ووقف ببابه وسلم ، وقيل من انت فقال انا اسكى الفع بكر لنبار المذنب الفاجر الاثيم ، وتبسم الشيخ وامر بالباب ففتح له ودخل وكب على راسه يقبله ، ثم قال اغفر لى واعف عنى ومارايت خطك ولاكتابك الى اسكى نوح وقد كذبت وافتريت عليك خوفا من الباشا ومن سطوته وماكان فى صدرى مثل قلبك الذى ماخلق الله فيه خوفا لغير الله ، فضحك الشيخ وقال غفر الله لى ولك وعفى عنى وعنك ، وانما ماأخذناك به فخرج الفع بكر لنبار الى داره باكيا .

محمود كعت : المصدر السابق ، ص ١٧٥-١٧٨ .

(١) سورة التوبة : آية ٣٢

ابـن السـلـطان مولانـا ابـى العبـاس أحمد ، اللـه ينمره ويخلد ملكـه اننـا ماقبضنـا هـؤلاء الفقهـاء : القـاضى عمر واخوانه واتباعـه الا بعد ان ظهر لـنا مافى نفوسهم من عداوة السلطان وبغضـه وتحققنـا أن قلـوبهم مـع الاسـكيا ، وهـم علـى كيدهم يجمعون الرجال لمحاربتنا ومتفقون علـى الفسـاد بعد ان قتلوا مـن جـيش السلطان ثلاثة وسبعين رجلا ، وذيلت الرسالة بشهادة اعيان تمبكتو وكبرائها "(١)تحت وطأة الموت .

وهكذا انقلب الوضع فى بلاد السودان الغربى ومدنها بعد تغـريب العلمـاء وعـائلاتهم منها ، وقال محمود كعت(٢)عن هذه المـدن بـانهـا "أصبحـت جسـدا بـلاروح وانعكست امورها فـاصبح اسـفلهـا أعلاهـا وأعلاهـا أسـفلهـا وساد أراذلهـا علـى عظمائها فبـاعوا الـدين بالدنيـا واشـتروا الضلالـة بـالهدى ، وعطلت الأحكـام الشـرعية واميتـت السـنة وأحييت البـدع"(٣)، سبحان الذى بيده تدبير الأمور وتغيير الأحوال ، وكـان من بين مشاهير العلمـاء الـذين اخذوا من ديارهم وأبعدوا عن بلادهم القـاضى عمـر بـن محـمود(٤)الذى عرف بعلمه وقوة عزيمته وشدة تمسكه بدينـه ولـم يستسلم لأحد غير اللـه سبحانه وتعـالى ، وقد روى

---

(١) الفـع محـمود كـعت : المصـدر السـابق ، ص ١٧٦ ، محمد الغربى : المرجع السابق ، ص ٣٣٠ .

(٢) انظر الصفحات التالية : ٢٤ .

(٣) الفـع محـمود كـعت : المصـدر السـابق ، ص ١٧٥ ، محمد الغربى : المرجع السابق ، ص ٣٢٩ .

(٤) انظر ص ١٦٠ .

عنه امور كثيرة فى هذه الحادثة (١)، وبدخوله مع اسرته والعلماء الذين معه بلاد المغرب كتبت صفحة جديدة من التاريخ بين علماء الدين ورجال السياسة ، فاصبح كلما ازدادت الأمور صعوبة ازداد العلماء قوة وايمانا ، فى حين يزداد رجال السياسة حسرة وندامة لأعمالهم ، على رغم ماجمعوه من متاع الدنيا واشبه مايكون بينهم {بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب}(٢).

فلما وصل العلماء مدينة مراكش دعا عليهم القاضى عمر ابن محمود ، دعاء المظلوم ، فقال : اللهم كما شوشونا واخرجونا من بلادنا فشوشهم واخرجهم من بلادهم (٣)، فاستجاب الله دعاءه عليهم ، فكان دخولهم فى ذلك البلد فتح ابواب البلاء فيه (٤).

---

(١) ومنها انه لما اخرجه الرماة من المسجدوكان معه غلامه يمسك مقاليد داره ، وجعل الغلام يبكى حين راى ماجرى عليهم فضربه احد الرماة بالسيف فقتله وضحك القاضى عمر فقيل له فى ذلك فقال : كنت احسب انا خير من هذا الغلام فظهر فضله على الآن وقد سبقنى الى الجنة .
الفع محمود كعت : المصدر السابق ، ص ١٧٤ ، أمين عوض الله : المرجع السابق ، ص ١٦٩ .

(٢) سورة الحديد : آية ١٣

(٣) عبد الرحمن السعدى : المصدر السابق ، ص ١٧٣ .

(٤) ومما ذكر فى هذا الصدد انهم أدركوا فيها النصارى يستخدمون يدخلون ويخرجون وفيهم واحد مارئى قط منذ اسر منشرحا ولامبتسما الا يوم دخول الفقهاء البلد فوافقوا به عند باب السور فلما رآهم ضحك وفرح غاية =

ومما ثبت عنه انه لما احتفر بعث للسيد على بن سليمان(١) احد اصحابه ان ياتيه فاعطاه براءة مطوية وقال له بلغها للسلطان وقت كذا فكان ذلك الوقت بعد وفاته . فبلغها اياه فنشرها فاذا فيها : "انت الظالم وانا المظلوم وسيلتقى الظالم والمظلوم بين يدى الحاكم العدل غدا"(٢).

ولعل ماهو جدير بالملاحظة هنا ان اخطر ما اصاب الاسلام والمسلمين من تخلف فكرى فى السودان الغربى هو بسبب مالحق بعض الأئمة والقضاة والنخبة المفكرة وطلبة العلم وغيرهم على يد المغاربة بعد وقت قصير من استيلائهم على منغاى الذى ادى الى تهجير بعض افراد هذه المنطقة الى المغرب على اسوأ الأحوال ، اضافة الى ماوقفت عليه يد الجيش المغربى من كتب وتحف ومتاع قاموا بنقل بعضها الى المغرب كما قاموا باحراق الجزء الأكبر منها وحرمت البلاد من كثير مما امتازت به من

= الفرح فزالت عنه مابه من عبوسة الوجه وتكمش الحال فعجب الناس به وانتشر خبره فى البلد واتصل بالسلطان فامر بسؤاله عن ذلك فقال وكيف لاافرح وقد تم مرادنا فى بلدكم هذا لانا روينا عن اخبارنا ان خرابه دخول الملثمين او المتلثمين فيه وهم هؤلاء الناس بالصفات التى وصف لنا ، فأول مابدا فيه ... قيام نصر بن السلطان عبد الله فاجابه اهل المغرب كافة لمحبة والده فى قلوبهم ... ثم ابنه وولى عهده .

عبد الرحمن السعدى : المصدر السابق ، ص ٢٠٢ .

(١) لم نعرف عنه شيئا أكثر من هذا .

(٢) عبد الرحمن السعدى : المصدر السابق ، ص ٢١٢ .

علوم وثقافة . وقال احمد بابا : "وقع علينا محنة وشتت شملتا وذهبت نفائس كتبنا جعلها الله تعالى كفارة وتمحيصا "(١)عاصرت ذلك بداية الاستعمار البرتغالي والحروب الصليبية على افريقيا عموما .

---

(١) احمد بابا : نيل الابتهاج ص ٣٤٢،١٦١،١١٤ المصدر السابق ، محمد عبد الفتاح ابراهيم : افريقيا من السنغال الى نهر جيبا ، ص ١٢٠ ، محمد جلال عباس : المرجع السابق ، ص ٤٧ ، محمد الغربي : المرجع السابق ص ١٣٣ .

أثر الغزو المغربي في الاقتصاد :

كان هدف الجيش المغربي هو الاستيلاء على ثروات السودان الغربي ، ولكن لم يتحقق ذلك كما كانوا يتصورونه ، لأن الجيش المغربي لم يتمكن من فرض هيمنته سياسيا واقتصاديا على هذه المنطقة الكبيرة في آن واحد ، فانشغاله الطويل باخضاع القوة السياسية وتدمير جيش صنغاى افقدا هذا الجيش قوته وخاصة عندما قام بتدمير طرق التجارة وبث الرعب والخوف في قلوب الناس ، اضطرب الأمن في البلاد ، فانقطعت القوافل التجارية ، واختفى الأمن والأمان اللذين كانا من مقومات الاقتصاد ، وهكذا لجا حكام المغرب وعساكره الى فرض ضرائب كبيرة (١)، واستعمال القوة في جمعها من أهال المنطقة

وكان السلطان أحمد المنصور يشاهد التجار الذين يحضرون منذ قرون كميات هائلة من الذهب(٢)من السودان الغربي ، ويملأون بها أسواق المغرب ويصدرونها للخارج (٣)، فظن أنه بمجرد اخضاع دولة صنغاى ستصبح مناجم الذهب في قبضته ، ويحقق أحلامه بالتوسع ويكون من أغنى ملوك العالم ، بدون تكاليف أو مشقة تذكر ، وهو الذى كان يعبر عنه دائما بقوله : "فان بلاد السودان أنفع من افريقية فالاشتغال بها أولى من منازلة الاتراك لانه تعب كثير في نفع قليل (٤)، وأما بلاد السودان فانها وافرة الخراج كثيرة المال" (٥).

---

(١) تذكرة النسيان ص ٢٣ المصدر السابق ، محمد الغربي : المرجع السابق ، ص ١٣٢ .

(٢) انظر ص ٨ .

(٣) امين عوض الله : المرجع السابق ، ص ١٠٣ .

(٤) اليفراني : المرجع السابق ، ص ٩٢ .

(٥) الناصرى : المرجع السابق ، ج٥ ، ص ١١٣ .

وفطن تجار المغرب الى أن المنصور دخل فى مغامرة ، فهو لايستطيع أن يسيطر على مناجم الذهب لجهله وجاله باماكنها وطبيعتها ، كما أن محاولته تلك قد تؤدى الى توقف التجارة مع بلاد السودان ، وربما توقف تنقيب السودانيين عن الذهب ، وفى كلتا الحالتين سيكون الشعب المغربى هو الخاسر واعلنوا آراءهم بمعارضة الغزو ، لأن تجارة السودان كانت تنعش اقتصاد المغرب ، ويقوم المغرب بدور الوسيط فى تسويق البضائع السودانية بالاضافة للبضائع الأوروبية فى السودان ، كما يحتكر تجارة الذهب وغيرها مع السودان ، غير أن المنصور لم يكن يثق فى التجار المغاربة ، فقد صور له طمعه ان هؤلاء التجار انما يؤثرون منفعتهم الخاصة على مصلحة الدولة المغربية (١).

وضرب بآرائهم عرض الحائط ، وفعلا ماجمعه جيش المغرب من مال وذهب وغير ذلك كان نتيجة النهب والسلب والغصب او الجزية والضرائب وليس من المناجم .

واما تجار صنغاى فلم ينج احد منهم من بطش الجنود المغاربة ولم تسلم اموالهم ولا انفسهم وعائلاتهم فقد قتل معظمهم ، وقد رجع الى المغرب القائد محمود بن زرقون (٢) ببعض الجيش حاملا معه كبار تجار صنغاى ، أسرى الى مراكش وبذلك كسدت تجارة السودان وتدهور اقتصاده (٣)، وغابت

---

(١) امين عوض الله : المرجع السابق ، ص ١٠٤ .

(٢) انظر ص٣١٧ .

(٣) محمود كعت : ص ١٧٥-١٧٧ المصدر السابق ، الناصرى ص١٢٩ المصدر السابق ، مجلة كلية الشريعة بالاحساء ، عدد ٢١٠ ، ص ٦٤٠ .

القوافل التى كانت تجوب الصحراء الى بلاد السودان الغربى ، منذ قديم الزمان ، وتركت الساحة للاوربيين الذين نزلوا ساحل المحيط مصطحبين معهم المنصرين ، ولم يستفد من ذلك المغرب ولاصنغاى .

الخاتمة

استطاعت الدول(١) الواقعة فى منطقة السودان الغربى ان تثبت وجودها - فى العصور الوسطى - كجزء من العالم الاسلامى منذ أن وصل اليها الاسلام فى القرون الأولى للهجرة ، ولعبت هذه الدول دورا مهما فى احتضان الاسلام ومجموعة كبيرة من العلماء والمسلمين ، وشكلت حضارة اسلامية رائعة فى عصور زاهرة .

ولما كانت دولة صنغاى آخر سلسلة من هذه الدول ، ورمزا حقيقيا لها وصورة جلية لحضارتها ، فقد احتوتها وتفوقت عليها بالكم والكيف ، حيث احتوت صنغاى حضارة هذه الدول مجتمعة سياسية واقتصادية وثقافية .

ومن هنا كانت دولة صنغاى فى فترة البحث اسلامية عقيدة وعبادة ومعاملة ، حكامها كانوا يحكمون شريعة الله - الكتاب والسنة - وأما أهل البلاد فكانت ثقافتهم اسلامية صرفة ، هذه هى الحقيقة التى يجب علينا ان نقرها ، ونشكر الله العلى القدير على ما انعمه على أهل هذه البلاد من حكام مسلمين متمسكين بدينهم ومحبين لاخوانهم المسلمين ، بذلوا كل مافى وسعهم ليجمعوا حولهم مشاهير العلماء والدعاة ويوطدوا العلاقات الثقافية مع العالم الاسلامى ، واولوا عنايتهم للعلم واهله ، خدمة للاسلام والمسلمين فى ظل حكمهم .

---

(١) من اشهرها مملكة غانة ، ومملكة مل ، ومملكة اودغشت ، وصنغاى ، وغير هذه الدول .

ممـا ادى الـى تهيئة نخبة من العلماء والدعاة من أهل البلاد ومن خارجها وكان هؤلاء الدعاة هداة مهتدين الى سبيل الله وحده ونبذ كل ماسواه ، وهدى الله على ايديهم اغلبية سكان الدولة وتجسد نور الاسلام أمامهم واصبح هو الطريق الوحيد للجميع حكومة وشعبا طيلة القرنين التاسع والعاشر الهجريين ، الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين ، وكان من نتيجة ذلك :

* قيام مدن ومراكز ثقافية اسلامية فى منغاى كان لها فضل كبير فى نشر العلوم والثقافة والحضارة الاسلامية فى السودان الغربى مثل تمبكتو ، وجنى ، وغاو ، وبلاد الحوصا وغيرها .

كما كان من مظاهر هذه الحضارة :

* وجود مساجد ومجالس علمية ومدارس نظرية ومهنية اسلامية فى معظم أنحاء منغاى ، احتوت عددا كبيرا من علماء المسلمين والدارسين من انحاء العالم الاسلامى .

كانت هذه المدارس تعد من اهم واشهر مدارس السودان الغربى ، اشتركت مع مثيلاتها من المراكز الثقافية الاسلامية فى انحاء العالم الاسلامى ، من حيث المناهج والمقررات الدراسية ، والتبادل الثقافى ، وقصدها رجال العلم من العلماء والدارسين من داخل البلاد وخارجها .

* وجود عدد كبير من المكتبات العربية الاسلامية العامة والخاصة التى اشتملت على أنواع من المعارف التى احتواها العالم الاسلامى حتى ذلك الوقت فى معظم مدن منغاى .

* التبادل الثقافى بين دولة منغاى والدول الاسلامية الأخرى الذى كان يتمثل فى الرحلات العلمية لكل من العلماء والطلاب ، وتبادل الاجازات العلمية بين العلماء وخاصة فى

اثناء الرحلات العلمية والحج التى كان يقوم بها علماء السودان الغربى وحكامه ، وكان ذلك الهدف من أهم الأسباب التى حققت النهضة العلمية والثقافية الكبيرة التى شملت منغاى فى فترة البحث .

* وهكذا ظهر لنا أن الحياة العلمية التى حظيت بها منغاى خلال فترة البحث لم تكن أبدا اقليمية وانما كانت اسلامية شاملة حيث اشترك فى اثرائها علماء المسلمين من العالم الاسلامى عامة ، وعلماء من منغاى والمغرب والأندلس ومصر والحجاز بصفة خاصة ، سواء من تلقاء انفسهم أو من مجهوداتهم الشخصية من خلال طلابهم أو مؤلفاتهم ، وكفى دولة منغاى شرفا أنها احتضنت مجموعة من مشاهير علماء الاسلام كالامام السيوطى ، والامام محمد بن عبد الكريم المغيلى ، وغيرهما من العلماء الذين كانت لهم مكانة علمية كبيرة فى العالم الاسلامى ، علما وتدريسا وتاليفا .

* ظهور نخبة ممتازة من العلماء من أبناء منغاى(١) اشتهروا بعلمهم وكثرة طلابهم وكتبهم ومؤلفاتهم فى العالم الاسلامى ، واشتركوا فى اثراء مكتبات العالم الاسلامى ، بمؤلفاتهم فى مختلف الفنون ، كما عمروا مساجد البلاد ومدارسها بالتدريس فى جميع الأوقات على مدى الأيام والسنين طوال فترة البحث .

واستطاعوا بمجهوداتهم المخلصة لله سبحانه وتعالى القيام بالدعوة الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، مما بوأهم وضعا خاصا يليق بمكانتهم الاجتماعية بين الحكام

---

(١) راجع الفصل الرابع من هذا البحث .

والشعب على السواء ، ومن ثم احاطوا الدولة بالعقيدة الاسلامية السمحاء .

* الا ان ظهور دولة السعديين فى المغرب فى القرن العاشر الهجرى وطمع قادتها فى هذه المملكة الاسلامية العتيدة دفعهم رغم انهم يدينون بالاسلام الى مهاجمتها وتفريق جمعها وقتل علمائها ونقل من بقى منه الى خارج البلاد والقضاء على حضارتها ، وقد باءوا بالخسران فلم يجدوا ذهبا ولاتجارة فقد رحل التجار واندثرت المناجم خوفا من بطش الجنود والسلب والنهب الذى كان يمارسه جيش السعديين ، وفشا الخوف والفساد فى البلاد بعد الأمن والرخاء وفتحت البلاد امام الوثنيين والاستعماريين بعد عجزهم عن الوصول الى ذلك طيلة فترة حكم أسرة الأساكى ومن سبقهم .

وبذلك قضى على دولة منغاى ، وانتهت هذه الدولة بنهاية القرن العاشر الهجرى ، السادس عشر الميلادى ، {ولله الأمر من قبل ومن بعد}(١) .

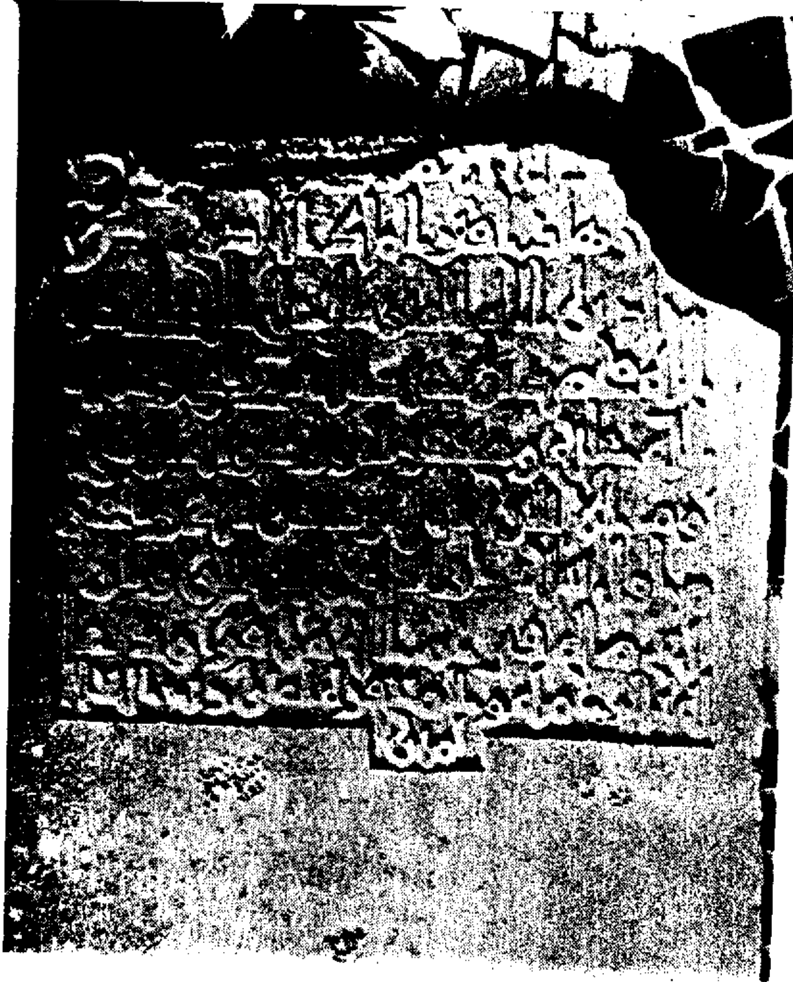
---

(١) سورة الروم : آية ٤

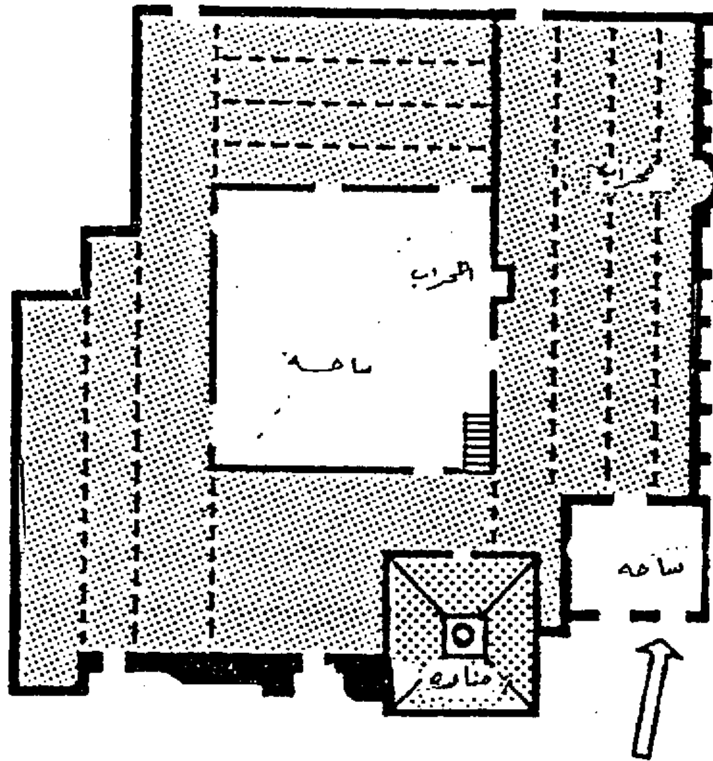
اللوحات

احد مشاهد القبور المحفورة فى مدينة غاو

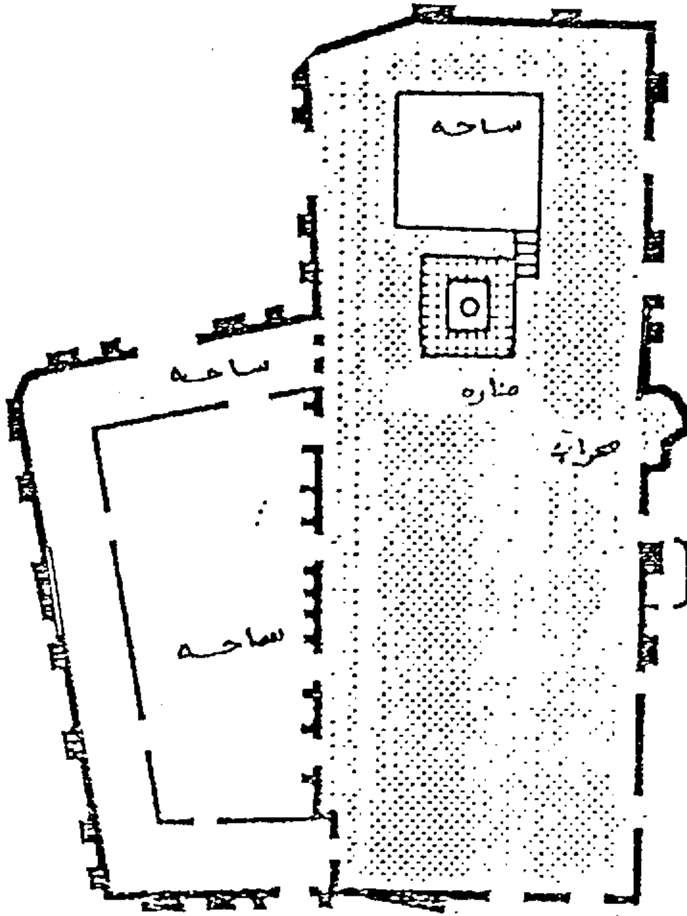
يرجع تاريخه الى عام ١١٠٠م



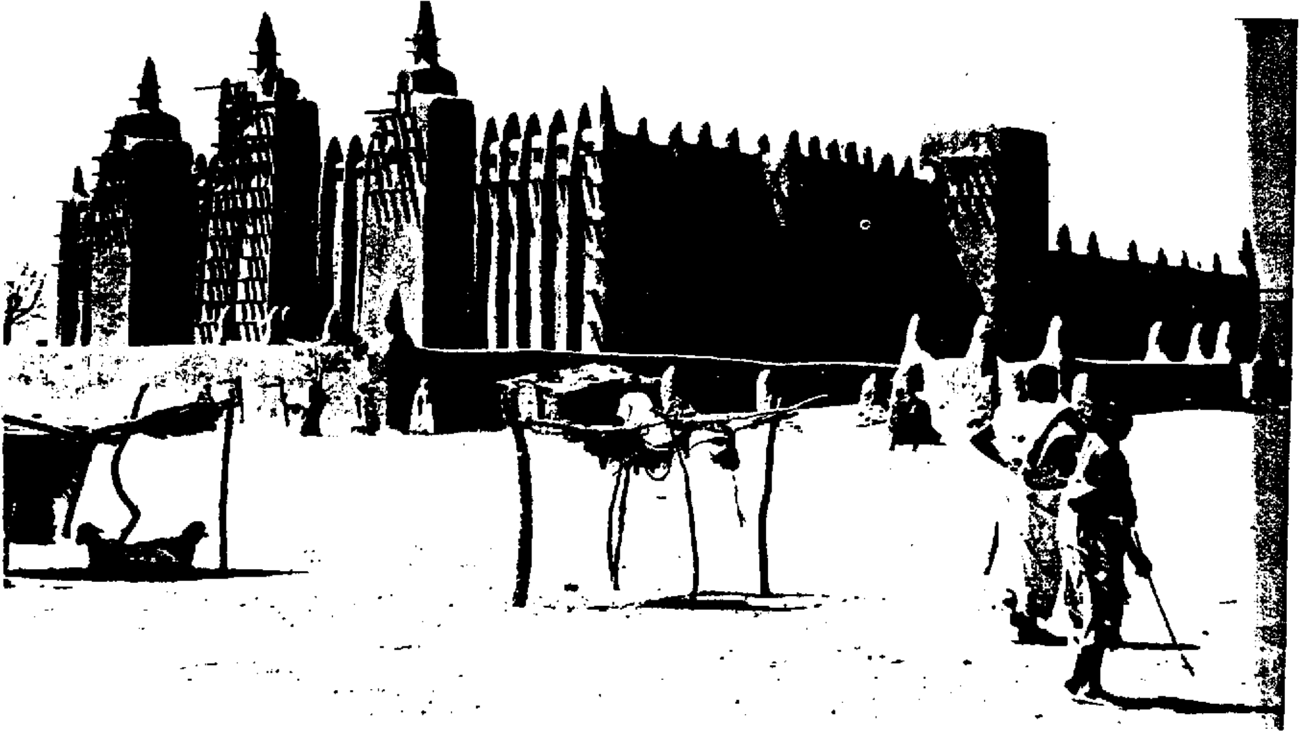
مخطط مسجد سنكورى فى مدينة تمبكتو



مخطط المسجد الكبير او جنكربير فى مدينة تمبكتو



نموذج من اشكال المساجد فى مدينة جنى

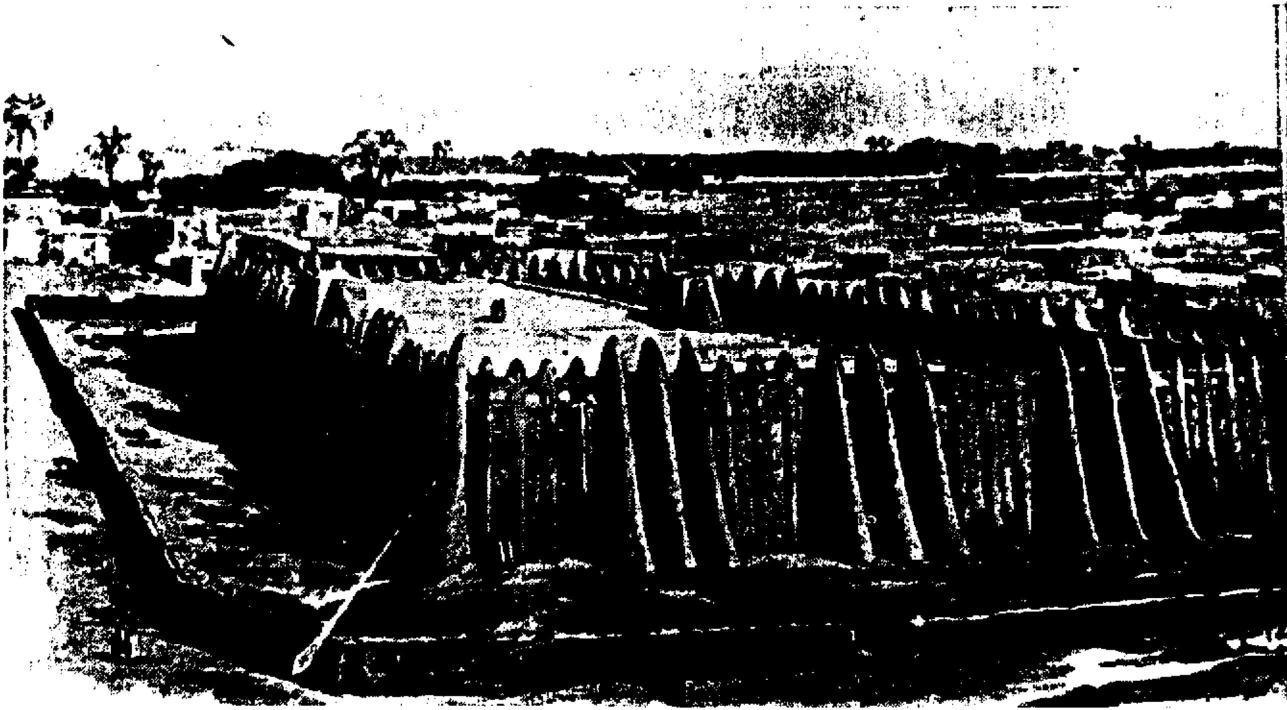


نفس المسجد السابق في وجه آخر

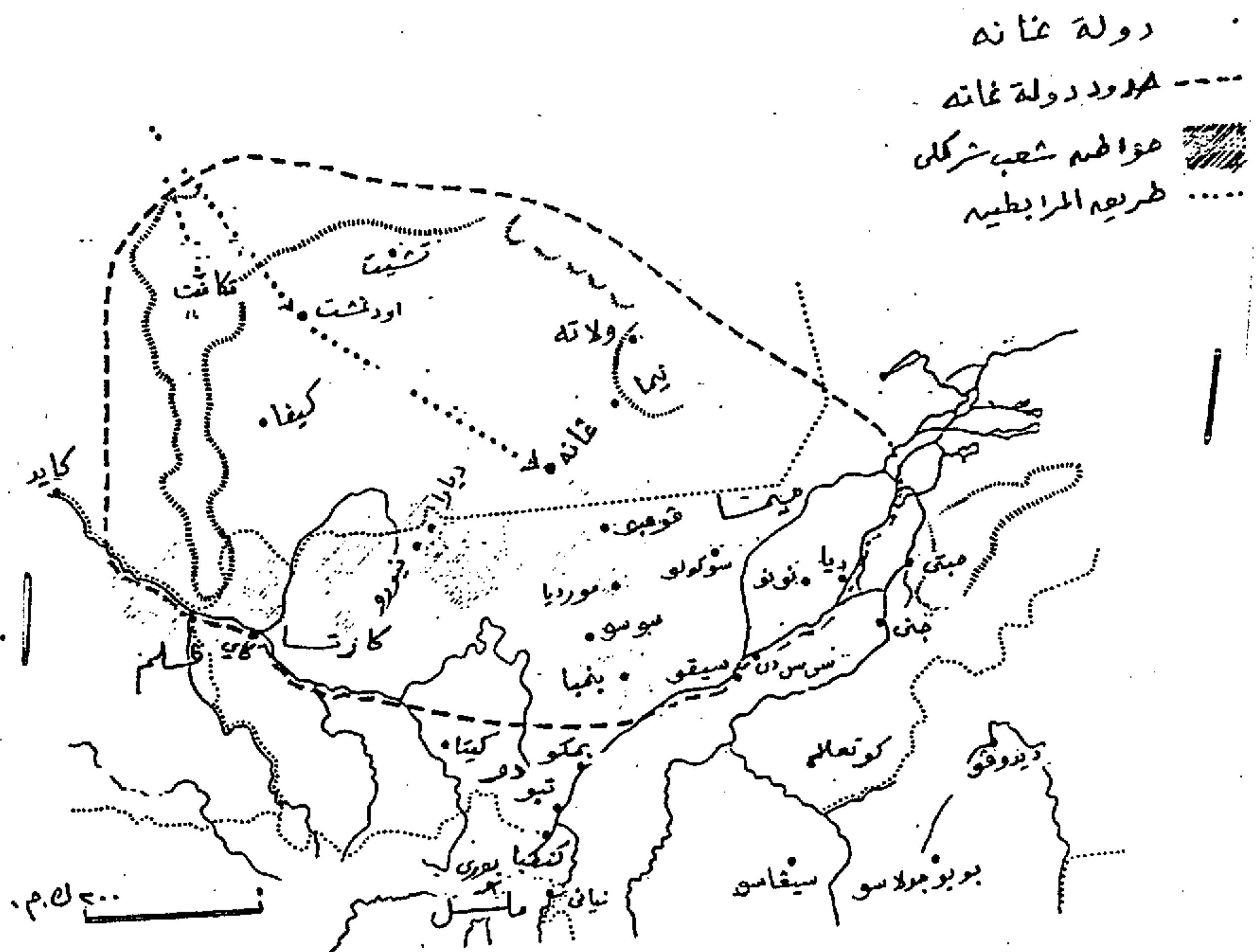


شكل مسجد الجنى الكبير قبل تجديده

فى عام ١٩٠٦ - ١٩٠٧م

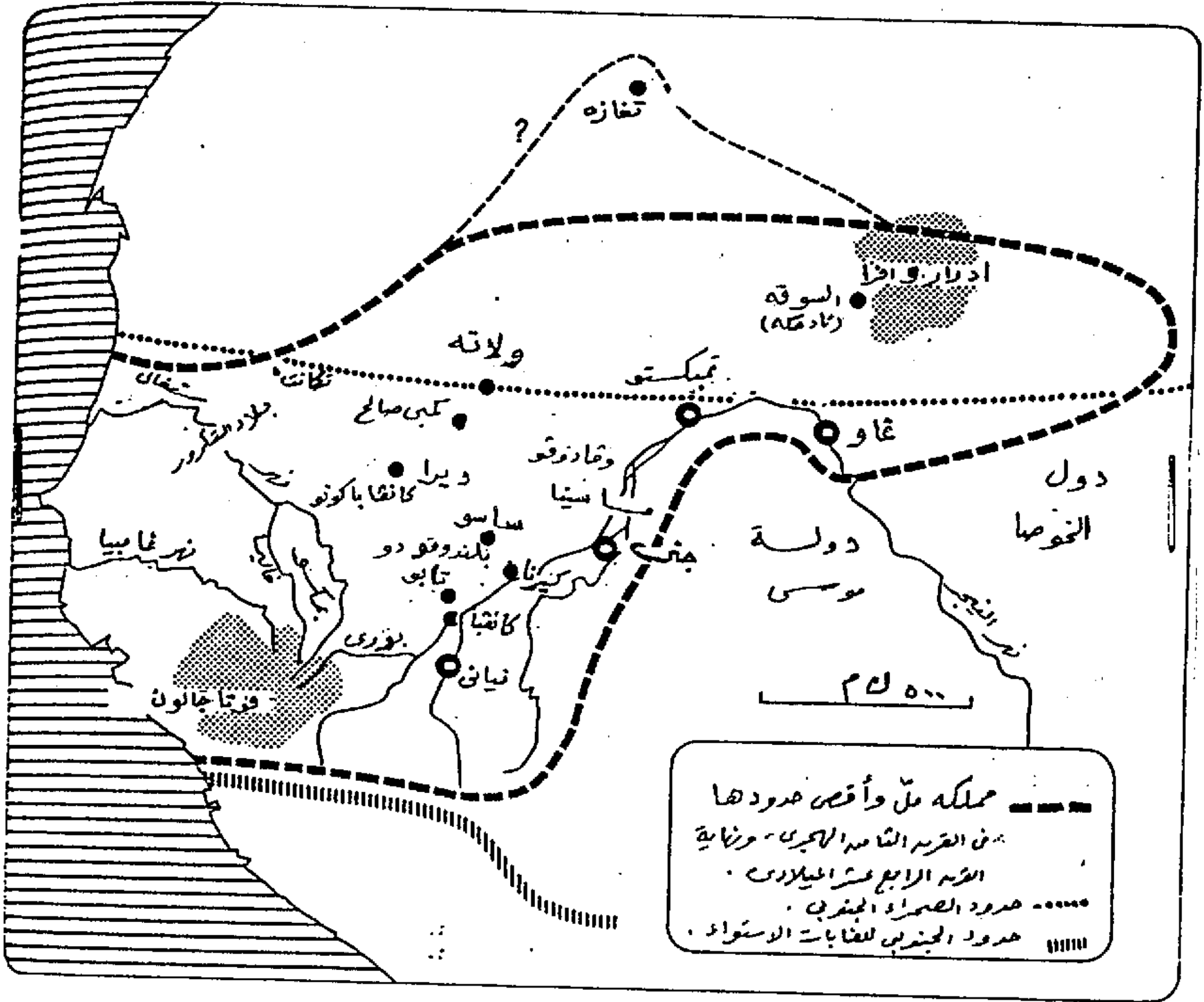


خريطة مملكة غانة الاسلامية

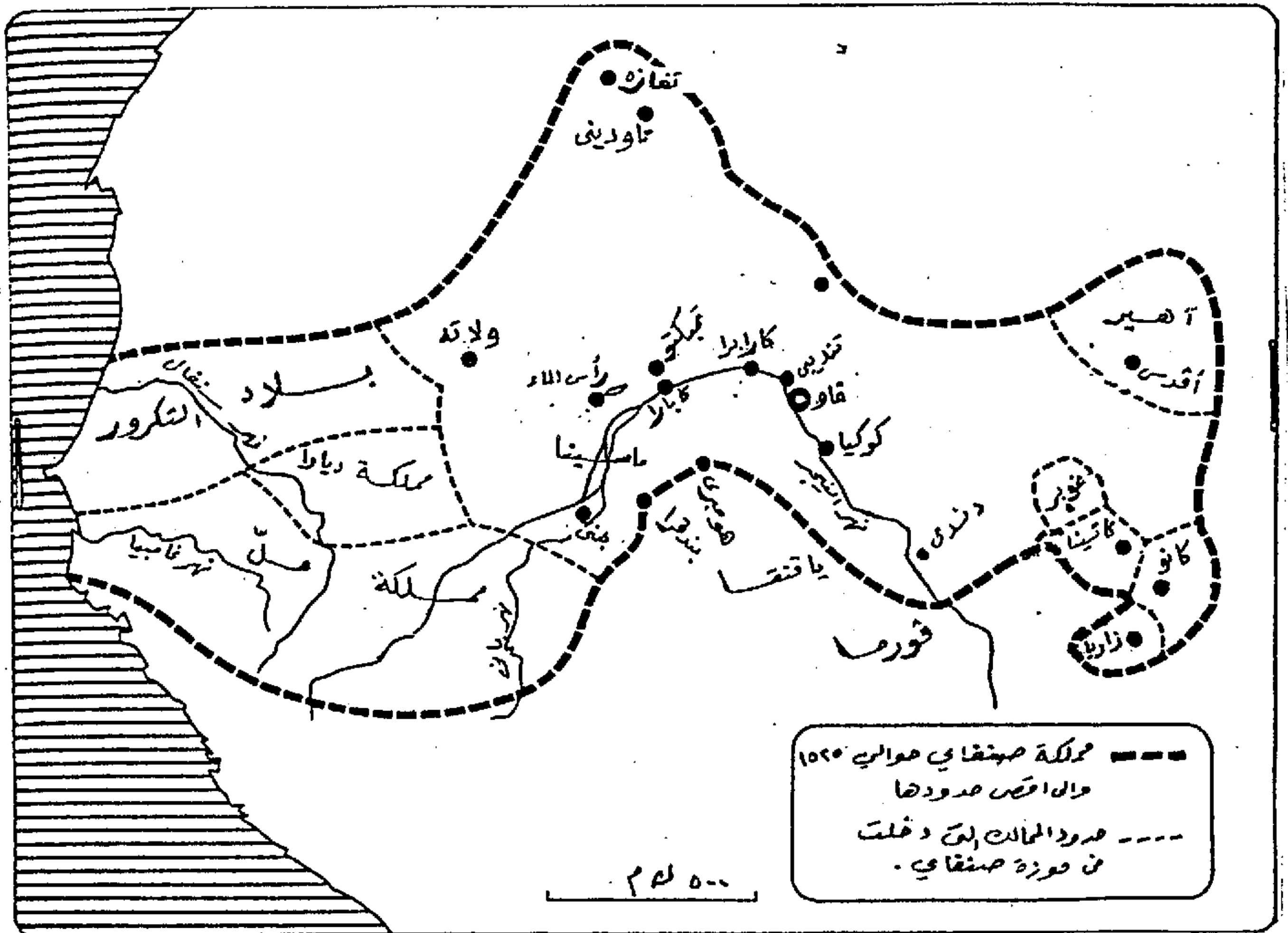


خريطة مملكة مل

منذ نشاتها الى نهاية القرن الثامن الهجرى



خريطة مملكة صنغاى
منذ نشاتها الى نهاية القرن العاشر الهجرى



<u>بعض الكتب التي كانت تدرس في المدارس والمجالس العلمية في صنغاي في فترة البحث كما اوردتها المصادر والمراجع</u>

* القرآن الكريم
* تفسير الجلالين للسيوطى
* صحيح البخارى
* صحيح مسلم
* الصحاح الأربعة سنن ابى داود ، والترمذى ، والنسائى ، وابن ماجه .
* الموطا للامام مالك
* التهذيب للبراذعى
* المدونة الكبرى
* الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضى عياض
* المدهش لابن الجوزى
* المختصر للشيخ خليل
* الرسالة لابن زيد القيروانى
* المرشد المعين لابن عاشر
* المدخل لابن الحاج
* الفية العراقى فى مصطلح علم الحديث
* المنتقى ، شرح الموطا
* اصول السبكى فى علم اصول الفقه
* التلخيص للقزوينى
* المفتاح للسكاكى
* المختصر لسعد الدين التفتازانى
* فرعى ابن الحاجب

* التوضيح فى الجمع بين المقنع والتنقيح لأحمد الشويكى فى الفقه الحنبلى
* فتح المغيث للسخاوى ، وهو شرح الفية العراقى
* الكبرى والصغرى للسنوى فى العقيدة
* شرح التتائى الكبير
* الجامع الصغير للسيوطى
* المعجزات الكبرى للسيوطى
* جمع الجوامع للسبكى
* شمائل الترمذى
* ارشاد السالك لابن عسكر
* القاموس المحيط للفيروز ابادى
* المحكم فى اللغة لابن سيدة الاندلسى
* الفية ابن مالك
* تحفة الحكام لابن عاصم فى الأحكام
* الأجرومية
* الخزرجية فى العروض بشرح الشريف
* المقامات للحريرى
* جامع المعيار للونشريشى
* ارجوزة المغيلى فى المنطق
* عشرينيات الفزارى وتخميسها لابن مهيب
* ارجوزة ابن سينا فى الطب
* حكم ابن عطاء الله مع شرح زروق عليه
* دلائل الخيرات للجزولى
* نظم ابى مقرع فى الفلك والنجوم
* الهاشمية فى التنجيم مع شرحها
* مقدمة التاجورى فى علم الفلك والتوقيت
* ارجوزة فى وصف المنازل للامام الزمورى فى الفلك

جزء من رسالة مولاى العباس امير مكة الى اسكيا محمد الاول بخصوص ارسال ابن اخيه احمد الصقلى(١) الى بلاد صنغاى ٩٢٥هـ

واعلم ياأخى ان اهل بيتنا ليس عليهم شىء من كلف السلطنة وقد ارسلت اليك ابن اخى هو كنفسى فان كنت تستطيع ان تسقط تلك الكلف عنه وعن اهله فليقم عندك والا فاتركه يرجع .

فقال الامام محمد اسكيا الاول بعد قراءة البراءة فقد جعلنا ماهو اصعب من هذا لمن هو دونك فكيف لانفعله لك .

ثم امر كاتبه - على بن عبد الله - ان يكتب له وثيقة فى ذلك معلما كل واقف عليه من الولاة والقضاة والسادات ان لايتعرضوا له ولالرهطه الذين جاءوا معه ولالازواجهم وذرياتهم فى شىء من امور السلطنة ولو ضيافة .

ولهم شفاعة فى كل شىء الا النفس التى حرم الله وان كان ماشفعوا فيه جناية فعلينا وعلى نوابنا ارشها او فى مال فعلينا ضمانه وكل من خالف هذا الامر فلايلومن الا نفسه (٢) .

---

(١) هو احمد بن عبد الرحمن بن ادريس بن ابى يعزى بن حسن ابن ابراهيم بن عبد الله بن عيسى بن ابراهيم بن عبد الرحمن عرف بزين العابدين بن الحسن بن على بن ابى طالب .

(٢) الفع محمود كعت : تاريخ الفتاش ، المصدر السابق ، ص ١٨ .

وثيقة الحرمة التي كتبها اسكيا محمد الكبير لأحفاد الشيخ مور محمد هوكار

ونصه : "هذا كتاب أمير المؤمنين وخليفة المسلمين السلطان العادل القائم بامر الله اسكى الحاج محمد بن ابى بكر ادام الله عزه ونصره وخلد البركة فى عقبه ومن وقف عليه بايدى جملة حفدة الشيخ الفقيه الزاهد الصالح مور محمد هوكار ، وهم :

مور الصادق ، ومور حبيب ، واسحاق ، وانيارك ، ومحمد ورسماك ، وعلى ، وبلقاسم بنى الفقيه مور معمع بن مور معمك ابن الفقيه مور محمد هوكار ، رحمه الله ونفعنا بعلمه ودينه آمين .

ومن وقف عليه ممن يؤمن بالله واليوم الآخر وبرسالة رسوله الصادق صلى الله عليه وسلم ، فليحترمهم ويوقرهم ويعرف مناقبهم وفضلهم وحرمة جدهم ـ مور محمد هوكار ـ ويمسك كل جائر وفاجر جوره وفجوره من جندنا واهل جيشنا وخدمنا الجائرين وعبيدنا ورسلنا فلايقربهم بضيم ولابتحقير وتصغير ومن تعرض لهم بسوء وظلم ينتقم الله منه على كذا .

ونوصى كل من تنسل منا من أولادنا وحفائدنا ان يبروا بهم ويحترموهم ويحسنوا اليهم .

وقد اسقطنا جميع وظائف السلطنة وغرامته بحيث لايطالبهم احد بشىء حتى الضيافة وان تعرض بينهم ظنة او ادعى عليهم حقا فلايحكم عليهم الا أناوحدى ، او من سيخلفنى فى هذا المقام من اولادى ، ومن ظلمهم او اخذ منهم ادنى شىء ظلما باطلا من ذريتى لابارك الله له فى ملكه وفسد عليه ملكه وختم

له بخاتمة السوء بحرمة الذى وقفت به على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقمت فى داخل شبكة روضته صلى الله عليه وسلم .

وكذلك ابحت لهم ولذرياتهم ان يتزوجوا فى مملكتى كلها من كنت الى شبردك الذى هو الحد الحاجز بيننا وبين سلطان مل من كل نساء احبوها ويكون اولادهم منها احرارا وامهاتهم تابعات لهم فى الحرية .

وقد حضر عند هذه الوثيقة الفقيه ابو بكر بن الفع على كار بن الخطيب عمر ، والفع عبد الله بن محمد الأغلالى ، والعاقب بن محمد الشريف ، وشهد به كاتبه – على بن عبد الله بن عبد الجبار اليمنى – ختم الله له بخاتمة الحسنى .

ثم امر بان ينادى كل من حضر هنالك من أولاده ... واحضروهم وامر بقراءة الكتاب عليهم فقرىء عليهم وقالوا كلهم سمعنا واطعنا .

ثم قال من سمع باسم هذا الكتاب او رآه فلم يمتثل فلايبارك الله له فى نفسه وفى كل مارزقه الله من ذرياته ثم اخذ الكتاب بيده وطواه وجعله فى يد كبيرهم وهو مور الصادق انتهى(١)

---

(١) الفتاش ص ٧٢ .

قائمة حكام صنغاى فى فترة البحث

*	سن على الكبير	٨٦٩-٨٩٧هـ
*	اسكيا محمد الأول أو الكبير	٨٩٨-٩٢٥هـ
*	موسى بن محمد	٩٢٥-٩٢٨هـ
*	محمد الثانى بنكان	٩٢٨-٩٤٣هـ
*	اسماعيل	٩٤٣-٩٤٦هـ
*	اسحاق الأول	٩٤٦-٩٥٦هـ
*	داود بن محمد	٩٥٦-٩٩١هـ
*	محمد الثالث بن داود	٩٩١-٩٩٥هـ
*	محمد الرابع بن داود	٩٩٥-٩٩٦هـ
*	اسحاق الثانى	٩٩٦-٩٩٩هـ
*	محمد غاو	٩٩٩-١٠٠٠هـ

المصادر :

محمود كعت : ص ٤٣-٤٤،٥٢،٧٨،٨٢-٨٣،٨٥،٨٧،٩٣،١١٩،١٢٥،
١٣٤،١٤٢،١٤٦-١٥٨ المصدر السابق .

السعدى : ص ٨١،٨٦،٩١،٩٥،١٠٠،١١٣،١٢١،١٢٥،١٣٢،١٣٣
المصدر السابق .

الناصرى ٥/١١٥،١٢١-١٢٢،١٣٠ المصدر السابق .

اليفرانى : ص ٨٧،٩٣،٩٤،٩٦ المصدر السابق .

تذكرة النسيان ص ٢ المرجع السابق .

قائمة المصادر والمراجع

المخطوطات :

* احمد بابا التمبكتي : كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج ، مخطوط بمكتبة الحرم المكي برقم ٤٩ .
* احمد بابير : السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تمبكتو البهية ، مخطوط بمركز احمد بابا ، رقم ٣٥٠١٦ .
* اسكيا محمد الأول : أسئلة اسكيا محمد الأول واجوبة الامام محمد بن عبد الكريم المغيلي ، مخطوط في مركز أحمد بابا بتمبكتو ، رقم ٦/٩٩٩ .
* مجهول المؤلف : نبذة من تاريخ مدينة جني ، مخطوط في مركز احمد بابا بتمبكتو رقم ٣٥٠١٠ .
* محمد عبد الكريم المغيلي : مجموعة المغيلي في شئون الامارة ، كتبها لأمير كانو ، نسخة في مكتبة الباحث .
* الشيخ عثمان بن فوديو : تنبيه الاخوان على احوال أرض السودان ، مخطوط في مركز احمد بابا بتمبكتو رقم ١٠١٠ .

المصادر العربية المطبوعة .

* القرآن الكريم
* البخارى : فتح البارى بشرح صحيح الامام ابى عبد الله محمد بن اسماعيل ، للامام الحافظ احمد بن على بن حجر العسقلانى ، دار الريان للتراث ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م .
* ابن بطوطة : تحفة النظار وعجائب الاقطار ، دار صادر ، ودار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م .
* ابن خلدون : المقدمة ، مطبعة النهضة المصرية .
* ابن فرحون : الديباج المذهب فى معرفة اعيان علماء المذهب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
* ابن القاضى : (ابو العباس احمد بن محمد المكناسى) ، ذيل وفيات الاعيان المسمى درة الحجال فى اسماء الرجال تحقيق محمد الأحمدى ابو النور ، دار التراث ، القاهرة الطبعة الأولى عام ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م .
* ابن الحاج : المدخل ، مطبعة دار الحديث ١٤٠١هـ/١٩٨١م .
* البكرى : المغرب فى ذكر بلاد افريقيا والمغرب ، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك ، مكتبة المثنى ببغداد ، ومطبعة الحكومة الجزائرية ١٨٥٧م .
* ابو الفداء : تقويم البلدان ، تحقيق رينود والبارون ، دار الطباعة السلطانية ، باريس ١٨٤٠م .
* احمد بابا التمبكتى : نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
* داود الانطاكى : تذكرة اولى الالباب والجامع للعجب العجاب ، مطبعة العثمانية المصرية بكفر الزغارى شارع المستعلى بالله ، جمادى الأولى ١٣٥٦هـ/اغسطس ١٩٣٧م .

* السبكى : طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق محمود محمد الطناحى وعبد الفتاح الحلو ، مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه ، الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م .

* الشريشى : ابو العباس احمد بن عبد المؤمن القيسى ت ٦١٩هـ : شرك المقامات الحريرى البصرى ، المكتبة الشعبية .

* الغزالى : احياء علوم الدين ، دار الفكر ، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

* الفع محمود كعت : تاريخ الفتاش فى اخبار البلدان والجيوش واكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الأمور وتفريق انساب العبيد من الاحرار ، نشره السيد هوداس وبنوه ، باريس ١٩١٣م .

* الحسن الوزان : وصف افريقيا ، ترجمة محمد حجى ، ومحمد الأخضر ، الجمعية المغربية للتاليف والترجمة والنشر ، دار الغرب الاسلامى ، بيروت عام ١٩٨٣م .

* القاضى عياض : الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، دار الفكر الطبعة الأخيرة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

* القلقشندى : صبح الأعشى فى صناعة الانشا ، المؤسسة المصرية العامة للتاليف والترجمة والطباعة والنشر ، بدون تاريخ .

* ابن سينا : الحسن بن على ت ٤٢٨هـ : القانون فى الطب : طبعة جديدة بالاوفست عن طبعة بولاق ، مكتبة المثنى ، بغداد .

* الامام محمد بلو : انفاق الميسور فى تاريخ بلاد التكرور القاهرة ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م .
* عبد الرحمن السيوطى : همع الهوامع فى شرح جمع الجوامع الشرح والتحقيق ، عبد العال سالم مكرم ، دار البحوث العلمية ، الكويت ١٣٩٤هـ/١٩٧٥م .
* عبد الرحمن السعدى : تاريخ السودان ، نشر هوداس وتلميذه بنوه ، طبعة باريس ١٩٦٤م .
* المغيلى (محمد بن عبد الكريم) : اسئلة الاسكيا واجوبة المغيلى ، تقديم وتحقيق عبد القادر زبادية ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ١٩٧٤م .
* مؤلف مجهول : تذكرة النسيان فى اخبار السودان ، نشره هوداس وبنوه ، المكتبة الشرقية والأمريكية ، باريس عام ١٩٦٦م .
* العمرى (احمد بن يحيى بن فضل الله) : مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار من الباب الثامن الى الباب الرابع عشر تحقيق وتعليق د. مصطفى ابو ضيف احمد ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م .
* مسلم : ابو الحسين بن الحجاج القشيرى النيسابورى . صحيح مسلم بشرح النووى ، المطبعة المصرية ١٣٤٩هـ .
* المسعودى : ابو الحسن على بن الحسين بن على ت ٣٤٦هـ . مروج الذهب ومعادن الجوهر ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ، الطبعة الأولى عام ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .
* المقريزى : تقى الدين ابى العباس احمد بن على ت ٨٤٥هـ الذهب المسبوك فى ذكر من حج من الخلفاء والملوك ، تحقيق جمال الدين الشيال ، الطبعة الثانية عام ١٩٥٥م القاهرة .

المراجع العربية المطبوعة :

* ابراهيم على طرخان :
- امبراطورية غانة الاسلامية ، الهيئة المصرية العامة للتاليف والنشر ، عام ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م .
- امبراطورية البرنو الاسلامية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥م .
- دولة مل الاسلامية ، الهيئة المصرية العامة للتاليف والنشر عام ١٩٧٣م .
* ابن مريم : البستان فى ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، بدون تاريخ .
* ابو بكر على : الثقافة العربية فى نيجيريا قبل الاستعمار حتى ايام الاستقلال من ١٧٥٠ الى ١٩٦٠م ، الطبعة الأولى عام ١٩٧٢م .
* احمد شلبى : موسوعة الحضارة الاسلامية ، الجزء السادس ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ١٩٨٣م .
* احمد محمد كانى : ملامح من الجهاد الاسلامى فى غرب افريقيا - من ضمن ورقة ثقافية رقم سبعة ، الزهراء للاعلام العربى ، الطبعة الأولى عام ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .
* آدم عبد الله الألورى :
- الاسلام فى نيجيريا والشيخ عثمان بن فوديو الفلانى ، الطبعة الثالثة عام ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

ـ موجز تاريخ نيجيريا ، بيروت ١٩٦٥م .

ـ الاسلام اليوم وغدا فى نيجيريا ، مطبعة المختار الاسلامى ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

* البرتلى : فتح الشكور فى معرفة أعيان علماء التكرور ، تحقيق محمد ابراهيم الكتانى ، ومحمد حجى ، الجمعية المغربية للتاليف والترجمة والنشر ، دار الغرب الاسلامى فى بيروت عام ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

* الشيخ الأمين محمد عوض الله : العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربى فى عهد السلطنتين الاسلاميتين مل وصنغاى ، دار المجمع العلمى بجدة ، الطبعة الأولى ١٩٧٩م /١٣٩٨هـ .

* الشيخ عبد الله بن فوديو : ضياء السياسات وفتاوى النوازل ، مماهو من فروع الدين من المسائل ، تحقيق وتقديم احمد محمد كانمى ، الزهراء للاعلام العربى ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

* الفاضل العبيد عمر : الطب الاسلامى عبر القرون ، دار المطبوعات الحديثة ، جدة ، دار الشواف للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ/١٩٨٩م .

* ابراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ١٩٧٨م .

* المنظمة العربية للعلوم والفنون : ندوة العلماء الأفارقة ومساهماتهم فى الحضارة العربية الاسلامية ، الخرطوم ١٩٨٣م .

* الناصرى احمد خالد : الاستقصا لاخبار دول المغرب الأقصى ، الدار البيضاء ١٩٥٥م .

* الوفرانى محمد الصغير : نزهة الحادى باخبار ملوك القرن الحادى ، بتصحيح السيد هوداس ، الطبعة الثانية ، مكتبة الطالب بالرباط .
* بازل دافد سون : افريقيا تحت اضواء جديدة ، ترجمة جمال محمد احمد ، دار الثقافة ، بيروت .
* جمال عبد الهادى محمد مسعود : اخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ ، افريقيا التى يراد لها ان تموت جوعا ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م .
* جلال عباس : المد الاسلامى فى غرب افريقيا ، دار المختار الاسلامى بالقاهرة ، بدون تاريخ .
* حسن أحمد محمود : الاسلام والثقافة العربية فى افريقيا ، دار الفكر العربى ، القاهرة سنة ١٩٨٦م .
* حسن عيسى عبد الظاهر : الدعوة الاسلامية فى غرب افريقيا وقيام الدولة الفولانى ، المجلس العلمى رقم ١٦ جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، الرياض عام ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م .
* جوان جوزيف : الاسلام فى ممالك وامبراطورية افريقيا السوداء ، ترجمة مختار السويفى ، دار الكتاب المصرى اللبنانى ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .
* رولاند وجون فيج : موجز تاريخ افريقية ، ترجمة دولة احمد صادق ، الدار المصرية للتاليف والترجمة ، بدون تاريخ
* سعد مرسى أحمد :
- تاريخ التربية والتعليم ، عالم الكتب ، القاهرة ١٩٧٤م .
- تطور الفكر التربوى ، عالم الكتب ، القاهرة ١٩٧٠م.

* سير توماس وارنولد : الدعوة الى الاسلام ، بحث فى تاريخ نشر العقيدة الاسلامية ، ترجمه الى العربية وعلق عليه حسن ابراهيم حسن ، وعبد المجيد عابدين ، واسماعيل النحراوى ، مكتبة النهضة المصرية للطبع والنشر ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٧٠م .
* شارل اندرى جوليان : تاريخ افريقيا الشمالية ، ترجمة محمد مزالى والبشير بن سلامة ، الدار التونسية للنشر والتوزيع ، بدون تاريخ .
* شوقى الجمل : تاريخ كشف افريقيا واستعمارها ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة عام ١٩٧١م .
* شيخو أحمد سعيد غلادنث : حركة اللغة العربية وآدابها فى نيجيريا من سنة ١٨٠٤ - ١٩٦٦م ، دار المعارف ، القاهرة ، بدون تاريخ .
* عباس العزاوى : تاريخ علم الفلك فى العراق وعلاقاته بالاقطار الاسلامية فى العهود التالية لأيام العباسيين ، مطبعة المجمع العلمى العراقى عام ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م .
* عباس بن ابراهيم المراكشى : الاعلام بمن حل بمراكش واغمات من الاعلام ، المطبعة الجديدة بطالعة فاس ، الطبعة الأولى ١٣٥٥هـ/١٩٣٧م .
* عبد العزيز بنعبد الله : الطب والأطباء بالمغرب ، الرباط ٢٣ شعبان ١٣٧٨هـ / ٣ مارس ١٩٥٩م .
* عبد القادر زبادية : مملكة سنغاى فى عهد الاسيكيين ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، بدون تاريخ .
* عبده بدوى : مع حركة الاسلام فى غرب افريقية دراسة من خلال الدول التى قامت قبل الاستعمار ، الهيئة المصرية العامة للتاليف والنشر ١٩٧٠م .

* عبد الرحمن زكى :
- تاريخ الدول الاسلامية السودانية بافريقيا الغربية ، المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٦١م .
- تاريخ انتشار الاسلام فى غرب افريقيا ، القاهرة ، عام ١٩٧٧م .

* عبد الوهاب بن منصور : اعلام المغرب العربى ، المطبعة الملكية ، الرباط ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

* عبد الله عبد الدائم : التربية عبر التاريخ ، دار القلم للملايين ، بيروت ١٩٧٨م .

* عبد القادر محمد سيلا : الاسلام فى السنغال ، معالم الحضارة وآفاق المستقبل ، دولة قطر ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ .

* عبد البارى عبد الرزاق النجم : موريتانيا الاسلامية ، دراسة فى وضعية موريتانيا الطبيعية والبشرية والاقتصادية والسياسية ، دار الاندلس للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م .

* عبد الكريم كريم : المغرب فى عهد السعديين عام ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م .

* عبد السلام عبد القادر بن سوده : دليل مؤرخ المغرب الاقصى ، دارالكتاب، الدار البضاء ١٩٦٥م .

* عصمت عبد اللطيف دندش : دور المرابطين فى نشر الاسلام فى غرب افريقيا ٤٣٠-٥١٥هـ/١٠٣٨-١١٢١م ، دار الغرب الاسلامى ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ، بيروت ، لبنان

* عمر بن فهد : اتحاف الورى باخبار ام القرى ، تحقيق وتقديم عبد الكريم على باز ، مطبعة جامعة ام القرى بمكة المكرمة ومركز احياء التراث الاسلامى ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

* بوفييل اى ، فى : الممالك الاسلامية فى غرب افريقيا واثرها فى تجارة الذهب عبر الصحراء ، ترجمة زاهر رياض ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٦٨م .
* محمد حجى : الحركة العلمية فى عهد السعديين ، مطبعة فضالة ، ربيع الثانى ١٣٩٧هـ/٢٠ ابريل ١٩٧٧م .
* محمد عبد الفتاح ابراهيم : افريقيا من السنغال الى نهر جوبا ، مصر ١٩٦١م .
* محمد الغربى : بداية الحكم المغربى فى السودان الغربى دار الرشيد للنشر ، وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد ١٩٨٢م .
* محمد بن محمد مخلوف : شجرة النور الزكية فى طبقات المالكية ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بدون تاريخ .
* محمد بن عبد الله النقيرة : التاثير الاسلامى فى غرب افريقية ، مطبعة الفرزدق التجارية بالرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .
* محمد بن الحسن الفاسى : الفكر السامى فى تاريخ الفقه الاسلامى ، خرج أحاديثه وعلق عليها عبد العزيز بن عبد الفتاح القارئ ، دار التراث ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ .
* محبات امام أحمد شرابى : نيجيريا الجديدة كنوزها واقتصادياتها ، المؤسسة المصرية للتاليف والترجمة والطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٤م .
* محمود خيرى عيسى : جامعة الدول العربية : العلاقات العربية الافريقية دراسة تحليلية فى أبعادها المختلفة جامعة الدول العربية ، المنظمة العربية للتربية

والثقافة والعلوم بمعهد البحوث والدراسات العربية ، بدون تاريخ .

* مريزن عسيرى : الحياة العلمية فى العراق فى العصر السلجوقى ، مكتبة الطالب الجامعى ، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

* ملفل هيرسوكوفتش : العنصر الانسانى فى التطور الافريقى ، تعريب جمال محمد احمد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٨٤م .

* محيى الدين صابر : العلاقات الثقافية بين العرب وافريقيا ، المكتبة العصرية ، صيدا ،لبنان .

* نعيم قداح :

- افريقيا الغربية فى ظل الاسلام ، كوناكرى ، عام ١٩٦٠م ، دراسات افريقية فى سلسلة الثقافة الشعبية رقم ٦ .

- حضارة الاسلام وحضارة اوربا فى افريقيا الغربية ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، الطبعة الثانية .

* يوسف فضل حسن : العرب وافريقيا ، الجذور التاريخية للعلاقات العربية الافريقية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، الطبعة الأولى كانون الثانى /يناير ١٩٨٤م ، بيروت ، لبنان .

* يونسكو : تاريخ افريقيا العام ، الجزء الرابع ، مترجمة الى العربية ، باريس ١٩٨٥م .

* فيج . جى . دى : تاريخ غرب افريقيا ، ترجمة وتعليق وتقديم يوسف نصر ، دار المعارف ، الطبعة الأولى ١٩٨٢م .

المعاجم العربية :

* ابراهيم مصطفى وآخرون : المعجم الوسيط ، دار المعارف ، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

* حسين مؤنس : اطلس تاريخ الاسلام ، الطبعة الاولى .

* حسين سعيد : الموسوعة الثقافية ، دار المعرفة ، ودار الشعب ، لمؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، القاهرة ، ونيويورك ١٩٧٢م .

* جميل صليب : المعجم الفلسفى ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٧٣م .

* الرافعى : المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

* الزركلى : الأعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان الطبعة السادسة ،تشرين الثانى/نوفمبر ١٩٨٤م .

* كولين ماكفيدى : اطلس التاريخ الافريقى ، ترجمة مختار السويفى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، عام ١٩٨٧م

* المنجد فى اللغة والاعلام : دار المشرق ، بيروت ، الطبعة السادسة والعشرون ، كانون الثانى ١٩٧٣م .

* حاجى خليفة : كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ، دار الفكر ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

* يوسف الياس سركيس : معجم المطبوعات العربية والمعربة ، مطبعة سركيس بمصر ١٣٤٦هـ/١٩٢٨م .

* الحموى : معجم البلدان ، ج٤ ، دار احياء التراث العربى بيروت ، لبنان ، بدون تاريخ .

الدوريات العربية :

* مجلة المناهل ، العدد السابع ، السنة الرابعة ، نوفمبر ١٩٧٦م .
* مجلة دعوة الحق ، عدد ١ ، سنة ١١ ، نوفمبر ١٩٦٧م .
* مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية بفاس ، عدد خاص (خمسة) سنة ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م .
* مجلة الدراسات الافريقية ، نصف سنوية ، العدد الثالث رجب ١٤٠٧هـ/ابريل ١٩٨٧م ، المركز الاسلامي الافريقي بالخرطوم .
* مجلة المؤرخ العربي عدد ١٤ ، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب ، بغداد ، العراق .
* المجلة التاريخية المغربية عدد ٧-٨ سنة ١٩٧٧م .
* المجلة التاريخية المغربية عدد ٢١-٢٢ السنة الثامنة عام ١٩٨١م .
* المجلة التاريخية المصرية عدد ١٤ سنة ١٩٦٥م .
* المجلة التاريخية المصرية عدد ٢٠ سنة ١٩٦٥م .
* المجلة التاريخية المصرية عدد ١٣ سنة ١٩٦٧م .
* مجلة كلية الشريعة والدراسات الاسلامية بالاحساء ، العدد الأول ١٤٠١/١٤٠٢هـ ، السنة الأولى .
* مجلة الفيصل عدد ٨٩ ذو القعدة ١٤٠٤هـ ، السنة الثامنة آب/اغسطس ١٩٨٤م .
* المجلة العربية للعلوم الانسانية .

- Berand Villars : Lempire de Gao. un'etat soudanais du 15e au 16e s. paris. 1942.
- Cheick Anta Diop : l'ofrique Noire Pre Colonial .
- Chancellor W. : The Destruction of Black Civilization From 4500 to 2000 A.D. Third World Press 1974 .
- Djibril Tansir Niane : Le Soudan Occidental au temps des grands empires vi - x vie siecle . Presence Africaine paris . 1975.
- Felix Dubois : Tombouctou la Musterieuse, paris .
- F.K. Bouch : West Africa since A.D. 1000
- J.C. de Graft- John son : African Glory. The sotory of Vonished Negro Civitizations. Black classic Press. Baltimore, MD.
- J.F.Ade A Joyi : Thau sand years of west Africa History .
- ,, ,, ,, : History of West Africa Volume one.
- Jean Rouch : Le songhay C.N.R.S. Paris .
- Joseph Ki-Zerbo : Histoire de L'afrique Noire,Hatier .
- Joseph cuog : L'islomisation de L'afrique de L'ouest .
- Mervyn Hiskett : The Development of Islam in west Africa Longman studies in Africa History, London .
- Michel Abit Bol : Tombouctou et les Arma, Paris. 1979 .
- M. sankaté : Medecine et Action Sanitaire eu Afrique Noire . Presence Africaine Editions paris, 1969 .
- Poul Marty : Etudes, sur L'islam et les tribus du sudan, Laregion de Toumbouctou, Die nne, La Macina. et de pandances, paris. 1920
- Peter,B.Clarke : West Africa and Islam. A study of Reliqions Development from the 8 th to the 20th Century.
- P.vuillot: Atombou ctou, Extrait du" Magasin Pittor- esque " As decembre 1894 .
- P.Wester manu: I islam ou Soudan Occidental et Central .foi & vie. Paris .
- Raymond Maumy : Tableau Egographique de L'ouest Africain au Moyen Age.
- .. .. : Notes d'archeologie au sujet de Gao, Tome XIII, Juillet. septembre. 1951.
- Sékéné Mody cissoko : Histoire de L'afrique Occidental, Moyen age et Temps Modernes vIII e siecle- 1850. presence Afrikaine. Paris.

- Terry Alford : Prince Among Slaves .
- T.S. Trimingham : Islam in west Africa, o.u.p. London . 1963.
- Vincent Monteil : Lislam Noire. Editions seuil, 27 Rue Jacob Paris , vie.
- Zakaria Daraman Issifou : L'afrique Noire dans les Relations internationales au 16e s. Paris 1982.

فهرس الموضوعات

الصفحة

الفصل الثالث

وسائل نشر العلم والثقافة فى صنغاى

الفصل الرابع

حركة التصنيف فى صنغاى ٢١٩

الصفحة

الفصل الخامس

نهاية دولة سنغاى